الإمام الشهيد

حسن البنا

بأقلام تلامذته ومعاصريه



إعداد وتقديم

جابر رزق



الإمامُ الشهيدُ

حَسَنُ البنّا

بأقلامِ تلاميذه ومعاصريه

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م

الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣ ص ب ٢٣٠ تلكس DWI-A UN 24004

الإمامُ الشهيدُ

حَسَنُ البنّا

بأقلامِ تلامذته ومعاصريه

إعداد وتقديم

جابر رزق

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

رغم مضى أكثر من ثلث قرن على جريمة العصر ... أعنى حادثة اغتيال الإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ، ومرشدها الأول بأيدى رجال الحكم فى ذلك الوقت ، الملك فاروق ... ورئيس وزرائه إبراهيم عبدالهادى ... وضباط وزارة الداخلية ومخبريها ... لم يقل التاريخ الحق حتى اليوم كلمته ... ولم يرو المؤرخ النزيه بعد قصته .. ولايزال الإمام الشهيد حسن البنا مغموط الحق من أمته ... لم يقدر قدره ، ولم يوضع موضعه بين زعماء الأمة .. ولم يبوأ مكانته التى تليق بجهاده .. ولم يخلِّ حتى الآن بين الناس وبين دعوته .. ولاتزال جماعته – الإخوان المسلمون – دون كل الجماعات هى المستهدفة لمؤامرات أعداء الإسلام ومكائدهم ومخططاتهم داخل مصر والعالم الإسلامى وخارجه ، ولا تزال الأقلام الحاقدة تنفث سمومها ضد الرجل .. وضد دعوته .. وضد جماعته .. تثير حولهم غبار الشبهات ، وظلم الاتهامات ، وتحاول أن تلصق بهم كل نقيصة ، وأن تظهرهم للناس فى أبشع صورة : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة .

ولعل السبب فى هذا الجحود .. وهذا النكران .. وهذا الحقد المتأجج فى صدور أعداء الإسلام هو أن الإمام الشهيد حسن البنا رغم رحيله عن دنيا الناس منذ أكثر من ثلث القرن لايزال أثره باقيا حتى اليوم ولا تزال دعوته .. وجماعته .. وتلامذته هم طليعة الحركة الإسلامية المعاصرة .. وهم الذين يحملون لواء البعث الإسلامى ويتقدمون صفوفه على مستوى العالم كله .. .

ولا تزال جماعة الإخوان المسلمين رغم ما تعرضت له من محن .. وما أنزل بها من بلاء .. وما كيل لها من ضربات هى العقبة الكئود فى طريق تنفيذ مخططات الصليبية والصهيونية والشيوعية ضد العالم الإسلامى كله ، ولا يزال الإخوان المسلمون يمثلون القوة السياسية المستنيرة .. والصلبة .. والقادرة على التصدى للطواغيت الظالمين .. وللفساد والمفسدين ، لا يخيفها الإرهاب .. ولا يفزعها الطغيان ، تصدع بالحق لاتخاف فى الله لومة لائم .

والإمام الشهيد حسن البنا هو بحق مجدد القرن الرابع عشر الهجرى .. وهو الزعيم الشعبى الذى لم يبلغ أحد من معاصريه ما بلغه .

أسس حسن البنا حركة إسلامية متميزة ومتفردة ، بين كل الحركات الإسلامية على مدى التاريخ الإسلامى كله ، كانت هى ذاتها دليل تميز وتفرد شخصيته عن السابقين له ، ممن عملوا فى نفس الميدان .. لقد كان حسن البنا طرازا فريدا من الرجال ، ونموذجا فذا من الدعاة ، وكانت جماعته تجسيدا وتجسيما لعبقريته فى البناء ، ودليل توفيق الله له .

« كان حسن البنا من هذه الشخصيات التى هيأتها القدرة الإلهية ، وصنعتها التربية الربانية ، وأبرزتها فى أوانها ومكانها ، وجعلت منه ومن جماعته القيادة الدينية والاجتماعية التى لم يعرف العالم العربى وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيرا وإنتاجا منها منذ قرون » .

ولم تعرف مصر خلال الحقبة التى عاشها حسن البنا زعيما له من الشعبية ما كان لحسن البنا ، وكان له مثل هذا التأثير الإيجابى ، الذى امتد إلى ما بعد وفاته ، وإلى ماشاء الله ، وتجاوز حدود مصر ، ليس فقط إلى الأقطار العربية والإسلامية بل وصل إلى جميع قارات العالم ، فالإخوان المسلمون اليوم موجودون فى كل قطر من أقطار العالم ، لايكاد يخلو منهم قطر من الأقطار ، أو دولة من الدول ، سواء فى عالم الغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى !! .

ولد حسن البنا فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، فى قرية مصرية (شمشيرة مر كز فوة غربية) ، ونشأ فى جو إسلامى خالص ، واصطبغت بيئته بالصبغة الإسلامية الحقة ، فقد كان أبوه الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتى عالما من علماء

الدين معروفا بالوقار واليسار ، ومن مواليد ناحية شمشيرة مركز فوة غربية ، درس الفقه والتوحيد والنحو وحفظ القرآن وجوده ، وتميز عن الكثيرين من معاصريه من العلماء بتلك النزعة العملية الواقعية ، التى دعته لأن يتجه إلى العمل اليدوى ، فاشتهر بصناعة إصلاح الساعات ، وكان لهذه الصناعة أثر كبير فيه وفى ابنه الذى ورثها عنه لما تقتضيه من دقة ومهارة وضبط وصبر .

أولى الوالد - الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا - ولده - حسن أحمد عبدالرحمن البنا - كل عنايته ، ووجهه منذ صغره إلى العلوم الدينية ، فأحفظه القرآن ودروس السيرة النبوية الشريفة ، ودرس له أصول الفقه ، والحديث والنحو وحثه على القراءة ورغبه فى الاطلاع على ما فى مكتبته من ذخائر الكتب ، التى كانت تضم أمهات وكنوز الثقافة الإسلامية . ولم تقف عناية الوالد بولده عند حدود التحصيل العلمى والثقافة النظرية البحتة ، ولكنه علم ولده « العلم والعمل معا » ، فالتزم الصبى حسن البنا بالسلوك الإسلامى ، واصطبغت شخصيته بالصبغة الدينية ، ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ البقرة .

كما اعتنى الوالد أيضاً بتعليم ولده صناعة تصليح الساعات ، التى اشتهر بها حتى صارت لقبا من ألقابه (الساعاتى) ... .

وبذلك نشأ الطفل حسن البنا وليس فى حسه تلك الازدواجية التى طبعت أكثرية جيله ، والتى تجعل من الإنسان المتدين ذاتين منفصلتين ، ذات لله .. وذات للحياة ، واتسمت شخصيته بالشمول وبترابط الاتجاهات المختلفة فى داخله فلم تصب شخصيته بداء « الانفصام » ، الذى أصاب جيله كله إلا من رحم ربك .

أدخله والده المدرسة الإعدادية فظهر تفوقه على أقرانه ، واستلفت بذكائه انتباه أساتذته فأولوه عنايتهم ، وأحاطوه برعايتهم ، وآثروه باهتمامهم ، وحدبهم وحبهم ... وظهر واضحا عند الصبى حسن البنا ميل فطرى إلى العبادة ومجاهدة النفس ، وازداد هذا الجانب وضوحا فى شخصيته حتى صار أحد أبرز ملامح شخصيته .

وفى هذه المرحلة من الطفولة الباكرة شغل الصبى حسن البنا بمحاربة المنكرات ، والنهى عن المحرمات ، فاشترك فى تكوين الجمعيات الدينية والأدبية والأخلاقية ، التى اضطلعت بمطاردة المنكر ومحاربة المحرم وأطْر الناس على الاستقامة والتخلق بالأخلاق الفاضلة .

انتقل الفتى حسن البنا إلى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ، وفى دمنهور توثقت صلتة بالإخوان الحصافية ، وواظب على « الحضرة » فى مسجد التوبة فى كل ليلة مع « الإخوان الحصافية » ، ورغب فى أخذ الطريقة حتى انتقل من مرتبة (المحب) إلى مرتبة (التابع المبايع) .

وتأثر الشاب حسن البنا بشيخ « الطريقة الحصافية » الأول ، الذى تميز بالنزعة العملية ، فلم يكن يسمح للمتعلمين من أتباعه أن يكثروا من الجدل فى الخلافيات أو المتشابهات من الأمور، واعتبر حسن البنا هذا المنهج من خير الأساليب الحكيمة فى التربية الإيمانية ، واقتبسه فى دعوته وربى عليه أبناء حركته ، وقرر فى الأصول العشرين للركن الأول من أركان البيعة العشرة « الفهم » « وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده ... » .

ومن هنا كان اهتمام حسن البنا « بالتربية الإيمانية » ، وإرشاده لتلامذته أن النفس هى الميدان الأول للجهاد ، « نفسك التى بين جنبيك هى ميدانك الأول ، إن انتصرت عليها كنت على غيرها أقدر » وصار شعار كل أخ من الإخوان : « أصلح نفسك ... وادع غيرك » .

أنهى الشاب حسن البنا دراسته فى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ، ولكن ما كان لشاب طلعة كحسن البنا أن يقنع بإنهاء دراسته فى مدرسة المعلمين ويقبل الوظيفة ، ولكنه فضل استكمال دراسته ومواصلة التحصيل العلمى ، فالتحق بدار العلوم مما اضطر والده إلى الانتقال بالأسرة جميعها إلى القاهرة ... .

وفى « دار العلوم » ... وفى القاهرة تفتحت مدارك الشاب حسن البنا ، ونضجت مواهبه وانجلت بصيرته ، وتكشفت أمامه السبل واتضحت الغاية ،

وتحدد الهدف ... ثم كانت فى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامى حوادث عدة ألهبت نفس الشاب حسن البنا ، وأهاجت كوامن الشجن فى قلبه ، ولفتت نظره إلى وجوب الجد والعمل وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه ، والتأسيس بعد التدريس .

لقد شهد عامه الأول فى مدينة القاهرة وقوع هذا الحادث الجلل الذى هز ضمير العالم الإسلامى فى كل أقطاره ألا وهو إسقاط دولة الخلافة فى الثانى من مارس سنة ١٩٢٤ ليصبح المسلمون لأول مرة فى تاريخ الإسلام بدون خليفة ... وبدون دولة ، فصاروا كالأيتام على موائد اللئام .. وكان لهذا الحدث ردود فعل عميقة فى نفس الشاب حسن البنا الذى تألم ألما شديدا ، زد على هذا موجة التحلل التى كانت تجتاح القاهرة فى تلك الحقبة .

يقول الإمام حسن البنا :

« فى هذه الفترة التى قضيتها بالقاهرة اشتد تيار موجة التحلل فى النفوس وفى الآراء والأفكار باسم التحرر العقلى ، ثم فى المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصى ، فكانت موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية لا يثبت أمامها شىء تساعد عليها الحوادث والظروف » .

لقد نجحت المؤامرة الصليبية اليهودية فى إسقاط دولة الخلافة على يد مصطفى كمال أتاتورك حفيد يهود الدونمة ، الذى طارد كل ما هو إسلامى ، وسقط القناع الذى تقنع به وبدا وجهه الخائن العميل ، وأعطت تركيا ظهرها للعالم الإسلامي وجعلت أوروبا قبلتها وقدوتها ، ورضيت أن تكون ذيلا لها !! .

ولم يقف المخطط الصليبى اليهودى عند حد إسقاط دولة الخلافة ... وفصل الدين عن الدولة .. ولكن اتجهوا إلى « مصر » التى هى بمثابة القلب بالنسبة للعالم الإسلامى .. وخط الدفاع الثانى والأخير عن الإسلام والحصن الحصين للعلم الإسلامى والفقه الإسلامى ، فأطلقوا عليها كلابا مسعورة من المبشرين والمستشرقين وتلامذتهم من ذرارى المسلمين الذين ربوا فى الجامعات الأوروبية وعادوا إلى مصر ينفثون أفكارهم المسمومة من خلال كتاباتهم ... فظهرت كتب

ومجلات وجرائد كل ما فيها ينضح بهذا الفكر المسمم الذى يهدف أساسا إلى إضعاف أثر الإسلام فى نفوس الشعب المصرى أو القضاء عليه كلية !! وذلك عن طريق تفريغه من مفاهيمه الأصيلة الجوهرية ، وحصره فى هذا المفهوم اللاهوتى الضيق « للدين » بمعناه الأوروبى الغربى لعزله عن الحياة ، وحصاره داخل زوايا المسجد !! .

وظهرت كتابات « لطفى السيد » و « طه حسين » و « على عبدالرازق » ... و « محمود عزمى » وغيرهم ، فافتروا الكذب على الإسلام ، ورددوا ما قاله أساتذتهم الحاقدون على الإسلام من المبشرين والمستشرقين الصليبيين واليهود ، مستهدفين جميعا تجريد الإسلام من مفاهيمه الأصيلة التى هى عوامل قوته .

لقد كان لهذا الزحف العلمانى الغربى الذى تسانده جميع القوى أثره الكبير فى استثارة عوامل الثورة فى قلب الشاب المسلم عميق الإيمان والوعى ، ولقد دفعته قدراته الفذة الكامنة فى شخصيته على قراره الحازم بالعمل والوقوف فى وجه هذا التيار الزاحف من كل مكان لاغتيال الإسلام فى أرضه واستئصاله من جذوره ، فعقد نيته ، وجمع همته ، وشحذ إرادته ، وحزم أمره على المضى فى الطريق الذى يحقق غايته ويبلغه هدفه ... فما لبث حين استقر به المقام فى مكان عمله الجديد فى مدينة الإسماعيلية حيث عين مدرسا فى مدرستها الابتدائية أن بدأ عمله الذى تحدد فى دعوة المسلمين إلى العودة إلى إسلامهم كاملا ، مبينا فضائل هذه العودة سواء فى محياهم ومماتهم .

وقد كان لواقع مدينة الإسماعيلية بُعده العميق فى تكوين جماعة الإخوان المسلمين ، وتكوين أيديولوجيتها منذ أول نشأتها ، فلقد كانت تلك المدينة الإسلامية الفقيرة المسحوقة محاصرة بين ضفتين : ضفة يسحقها جيش الاحتلال البريطانى ، وضفة تمتصها شركة قناة السويس والطبقة الأرستقراطية الخادمة لها ، ممثلة بذلك الواقع الكبير لمصر بل وللعالم الإسلامى كله ، ولذلك اختلطت الدعوة إلى الإسلام فى حس القائد والمؤسسين للحركة الإسلامية بمشاعر الثورة على الاستعمار ، وكانت هذه الدعوة هى الطريق الوحيد للتخلص من النير

الاستعمارى الجاثم على قلب العالم الإسلامى .

وفى غفلة كاملة من المستعمرين الإنجليز .. ومن الملك وحاشيته وعملائه ... ومن الأحزاب السياسية بدأ الداعية الشاب فى بناء جماعته ... .

ومضت عشر سنوات من العمل الصامت الدءوب ، والسعى المتواصل فى كتمان ، وإصرار فى غير ضوضاء ولا ضجيج ولا دعاية ولا تهريج ، قضاها الداعية الشاب وإخوانه فى بث الدعوة ، ونشر الفكرة ، وتوضيح المفاهيم وتجنيد الدعاة ، وتجميع الأنصار ، وربطهم بعضهم ببعض برباط الإيمان والعقيدة ... عشر سنوات كاملة بذلت فيها الجهود لإزالة البناء الفكرى القديم السائد فى المجتمع المصرى وإحلال المفاهيم الإسلامية الصحيحة والسلوك الإسلامى القويم ، لم يحس خلالها المحتلون الإنجليز بخطر هذه الحركة ، ولم يشعر بها الملك ، ولم تر فيها الأحزاب شيئا من خطر المنافسة على مواقعها الشعبية .

ويصف الإمام الشهيد حسن البنا الصورة التى سارت عليها الدعوة خلال تلك الحقبة الأولى فيقول :

« كانت مصر يوم نبتت هذه الدعوة المجددة لاتملك من أمر نفسها قليلا ولا كثيرا ، يحكمها الغاصبون ، ويستبد بأمرها المستعمرون ، وأبناؤها يجاهدون فى سبيل استرداد حريتها والمطالبة باستقلالها ، ولم يخل الجو من منازعات حزبية ، وحزازات سياسية تذكيها المآرب الشخصية ، ولم يشأ « الإخوان المسلمون » أن يزجوا بأنفسهم فى هذا الميدان ، فيزيدوا خلاف المختلفين ، ويمكنوا للغاصبين ، ويلونوا دعوتهم وهى فى مهدها بلون غير لونها ، ويظهروها للناس فى صورة غير صورتها ، فتقلبت الحكومات ، وتغيرت الدولات وهم يجاهدون مع المجاهدين ، ويعملون مع العاملين منصرفين إلى ميدان مثمر منتج هو ميدان تربية الأمة ، وتنبيه الشعب ، وتغيير العرف العام ، وتزكية النفوس ، وتطهير الأرواح وإذاعة مبادئ الحق والجهاد والعمل والفضيلة بين الناس .

وأعتقد أنهم قد نجحوا فى ذلك إلى مدى يحمدون الله عليه ويسألونه المزيد ، فقد أصبح للإخوان المسلمين فى كل مكان دار ، ودعوة على كل لسان ،

وأكثر من ثلاثمائة شعبة تعمل للفكرة ، وتقود إلى الخير وتهدى إلى سواء السبيل ، وأصبح فى مصر كذلك شعور إسلامى قوى دفاق ، يركن القوى إليه ، ويعتز الضعيف به ، ويأمل الجميع فى ثمراته ونتائجه ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وتمثل العشر سنوات الأولى هذه الخطوة الأولى فى طريق الجهاد ، وفيها تم بناء الجماعة ، وجمع الأنصار ، وتربية القاعدة الصلبة التى حملت عبء الجهاد .

وعلى رأس تلك الحقبة أى فى عام ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

عقد الإخوان المسلمون مؤتمرهم الخامس تحدث فيه الإمام الشهيد إلى الإخوان أعضاء المؤتمر ، ووضع النقط على الحروف ، فحدد غاية الإخوان وأهدافهم ووسائلهم ومناهجهم ، والخطوات التى تمر بها الدعوى لتصل إلى غاياتها ، وأعلن فى صراحة ووضوح وشجاعة رأى الجماعة فى كل القضايا المطروحة على ساحة العمل السياسى ، مؤكدا شمولية الإسلام ، الذى يشمل الدنيا والآخرة ، والدين والدولة ، بكل ما تحمل كلمة « الدولة » من محتوى ، وأن السياسة والسلطة جزء من العمل ومن الهدف لاينفصلان عن الدين ، وأن طريق الجماعة هو ذلك كله ، وأن هدفها هو تحكيم شريعة الله فى أرض الله .

وفى كلمات دقيقة وواضحة وحاسمة فى نفس الوقت يقول الإمام الشهيد مخاطبا الإخوان أعضاء المؤتمر :

« نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة ، تنظم شئون الناس فى الدنيا وفى الآخرة ، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى مخطئون فى هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف . والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ، ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ، ويوصى بالإحسان فيه جميعه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخرة وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ القصص » .

ويضيف الإمام الشهيد بعد أن تلا العديد من آيات القرآن التى تؤيد ماذهب إليه من شمولية الإسلام فيقول :

« وهكذا اتصل « الإخوان المسلمون » بكتاب الله ، واستلهموه واسترشدوه ، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلى الشامل ، وأنه يجب أن يهيمن على كل شئون الحياة ، وأن تصطبغ جميعها به ، وأن تنزل على حكمه ، وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها مادامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاما صحيحا . أما إذا أسلمت فى عبادتها وقلدت غيرّ المسلمين فى بقية شئونها فهي أمة ناقصة الإسلام ، تضاهي الذين قال الله فيهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ . وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة » .

– إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ ، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبدا ، وأن كثيرا من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها . ولهذا يجب أن تستقى النظم الإسلامية التى تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى ، معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية ، حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه والإسلام دين البشرية جميعا .

وإلى جانب هذا أيضاً يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شئون الحياة فى كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان ، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة ، وخصوصا فى الأمور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية فى كل شأن من هذه الشئون ، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير فى حدودها .

ولضمان الحق والصواب فى هذا التطبيق أو تحريهما على الأقل ، عنى الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية ، وهى مصدر النظم ومادة التفكير

والتصوير والتشكل ، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ، ويغسلها من أدران الغرض والغاية ، ويهديها إلى الكمال والفضيلة ، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان ، وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحا جميلا . يقولون إن العدل ليس فى نص القانون ولكنه فى نفس القاضى ، وقد تأتى بالقانون الكامل العادل إلى القاضى ذى الهوى والغاية فيطبقه تطبيقا جائرا لا عدل فيه ، وقد تأتى بالقانون الناقص الجائر إلى القاضى الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقا فاضلا عادلا فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف .

ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى فى كتاب الله ، وكانت النفوس الأولى التى صاغها الإسلام مثال الكمال الإنسانى ، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم ، وتتسع لكل الأغراض والمطالب ، ولهذا أيضا كان الإسلام لا يأبى أبدا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة »[1] .

وكان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح فى الأمة وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية . لذلك يقول الإمام الشهيد :

« ... تستطيع أن تقول ولا حرج عليك أن « الإخوان المسلمين » :

١ – **دعوة سلفية** : لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

٢ – **وطريقة سنية** : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شئ وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

٣ – **وحقيقة صوفية** : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء

---

(١) انظر رسالة المؤتمر الخامس للإمام الشهيد حسن البنا .

القلب ، والمواظبة على العمل ، والإعراض عن الخلق ، والحب فى الله ، والارتباط على الخير .

٤ — **وهيئة سياسية** : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل ، وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج ، وتربية الشعب على العزة والكرامة ، والحرص على قوميته إلى أبعد حد .

٥ — **وجماعة رياضية** : لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن النبى ﷺ يقول : « إن لبدنك عليك حقا » وأن تكاليف الإسلام كلها لايمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لابد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح فى طلب الرزق ، ولأنهم تبعا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيرا من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

٦ — **ورابطة علمية ثقافية** : لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان هى فى الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ، ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

٧ — **وشركة اقتصادية** : لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه ، وهو الذى يقول نبيه ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول : « من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورا له » ، « إن الله يحب المؤمن المحترف » .

٨ — **وفكرة اجتماعية** : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولا لكل مناحى الإصلاح ، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى ، وهم فى الوقت الذى يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعا ، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعا !! .

وبعد أن حدد الإمام الشهيد معنى الإسلام وصورته الماثله فى نفوس الإخوان المسلمين حدد غاية الإخوان ووسائلهم ومهمتهم تماما . فقال :

« إن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح ، يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ .

وأن وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى تغيير العرف العام ، وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم ، حتى يكونوا قدوة لغيرهم فى التمسك بها ، والحرص عليها والنزول على حكمها » .

وفى نفس المؤتمر الخامس أعلن الإمام الشهيد موقف الإخوان المسلمين من الحكم فقال :

« ... الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من أركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد ، وقديما قال الخليفة الثالث رضى الله عنه (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ، وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام . والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع ، فالإسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لاينفك واحد منها عن الآخر ، والمصلح الإسلامى إن رضى لنفسه أن يكون فقيها مرشدا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويرد الفروع والأصول ، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى واد ، ونفخة فى رماد وكما يقولون . ويضيف :

... قد يكون مفهوما أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد وإذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاءً لأوامر الله ، وتنفيذا لأحكامه ، وإيصالا لآياته . وأحاديث نبيه ﷺ ، وأما والحال كما نرى : التشريع الإسلامى فى واد والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر ، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لايكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف .

« هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف ، وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن

وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة ، والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم يجدوا فالحكم من مناهجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله ... »[1] .

وفى رسالة « بين الأمس واليوم » التى وصفها الإمام الشهيد فى فجر الفكرة ، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، حدد الإمام الشهيد الأهداف العامة لجماعة الإخوان المسلمين . فقال تحت عنوان « أهدافنا العامة » :

« ماذا نريد أيها الإخوان ؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل ؟ أم سعة الجاه وهو عرض حائل ؟ أم نريد الجبروت فى الأرض : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ الأعراف . ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجعلها لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُواً فى الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . القصص . شهد الله أننا لا نريد شيئا من هذا ، وما لهذا عملنا ، ولا إليه دعونا ، ولكن اذكروا دائما أن لكم هدفين أساسيين .

١ – **أن يتحرر الوطن الإسلامى** من كل سلطان أجنبى ، وذلك حق طبيعى لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر .

٢ – **أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة** ، تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى ، وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة للناس ، ومالم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آثمون ، مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها ، وقعودهم عن إيجادها ، ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادىء الظالمة ، وتنادى بالدعوات الغاشمة ، ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام »[2] .

ويحدد الإمام الشهيد فى نفس الرسائل الوسائل العامة للجماعة فيقول تحت عنوان : **وسائلنا العامة :**

---

(١) انظر رسالة المؤتمر الخامس .

(٢) انظر رسالة « بين الأمس واليوم » للإمام الشهيد .

« كيف نصل إلى هذه الأهداف ؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدى نفعا ، ولا يحقق غاية ، ولا يصل بالداعين إلى هدف من الأهداف ، ولكن للدعوات وسائل لابد من الأخذ بها والعمل لها ، والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

١ - الإيمان العميق .

٢ - التكوين الدقيق .

٣ - العمل المتواصل .

وتلك هى وسائلكم العامة أيها الإخوان ، فآمنوا بفكرتكم ، وتجمعوا حولها ، واعملوا لها ، واثبتوا عليها » .

وببصيرة نافذة يحذر الإمام الشهيد أبناء الدعوة من تثبيط المثبطين فيقول :

« سيقول كثير من الناس : وماذا تعنى هذه الوسائل ؟ وما عساها أن تنفع فى بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ، ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة ؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا ؟ وكيف تصنعون فى قضية المرأة ؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة ؟ فاعلموا أيها الإخوان أن وساوس الشيطان يلقيها فى أمنية كل مصلح ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . واذكروا لهؤلاء جميعا أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة ، والأمة التى تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت !! »[1] .

وبنفس البصيرة النافذة وبإدراك ووعى بسنة الله فى الدعوات يصارح الإمام الشهيد أنصار الدعوة ورجالها ، ويبصرهم بتبعات الطريق وتكاليفه ، وما ينتظرهم ، وما سيلاقونه من عقبات فيقول تحت عنوان : **العقبات فى طريقنا** :

---

(١) انظر رسالة « بين الأمس واليوم » للإمام الشهيد .

« أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة ، وعداوة قاسية ، وستجدون أمامكم كثيرا من المشقات ، وسيعترضكم كثير من العقبات ، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات . أما الآن فلازلتم مجهولين ، ولازلتم تمهدون للدعوة ، وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد . سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام ، وينكر عليكم جهادكم فى سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم ، وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان ، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات ، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة ، وأن يظهروها للناس فى أبشع صورة ، معتمدين على قوتهم وسلطانهم ، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة . وستدخلون بذلك ولا شك فى دور التجربة والامتحان ، فتسجنون وتعتقلون ، وتنقلون وتشردون ، وتصادر مصالحكم ، وتعطل أعمالكم ، وتفتش بيوتكم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونْ ﴾ العنكبوت . ولكن إن وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ، ومثوبة العاملين المحسنين : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمْ ...... فَأَيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهرين ﴾ الصف . فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟!! »[1] .

---

(١) انظر رسالة « بين الأمس واليوم » .

كان المؤتمر الخامس نهاية مرحلة وبداية مرحلة ثانية ... وقد كتب الإمام الشهيد فى افتتاحية العدد الأول من مجلة « النذير » التى صدر العدد الأول منها فى مايو ١٩٣٨ الموافق ربيع الأول ١٣٥٧ يحدد ملامح المرحلة الثانية للدعوة وتحت عنوان : **خطوتنا الثانية** قال :

« منذ عشر سنوات بدأت دعوة الإخوان المسلمين خالصة لوجه الله ، مقتفية أثر الرسول الأعظم ﷺ سيد الزعماء ، وأهدى الأئمة وأكرم خلق الله ، مُتخذة القرآن منهاجا ، تتلوه وتتدبره وتقرأه وتتفحصه وتنادى به ، وتعمل له ، وتنزل على حكمه ، وتوجه إليه أنظار الغافلين عنه من المسلمين وغير المسلمين ، وكذلك كانت وستظل دعوة إسلامية محمدية قرآنية ، لا تعرف لونا غير **الإسلام ^ ولا تصطبغ بصبغة غير صبغة الله العزيز الحكيم ^ ولا تنتسب إلى قيادة غير رسول الله** ﷺ ، ولا تعلم منهاجا غير كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والإسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ، ولا ينفك واحد من هذين عن الآخر (إن الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن) ويتساءل الناس : ما خطوتكم الثانية ؟! ... » .

« سننتقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة ، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال ، وسنتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه ، وحكامه وشيوخه ونوابه وأحزابه ، وسندعوهم إلى مناهجنا ، ونضع بين أيديهم برنامجنا ، وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم بل زعيم الأقطار الإسلامية فى طريق الإسلام ، فى جرأة لا تردد معها ، وفى وضوح لا لبس فيه ومن غير مواربه أو مداراة فإن الوقت لا يتسع للمداورات ، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم ، وإن لجئوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة ، فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب ، أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام ، ولا تسير فى الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام ، سنعلنها خصومة لا سلم فيها

ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين !! »[1] .

وعن موقف الإخوان من الحكام والزعماء والأحزاب والهيئات يقول الإمام الشهيد فى نفس الافتتاحية مخاطبا الإخوان :

« ... فى هذه الخطوة ... ستخاصمون هؤلاء جميعا فى الحكم وخارجه ، خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم ، ويتخذوا تعاليم الإسلام منهاجا يسيرون عليه ، ويعملون له ، وسيكون هؤلاء جميعا منضمين لكم فى وحدة قوية ، وكتلة متراصة متساندة ، إن أجابوا داعى الله وعملوا معكم ، وحينئذ يجتمعون ولا يتفرقون ، ويتحدثون ولا ينتقدون ، فهو موقف إيجابى واضح لا يعرف التردد ، ولا يتوسط بين الحب والبغض ، فإما ولاء وإما عداء ، ولسنا فى ذلك نُخالف خطتنا ، أو ننحرف عن طريقنا ، أو نغير مسلكنا بالتدخل فى (السياسة) كما يقول الذين لا يعلمون ، ولكنا بذلك ننتقل خطوة ثانية فى طريقتنا الإسلامية ، وخطتنا المحمدية ، ومنهاجنا القرآنى ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءاً من الدين ، وأن يشمل الإسلام الحاكمين والمحكومين ، فليس فى تعاليم الإسلام اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولكن فى تعاليم الإسلام : قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار .

... أيها الإخوان : أعلن لكم هذه الخطوة على صفحات جريدتكم هذه لأول عدد منها ، وأدعوكم إلى الجهاد العملى بعد الدعوة القولية ، والجهاد بثمن وفيه تضحيات ، وسيكون من نتائج جهادكم هذا فى سبيل الله والإسلام أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد وما فوق الاضطهاد ، وأن يتعرض الأحرار منكم للمعاكسة وأكثر من المعاكسة ، وأن يدعى المترفون منكم إلى السجون وما هو أشق من السجون ، ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، فمن كان معنا فى هذه الخطوة فليتجهز ويستعد لها ، ومن قعدت به ظروفه أو صعبت عليه تكاليف الجهاد سواء كان شعبة من شعب الإخوان أو فردا من أعضاء الجماعة فليبتعد عن الصف قليلا ، وليدع كتيبة الله تسير ، ثم فليلقنا بعد ذلك فى ميدان النصر إن شاء

---

(١) انظر كتاب : الدولة والسياسة فى فكر حسن البنا . جابر رزق .

الله . ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه ﴾ ولا أقول لكم إلا كما قال إبراهيم عليه السلام من قبل ﴿ مَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] » .

وقد كان ... وتحققت نبوءات الإمام البنا ، ودخلت الجماعة والدعوة طورا جديدا ، بدخولها ساحة العمل السياسى ، وحددت مواقفها من جميع القوى السياسية فى وضوح وصراحة وحزم وحسم وشجاعة ، واتسعت ميادين نشاطها وتضاعفت ، وأقبلت على الانضمام لصفوفها جماهير الشعب المصرى خاصة عنصر الشباب الجامعى ومختلف الطوائف العمالية والمهنية من عمال وصناع وتجار وأصحاب أعمال ومهندسين وموظفين. وأطباء ومدرسين ومحامين ، وأصبح بها ممثلون لطوائف المجتمع المصرى بجميع طبقاته وفئاته ، وأصبحت الجماعة قوة يحسب لها كل حساب .

وتوالى على حكم مصر فى حقبة الأربعينات مجموعة من رؤساء الوزارات هم : على ماهر ، وحسن صبرى ، وحسين سرى ، ومصطفى النحاس ، وأحمد ماهر ، والنقراشى ، وإسماعيل صدقى ، ثم النقراشى ، وإبراهيم عبدالهادى ، ونزلت الجماعة بكل ثقلها فى الميدان ، فكانت تراقب أعمال كل حكومة ، وتنقد منها ما تراه منحرف عما هو فى صالح قضايا الوطن ، وكان يتراوح هذا النقد بين النصيحة التى تتضمنها صحفهم أو رسائلهم المفتوحة أو الخاصة وبين الإضرابات والمظاهرات والإنذارات ، وبدت لجماهير الشعب المصرى كأنما هى الجماعة الوحيدة التى أخذت على عاتقها الدفاع عن قضايا الوطن وقضايا العروبة والإسلام ، مما أحنق عليها كل الأحزاب والهيئات ، التى كافحت طويلا **لإقصاء الفكر** الإسلامى عن الساحة ، ونشر الفكر العلمانى الغربى ، فتكاتفت جميعا – على ما بينها من نزاعات وصراعات وتنافس – وشنت حملتها على هذه القوة الجديدة التى تزلزل الأرض من تحت أقدام الجميع .

وعلى يد حكومة حسين سرى – وبأمر من الانجليز – بدأت محنة الإخوان المسلمين الأولى ، فصادرت صحفها ، وأغلقت مطبعتها ، ومنعت طبع رسائل

---

(١) انظر كتاب : الدولة والسياسة فى فكر حسن البنا . جابر رزق .

الإمام الشهيد ، وحرم على الصحف نشر أى شىء عنها ، ومنعت اجتماعاتها ، ونقل الإمام الشهيد إلى قنا فى أقصى الصعيد ، ونقل وكيل الجماعة إلى دمياط ، فلما أعيد الإمام البنا بضغط من الحملة البرلمانية إلى القاهرة عادت حكومة سرى فاعتقلته ، ثم اضطرت مرة أخرى للإفراج عنه هو وسكرتير الجماعة تحت تهديد اعتصام الإخوان بالمساجد ، وإثارة الشعب الذى كان مستعدا فى ذلك الوقت تمام الاستعداد للاستثارة .

وقد كانت حكومات تلك الحقبة أدوات طيعة فى يد المستعمرين الإنجليز ، لا يبالون بحريات الشعب وكرامته مادام فى ذلك إرضاء لسادتهم الإنجليز ، بل لم تكن تبالى هذه الحكومات فى سبيل الوصول إلى تلك الغاية وهى إرضاء المستعمرين أن تحارب الجماعات الإصلاحية التى تعمل لصالح الدين والوطن ، وتشرد العاملين المخلصين ، وتبطش بهم إذا لزم الأمر ، وتعتقلهم وتسجنهم وتحرم على الجرائد ذكر اسمهم ، وإن كان هذا الاضطهاد والتشريد قد أدى إلى عكس النتيجة المرجوة منه ، فقد استرعى أنظار الجماهير ، وكسبت الجماعة عددا جديدا من الأنصار .

ثم جاءت حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس إثر حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ورغب الإمام الشهيد أن يرشح نفسه نائبا فى البرلمان عن دائرة الإسماعيلية مهد الدعوة ليمثل الإخوان المسلمين وينطق بلسانهم رجاه « النحاس باشا » أن يعدل عن الترشيح حتى لا ينفذ الإنجليز تهديدهم فاستجاب الإمام البنا ، وبدأ النحاس بمهادنة الإخوان ، فسمح لهم بالاجتماعات ، وأعاد إليهم المجلة والمطبعة ، ثم تكرر ضغط السفارة البريطانية ، مرة أخرى ، فعادت المحنة فى صورة أشد من الأولى ، إذا أغلق النحاس جميع الشعب ماعدا المركز العام ، وضيق عليهم فى اجتماعاتهم ومطبوعاتهم وسائر نواحى النشاط الأخرى ، وقابل الإخوان شدة الحكومة الوفدية بالأناة والصبر ، فعدلت الحكومة النحاسية عن شدتها ، واستمر الموقف بينهما يتقلب بين الشدة واللين ، تارة تدع الحكومة لهم الحرية فيعملون ، وطورا ترهقهم بالتضييق فيصبرون ، ومع ذلك ظلوا على عادتهم فى تقديم النصح كتابة ومشافهة إلى أن أقيلت وزارة النحاس سنة ١٩٤٤ .

بعد وزارة مصطفى النحاس جاءت وزارة أحمد ماهر ، فأخذت الإخوان المسلمين بالشدة ، وحالت دون نجاح من رشح نفسه للنيابة منهم بناء على قرار مؤتمر الإخوان العام ١٩٤١ بأن يرشح الأكفاء أنفسهم على أساس خدمة المنهج الإسلامى داخل البرلمان .. ورشح الإمام البنا نفسه للمرة الثانية فى دائرة الإسماعيلية أيضاً – موطن الدعوة الأول – ولأول مرة فى تاريخ الحياة النيابية فى مصر يقيم أهالى دائرة الإسماعيلية على حسابهم الخاص ستين سرادقا للدعاية الانتخابية فى مختلف أنحاء المدينة خلال مدة الدعاية ، وكان كل ما فى البلد ينطق بأن الفوز الساحق سيكون من نصيب الإمام البنا ، فإعلانات الحوائط ، وهتافات الشعب ، وتلاميذ المدارس كلها تنادى (الأستاذ البنا زعيم النهضة الإسلامية) ولكن كلا من حكومة أحمد ماهر والقيادة الإنجليزية قد عملتا بكل ما عندهما من وسائل لإسقاط الإمام الشهيد ، أما الحكومة الماهرية فلإرضاء الإنجليز أولا ، ولإنجاح مرشح الأحرار الدستوريين شركائهم فى الحكم ثانيا ، أما القيادة البريطانية فبناء على تعليمات السفارة البريطانية التى كانت ترصد نشاط الإخوان ، وتدرك خطرهم على مطامعها الاستعمارية ، وكانت عربات الجيش الإنجليزى تعمل علنا لحساب المرشح الآخر ، وتنقل ناخبيه إلى أماكن الانتخاب ، كما نقلت كثيرا من العمال العاملين بالمعسكرات البعيدة عن الدوائر الانتخابية ، وبالرغم من كل ما حدث من وسائل الضغط والإرهاب والإغراء والتهديد والتزوير فقد فاز الإمام البنا على منافسه ، ولكن الانتخابات أعيدت للفروق اليسيرة بين الأصوات ، وفى الإعادة طرد حاكم سيناء العسكرى الإنجليزى مندوبى الإمام البنا من لجان العريش وسيناء ، وضاعفت عربات الجيش البريطانى نشاطها فى استجلاب العمال من المعسكرات البعيدة والقريبة ، فقفز العدد فى بعض اللجان لحساب المرشح الآخر أضعاف ما كان عليه فى الانتخاب الأول لكل من المرشحين معا ، وهكذا أسقط الإمام البنا ، وأسقط معه جميع مرشحى الإخوان المسلمين فى كل الدوائر الأخرى .

وحين أعلن أحمد ماهر الحرب على ألمانيا وإيطاليا لصالح الإنجليز دون قيد ولا شرط وبغير مقابل على الإطلاق عارضه الإخوان المسلمون ، وكتبوا إليه يطالبونه بالعدول عن ذلك . ثم اغتال العيسوى أحد شباب الحزب الوطنى أحمد

ماهر لهذا السبب ، وتولى محمود فهمى النقراشى (الحزب السعدى) الحكم ، وبدأ حكمه باعتقال الأستاذ البنا والسكرتير العام وبعض الإخوان بتهمة الاشتراك فى حادث الاغتيال ، وكان السبب فى الاعتقال هو أن العيسوى ذكر فى معرض التحقيق معه أنه يطلب أخذ رأى زعماء البلد فى إعلان الحرب على دول المحور ، وذكر اسم الأستاذ البنا فى معرض أسماء الزعماء الذين يجب أخذ رأيهم ، ولكن النيابة أفرجت عنهم بعد ذلك ، وبادر الأستاذ البنا إلى زيارة النقراشى الذى لم يستجب لرجاء الأستاذ البنا ، وفرض على الإخوان أثقل القيود على نشاطهم واجتماعاتهم ، وراقب دورهم وتنقلاتهم ، وحرمهم من الاجتماعات وأعنتهم أشد الإعنات .

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، ودخلت الجماعة بعد ذلك فى دور المحنة الكبرى ، فقد كانت السنوات الأربع التالية لنهاية الحرب العالمية الثانية فترة غليان فى الساحة المصرية السياسية كلها ، نزلت الجماعة فيها إلى المعترك السياسى بكل ثقلها ، واصطدمت اصطدامات بالغة العنف بكل الحكومات التى توالت فى تلك الحقبة ، وتزعمت الجماعة قيادة الحركة الشعبية ، وألهبت المشاعر الوطنية المطالبة بحقوق البلاد التى كان الإنجليز قد وعدوا بها أثناء الحرب ، واجتمعت الجمعية العمومية للإخوان فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ م — ١٣٦٤ هـ . وأدخلت بعض التعديلات على النظام الأساسى حتى أضحى شاملا لجميع غاياتها ووسائلها بصورة واضحة ، وأقاموا عددا من الشركات الاقتصادية المتنوعة ، درت عليهم الأرباح ، ومكنت لهم فى أوساط العمال ، وأصدر الإخوان جريدتهم اليومية (الإخوان المسلمون) وصدر العدد الأول منها فى مايو سنة ١٩٤٦ الموافق جمادى الثانى ١٣٦٥ ، وأضحى بذلك صوتهم مسموعا فى مصر والبلاد العربية ، وأنشأوا الكتائب ، وأقاموا أماكن التدريب على الأعمال العسكرية ، ونظموا الشعب تنظيما دقيقا فى مصر والأقطار العربية ، ووزعوا الأعمال على الأعضاء ، وأوثقوا العهود بصورة بيعة لرئيس الشعبة فالمرشد العام شخصيا ، وقرروا السمع والطاعة فى المنشط والمكره مقرونا بالقسم .

وبلغ عدد أعضاء الجماعة فى مصر وحدها نصف مليون والأعضاء المنتسبون والمؤازرون بلغوا أضعاف هذا العدد . أما عدد شعبهم فى مصر وحدها

فبلغ ألف شعبة ، وفى السودان خمسون شعبة عدا شعبهم فى البلاد العربية والإسلامية ، وكان لهم أصدقاء وأنصار ومحبون فى أوروبا وأمريكا ... ولهذا لقيت الجماعة مقاومة فى غاية العنف من قبل الحكومات التى وليت الحكم بعد الحرب العالمية الثانية . وزار الإمام البنا النقراشى رئيس الوزراء ثانية وأهاب به أن يسرع بالعمل فى سبيل الحقوق القومية واستقلال وادى النيل ووحدته وإلا فليدع الأمة إلى الجهاد ويتقدمها فى سبيله .

وقدم النقراشى مذكرة إلى الحكومة البريطانية ، وجاءه الرد عليها ، ولم يرض الإخوان عن هذه المساجلة القلمية ، وقاموا بمظاهرة مع الطلاب ، أدت إلى معركة مع البوليس فى حادثة كوبرى عباس الشهيرة ، واستقالت الوزارة ، وانصرف الإخوان إلى إثارة الشعب ، وإيقاظ وعيه بالمؤتمرات العامة تارة ، وزيارة القرى والريف تارة أخرى وبالرسائل والأحاديث والنشرات ، وتولوا زمام المعارضة الداعية إلى الجهاد ، وتركزت جهودهم فى هذه الناحية طمعا فى أن تنال البلاد استقلالها التام .

وجاءت حكومة إسماعيل صدقى ، واشتدت المظاهرات ، ودعا الأستاذ البنا جميع الأحزاب والهيئات لتأليف لجنة قومية توحد القوى وتنظم الصفوف ، ولكنه لم يجد مؤازرة من الأحزاب ، وعندئذ رأى أن يجنح إلى النصح يقدمه إلى صدقى على أساس قطع المفاوضات مع الإنجليز والاتجاه إلى الجهاد السافر ، واستمر نشاطهم السياسى فى هذا النهج ، وأخذوا يحاسبون حكومة صدقى حسابا عسيرا ، ويتهمونها بممالأة الأجانب على حساب الوطن ، والتساهل مع الشركات التى كانت تلبس أثوابا مصرية مستغلة ، وبعجزها عن علاج مشكلة العمال العاطلين ، وبترددها فى قطع المفاوضات وإعلان الجهاد . واشتدت حملة صحافة الإخوان على المفاوضات وعلى حكومة إسماعيل صدقى وعلى الإنجليز بوجه خاص ، وشن عليهم إسماعيل صدقى حملة ، واعتقل عددا منهم ، وصادر جريدتهم ثم قبض على وكيل الجماعة ، وقابله الإخوان بحملة مثلها . ووقعت انفجارات فى القاهرة والإسكندرية ، واتهمتهم الحكومة بها ، فحوصرت دورهم ، وفتشت ، وقاد صدقى حملة واسعة النطاق من النقل والتشريد ، تناولت خلصاء الموظفين من

الإخوان المسلمين فى شتى المصالح والوزارات . وقد كان للإخوان اليد الطولى فى فشل مشروع صدقى بيفن ، وفى إسقاط حكومته بعد ذلك ، فهل بعد ذلك يمكن أن يصدق عاقل اللفظ الذى حاول أعداء الإخوان إلصاق تهمة التحالف مع صدقى بالجماعة ومن ثم التحالف مع الإنجليز ؟!! .

وجاءت وزارة النقراشى الثانية فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ م وفى يوم تأليفها ، نشر الأستاذ البنا مقالا دعا فيه الحكومة الجديدة إلى اختصار الطريق ، واحترام إرادة الأمة ، وإنهاء المفاوضات وسلوك سبيل الجهاد ، ثم تابع نشر مقالاته فى الجريدة مسفها منهاج الحكومة ، مشيرا إلى أنها حاربت الإخوان ، وأغلقت مدارسهم ، وسجنت أحرارهم ، ولا حقتهم بالتضييق والإرهاق ، وكانت هذه بداية حرب بين النقراشى والإخوان ، زادتها قضية فلسطين التى ساهم فيها الإخوان مساهمة فعالة ، وسطر فدائيوهم صفحات مشرقة من الجهاد ، وكانت محل قوتهم ونفوذهم من جهة ومصدر عزة لهم فى مصر والعالم العربى بل والإسلامى . وقد اشترك الإخوان فى المعركة تحت إشراف الجامعة العربية ، وأتاح لهم هذا الاشتراك المسلح التمرن على القتال ، كما كشف عن قدراتهم القتالية ومدى نفوذهم ، وخشيت حكومة النقراشى سلطتهم ، فاغتنمت فرصة وقوع حوادث عنف فى داخل البلاد واتهمتهم بأنهم وراءها ، وأنهم ينوون إحداث انقلاب ، وقام النقراشى بالمهمة كاملة ، فحل الجماعة بعد عريضة اتهام طويلة مغعمة بالأكاذيب ، واعتقل كل رجال الحركة البارزين بناء على الأمر العسكرى رقم ٦٣ المؤرخ فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، وأغلق جميع الأماكن المخصصة لنشاطهم ، وصادر جميع الأوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال وكافة الأشياء المملوكة للجماعة ، وتبع هذا الأمر العسكرى صدور أوامر عسكرية أخرى بتصفية شركاتهم والعمل على استخلاص أموال الجماعة لتخصيصها فى الوجوه العامة التى يقررها وزير الشئون الاجتماعية ، وحاول الأستاذ البنا أن يسوى الموقف مع النقراشى ولكن لم يجد منه ولامن الحكومة أدنى استعداد ، وقضى اغتيال النقراشى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ على هذه المحاولات ، وقد تم حادث اغتيال النقراشى على يد مجموعة من شباب الإخوان وبدون إذن أو موافقة

من الإمام البنا ، فازداد الموقف حرجا بين الإخوان والحكومة ، ودخلت الجماعة واحدة من محنها الكبرى .

وأحب هنا أن أقول أن حقبة الأربعينات تميزت عن كل الحقب السابقة أو اللاحقة فى تاريخ النضال الوطنى ، بأن جميع القوى الوطنية قد اتخذت من « المسدس » وسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية ، حتى الأحزاب السياسية والهيئات صارت لها مليشيات وتشكلت خارج الأحزاب ومن بين الشباب عصابات مكونة من أعداد قليلة مسلحة ، نفذت العديد من عمليات الاغتيال خاصة اغتيال جنود وضباط المحتلين الإنجليز ، ثم اغتيال أو محاولة اغتيال العناصر البارزة فى الحكم المتهمة بالعمالة للمحتل الغاصب ، أو المفرطة فى الحقوق الوطنية ، وتاريخ حقبة الأربعينات خير برهان على صحة ما نقول ، فقد اغتيل أحمد ماهر بعد إعلانه الحرب على دول المحور ، وانحياز مصر إلى جانب الإنجليز ، واغتيل أمين عثمان وشارك فى عملية الاغتيال مع مجموعة حسين توفيق ، وأنور السادات ، وهناك أكثر من محاولة لاغتيال مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد شارك أنور السادات فيها ، ومحاولة اغتيال حسين سرى عامر التى شارك فيها جمال عبدالناصر والكثير .. الكثير من حوادث اغتيال الضباط الإنجليز على يد عصابة اليد السوداء التى شارك فيها أنور السادات . وحوادث الاغتيال أو النسف التى قام بها شباب الإخوان فى تلك الحقبة كانت ضمن تلك الموجة التى اجتاحت العمل السياسى فى مصر . ومن الظلم حصر الاتهام فى جماعة الإخوان المسلمين ، والاستدلال بالأحداث التى وقعت من بعض شبابهم على الاتجاه الإرهابى للجماعة ، وهى بريئة كل البراءة لأن الإسلام وهو عقيدتها - يعظم حرمة قتل النفس البشرية بغير حق و ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّما أَحْيا الناس جميعا ﴾ كما أن الجماعة لا تكفر مرتكب الكبيرة ، ولا تتهم أحداً بالكفر ، ولا تستحل دم كل من نطق بالشهادتين ، ومنهج الجماعة يرفض فكرة الانقلابات العسكرية ، والاستيلاء على السلطة كوسيلة من وسائل إقامة دين الله فى الأرض ، وإنما منهج الجماعة فى هذا واضح وهو إيجاد الفرد المسلم ... فالأسرة المسلمة فالمجتمع المسلم الذى تنبثق منه الحكومة المسلمة

بطريقة طبيعية تلقائية ، وستبقى كلمة المرحوم الأستاذ حسن الهضيبى المرشد الثانى تصك الآذان « أقيموا دولة القرآن فى قلوبكم تقم فى أرضكم » .

والثابت من الوثائق الصحيحة التى قدمت لهيئة المحكمة التى نظرت قضية (السيارة الجب) التى اتهم فيها شباب الإخوان بمحاولة قلب نظام الحكم ، وتغيير دستور الدولة بالقوة ، أن القرار بالأمر العسكرى الذى أصدره النقراشى رئيس الوزراء بحل جماعة الإخوان المسلمين ، واعتقال جميع أفراد الجماعة ، وترك الإمام حسن البنا دون اعتقال لتنفيذ جريمة الاغتيال ، لم يكن إلا تنفيذا لما انتهى إليه سفراء انجلترا وأمريكا وفرنسا ، الذى عقد فى معسكرات فايد ، وقرروا اتخاذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جماعة الإخوان المسلمين .

وحتى يكون هناك مبررا لتنفيذ الخطة المدبر قدم الأجانب فى مصر شكوى فى ١٩٤٨/٧/٩ إلى السفير البريطانى فى القاهرة يذكرون فيها أن حياتهم فى مصر أصبحت لا تطاق للاعتداءات التى تقع عليهم فى شوارع القاهرة ، بزعم أن لهم صلة باليهود الذين يحاربونهم فى فلسطين ، وذلك رغم أنهم أظهروا حسن نواياهم نحو المصريين ، ويؤكدون أن سلطات البوليس المصرى لم تتدخل لمنع هذه الجرائم ، وأن الإشاعات الرائجة هى أن جمعية الإخوان المسلمين تلعب دورا هاما فى هذه الحوادث !! .

وجاء فى ختام الشكوى وسنكون عارفين لفضلكم لو أنكم اتخذتم الإجراءات اللازمة لوضع حد لهذه الحوادث المشينة .

وفى ١٩٤٨/١١/١٠ اجتمع سفراء إنجلترا وأمريكا وفرنسا فى فايد ، وقرروا اتخاذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قد قام بها أعضاؤها ، وأرسلت هذه الإفادة إلى رئيس المخابرات تحت رقم ١٣ فى ١٩٤٨/١١/١٣ وترجمة الخطاب كالآتى :

الموضوع اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا فى فايد فى ١٩٤٨/١١/١٠ .

رقم القيد ١٨٤٣ / ا س / ٤٨

التاريخ ١٩٤٨/١١/١٣ .

إلى رئيس المخابرات رقم ١٣ .

« فيما يختص بالاجتماع الذى عقد فى فايد فى ١٠ الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا أخطركم أنه ستتخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين ، التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاؤها » .

إمضـــاء

(ج. د .اوبــريان ماجور)

وفى ١٩٤٨/١١/٢٠ أرسل رئيس إدارة المخابرات فرع (أ) بقيادة القوات البريطانية بالشرق الأوسط إلى إدارة المخابرات ج. س - ١٣ فى القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر خطابا هذه ترجمته الحرفية :

الموضوع : جمعية الإخوان المسلمين .

رقم القيد : ١٦٧٠ /أ ن ت ب ١٩٤٨/١١/٢٠ إلى إدارة ج - س - ١٣

القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر والشرق الأوسط .

١ - بخصوص مذكرتكم رقم ٧٣٤/ أ ن ت / ب / ٣٨ المؤرخة فى ١٩٤٨/١١/١٧ .

٢ - لقد أخطرت هذه القيادة العليا رسميا من سفارة صاحب الجلالة البريطانية بالقاهرة ، أن خطوات دبلوماسية ستتخذ بقصد إقناع السلطات المصرية بحل جمعية الإخوان المسلمين فى أسرع وقت ممكن .

فيما يتعلق بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الأجانب المقيمين فقد أرسلت لوزارة الخارجية للعلم .

التوقيع
رئيس إدارة حرف أ
فى الشرق الأوسط
كولونيل أ. م. ماك درموث

وبناء على ذلك أبلغت السفارة البريطانية النقراشى بهذا القرار المطلوب وهو حل جماعة الإخوان المسلمين فى أسرع وقت ممكن ، وكان ذلك مصحوبا بتبليغ شفوى بأنه فى حالة عدم حل الإخوان المسلمين فستعود القوات البريطانية إلى احتلال القاهرة والإسكندرية ، استدعى رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى وزير الداخلية وقتئذ اللواء عبدالرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية وشرح له الأمر ، وهو طلب السفارة البريطانية حل جمعية الإخوان المسلمين وإلا احتلوا القاهرة والإسكندرية ، وطلب منه كتابة مذكرة تبرر حل جمعية الإخوان المسلمين أمام الرأى العام ، حتى لا يظهر أنه ينفذ ما طلبته السفارة البريطانية من تدخل سافر فى الشئون الداخلية لمصر وهى دولة مستقلة ذات سيادة من الناحية الرسمية !! تعهد اللواء عبد الرحمن عمار بذلك ، واتصل بالمديرين وطلب منهم أن يوافوه بالحوادث التى كان الإخوان المسلمون طرفا فيها ولو كان مجنيا عليهم ، وقد ثبت هذا فى شهادته أمام محكمة الجنايات فى قضية مقتل النقراشى .

ولما علم الإمام الشهيد حسن النبا بما تبيته الحكومة من حل الإخوان بادر بالاتصال بإبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى وقتئذ ، وطلب منه أن يحدد له مقابلة مع الملك ، ليشرح له المضار والأخطار التى تترتب على حل جماعة الإخوان المسلمين ، ولكن إبراهيم عبدالهادى (زميل النقراشى وخليفته فى الحكم بعد اغتياله) أحاله على عبدالرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية ليتفاهم معه فى ذلك !! وقابل الإمام البنا عبدالرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية بمكتبه بالوزارة ، وكانت بينهما صلة قديمة حيث كان عبدالرحمن عمار مديرا للقليوبية ورئيسا شرفيا للإخوان بها ، ولما قابل عبدالرحمن عمار الإمام الشهيد حسن البنا قبل يده كعادته

وبكى لأن دولة الباشا (النقراشى) معذور لأن الإنجليز يهددون بإعادة احتلال القاهرة والإسكندرية ولابد من تنفيذ أمر الحل .

وفى ١٩٤٨/١٢/٤ عطلت جريدة الإخوان المسلمين اليومية إلى أجل غير مسمى .

وفى ١٩٤٨/١٢/٨ أصدرت وزارة الداخلية فى الساعة الحادية عشرة مساء قرارا بحل جمعية الإخوان المسلمين ، وانطلقت أبواق الحكومة والاستعمار تشيد بهذا العمل البطولى الخارق الذى أقدم عليه النقراشى ، وعجزت عنه الحكومات السابقة .. ، وانطلقت الاعتقالات والمصادرات للقضاء على الإخوان ، وإبعادهم عن الحياة العامة ، ونزع سلاح المتطوعين فى فلسطين ، ووضعوا فى معسكرات اعتقال ، ثم أرسلوا مكبلين بالحديد إلى معتقل هاكستيب ثم الطور جزاء بطولاتهم وجهادهم .

وفى لقاء الإمام الشهيد مع أحد الإخوان حذره الأخ من الاغتيال قال الإمام رضوان الله عليه :

– ماذا أصنع وقد اعتقلوا الإخوان وتركونى وحدى ، لقد طلبت منهم اعتقالى فرفضوا ، وقلت لهم إن كان الإخوان المسلمون عصابة إجرامية فأنا رئيسها ، إنكم بذلك تقتلوننى .. لقد قطعوا التليفون ... وسحبوا مسدسى المرخص .. واعتقلوا أخى عبد الباسط الذى كان يصاحبنى فى تنقلاتى ، واستولوا على سيارتى من أمام منزلى ، ومنعونى من السفر إلى الخارج ، وطلبت منهم الذهاب إلى عزبة أحد الإخوان بينها فرفضوا ، وكنت قد طلبت منهم زيارة الإخوان فى معتقلهم فى هاكستيب فرفضوا .... .

وكان الإمام الشهيد يردد قول الشاعر :

أىَّ يَوْمَىَّ مِنَ الموت آخر ؟
يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهب
ومن المقدور لا ينجى الحذر

وفى مساء يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ اغتيل الإمام حسن البنا فى قلب القاهرة أمام جمعية الشبان المسلمين ، بسلاح حكومى وموظفين حكوميين ، وكان ذلك تنفيذ لمخطط صليبى نفذته الحكومة والملك[١] .

نجحت المؤامرة التى أوصى بها ممثلو القوى الصليبية فى مصر ، وتبناها الملك فاروق ، ونفذتها حكومة إبراهيم عبدالهادى السعدية واستشهد الإمام البنا غيلة .

وقد كان أعداء الإسلام يظنون أنهم باغتيالهم مؤسس الجماعة ومرشدها وقائدها وحاديها وهاديها سيدمرون الجماعة ، ويستأصلون شأفتها ، ويوقفون مسيرتها ، ويقضون بذلك على هذه الحركة التجديدية الشمولية ، التى أيقظت قلوب شعوب الأمة الإسلامية ، ونبهت الأفهام بعد أن صححت المفاهيم ، ووضحت معالم الطريق . وإمعانا فى تحقيق هذا الهدف اشتد العسف بالإخوان ، الذين زج بهم فى المعتقلات قبل اغتيال النقراشى تهيئة لارتكاب جريمة العصر وبعد اغتيال النقراشى استمرت المحنة شهورا سبعة ، بلغت فيها الذروة حتى ظن بعض المراقبين أن الإخوان المسلمين لن تقوم لهم قائمة بعد هذه الضربة القاصمة التى بلغت ذروتها باغتيال المرشد الأول والمؤسس للجماعة .

ولكن الواقع والتاريخ يشهدان أن المحنة كانت كالنار صهرتهم وصفت معدنهم وميزت صفوفهم ، فخرج من صفوفهم المنافقون والمرجفون وخوار العزائم ، وبقيت غالبيتهم العظمى ثابتين على طريق الدعوة ، وخلف الإمام الشهيد حسن البنا قيادة جماعة الإخوان المسلمين « الإمام الممتحن »[١] الأستاذ حسن الهضيبى ، الذى تصدى لطاغية العصر جمال عبدالناصر ، الذى أراد أن يستأصل شأفة الجماعة ليحقق ما فشل فيه إبراهيم عبدالهادى ، لكن خاب سعيه فرغم محنة الربع قرن قضاها الإخوان خلف جدران السجون ورغم عشرات الشهداء الذين سقطوا على أعواد المشانق وفى ساحات التعذيب وخلف جدران السجون إلا أن الجماعة خرجت من المحنة كالذهب الأبريز ، لم تلن عزيمة أبنائها ولم يهنوا ولم

---

(١) انظر الأسرار الحقيقية لاغتيال حسن البنا . جابر رزق .

(١) الهضيبى ... الإمام الممتحن . جابر رزق تحت الطبع .

يضعفوا ولكنهم صبروا وصابروا وثبتوا ولا يزالون مرابطين ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ .

وخرج الإخوان من المعتقلات والسجون فى منتصف السبعينات مرفوعى الرؤوس ، لم يعطوا الدنية فى دينهم لأحد ، وواصلوا المسيرة يتقدمهم الشيخ الوقور المهاب الحيى المتواضع الصلب الشجاع الأستاذ عمر التلمسانى الذى ادخره الله لدعوته فحمل اللواء وصدع بالحق ، وأعلن موقف الجماعة فى صراحة ووضوح وشجاعة وحزم وتصدى للسياسات الخيانية التى اقترفها أنور السادات فى حق أمته ووطنه .. أطال الله فى عمره ... وبارك لنا فيه ... آمين .

وبعــد

فحتى الآن لم يكتب الكِتَابُ الذى يرسم للأجيال الجديدة من شباب الإسلام أبعاد شخصية الإمام الشهيد حسن البنا العملاقة ليتأسى به .. ويحتذى حذوه .. فأردت أن أضع بين يدى شباب الإسلام بالدرجة الأولى هذه الكتابات بأقلام تلامذة ومعاصرى الإمام الشهيد حسن البنا لعلها تقرب صورة الإمام الشهيد بعض الشىء ، وأضعها ثانية بين يدى الباحثين والمفكرين لعل الله يوفق منهم من يكتب الكتاب الذى تنتظره الأجيال الجديدة من شباب الدعوة الإسلامية . والله أسأل أن يسكن إمامنا الشهيد حسن البنا وإمامنا الممتحن حسن الهضيبى وجميع شهداء الإخوان المسلمين فردوسه الأعلى ، وألا يحرمنا من أجرهم ، ولا يفتنا بعدهم ، وأن يثبت أقدامنا على طريقه ، وأن يبارك لنا فى أستاذنا وقائدنا ومرشدنا الأستاذ عمر التلمسانى ، ويمد لنا فى عمره ، وأن يجازيه عنا وعن دعوته خير الجزاء ... آمين .

القاهرة فى (الإثنين) : ٢٦ ذو القعدة سنة ١٤٠٥ .

١٣ أغسطس سنة ١٩٨٥ .

جابر رزق

المرشد الملهم

بقلم / حسن الهضيبى ★

عرفته أول ما عرفته من غرس يده ... كنت أدخل المدن والقرى فأجد إعلانات عن « الإخوان المسلمون » دعوة الحق والقوة والحرية ... فخلت أنها إحدى الجمعيات التى تعنى بتحفيظ القرآن والإحسان إلى الفقراء ، ودفن الموتى ، والحث على العبادات من صوم وصلاة ... الخ .

وأن هذا قصاراها من معرفة الحق والقوة والحرية ... فلم أحفل بها فكثيرهم الذين يقرأون القرآن دون أن يفقهوه ، ودون أن يعملوا به ، وأكثر منهم

★ الأستاذ حسن إسماعيل الهضيبى ... هو المرشد الثانى لجماعة « الإخوان المسلمون » بعد استشهاد مؤسس الجماعة ومرشدها الأول الإمام حسن البنا ... تخرج من كلية الحقوق سنة ١٩١٥ ، واشتغل محاميا إلى شهر مارس سنة ١٩٢٤ ، حيث عين قاضيا فى المحاكم المصرية ، حتى صار مستشارا ممتازا فى محكمة النقض ، وكان من القلائل الذين اشتهروا بين رجال القضاء بالجمع بين العلم والنزاهة والحصافة وقوة الشخصية ، وبعد النظر ، وله تاريخ عريق فى المطالبة بجعل الشريعة الإسلامية قانون البلاد .

بدأت علاقته بجماعة « الإخوان المسلمون » فى عام ١٩٤٢ ، تشبع بالدعوة وتفهم غاياتها ، واتخذه الإمام الشهيد حسن البنا صفيا ومستشارا وموضع سره خاصة طوال الأيام السوداء من عهد إبراهيم عبد الهادى السابقة على استشهاد الإمام البنا .

اختاره الإخوان مرشدا لهم فى أكتوبر سنة ١٩٥١ رغم مرضه .. فكان اختيارا ربانيا أثبتت الأيام نفاذ بصيرته ... وصبره ... وثباته ... وصلابته لم يهن ... ولم يضعف ... ولم يحن رأسه لطاغية العصر جمال عبدالناصر ، وظل طوال حكم الدكتاتور رمزاً للصلابة والثبات والشجاعة والجرأة فى الصدع بكلمة الحق فى وجه الطاغية العميل ... دامت محنته أكثر من عشرين عاما ، فقد أدخلت جماعة « الإخوان المسلمون » السجون بعد تمثيلية « المنشية » فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ وبقوا خلف القضبان حتى عام ١٩٧٥ ... قضاها الإمام الممتحن حسن الهضيبى إما سجينا مع المسجونين من الإخوان ، وإما سجينا فى بيته ، أطال الله فى عمره حتى أراه مصرع الطاغية العميل ثم لقى ربه فى ....

الذين يصلون ويصومون ويحجون ، دون أن يكون لذلك أثر فى نفوسهم ، والإحسان إلى الفقراء كثيرا ما يوضع فى غير موضعه ويكون مخالفا للدين !! ... لم أحاول كما هى العادة أن أعرف شيئاً عن دعوة « الإخوان المسلمون » .

ثم التقيت يوما بفتية من الريف أقبلوا على – على غير عادة الأحداث مع من هم أكبر منهم سنا ومركزا – يحدثوننى ... فوجدت عجبا ... فتية من الريف ، لا يكاد الواحد منهم يتجاوز فى معارفه القراءة والكتابة يحسنون جلوسهم مع من هم أكبر منهم فى أدب لا تكلف فيه ، ولا يحسون بأن أحدا أعلى من أحد – ويتكلمون فى المسألة المصرية كأحسن ما يتكلم فيها شاب متعلم مثقف ، يعرفون من الأخطاء التى ارتكبت فى عرضها وفى المفاوضات التى جرت فيها وطريقة حلها ما لايدركه إلا القليل من الناس ، ويتكلمون فى المسائل الدينية كلام الفاهم المتحرر من رق التقليد ، ويبسطون الكلام فى ذلك إلى مسائل مما يحسبه الناس من صرف المسائل الدنيوية ، ويعرفون من تاريخ الرسول – ﷺ – وتاريخه هو تاريخ الرسالة – مالا يعرفه طلبة الجامعات ... فعجبت لشأنهم ، وسألتهم أين تعلموا كل ذلك ؟! فأخبرونى أنهم من الإخوان المسلمين ، وأن دعوتهم تشمل كل شيء وتعنى بالتربية والأخلاق والسياسة والاقتصاد والغنى والفقير ، وإصلاح الأسرة وغير ذلك من الشئون صغيرها وجليلها .. من ذلك الوقت تتبعت حركة الإخوان ، وصرت أقرأ مطبوعاتهم ، وأتصل بهم دون أن أعرف الداعية إلى ذلك ... ولكنى عرفته من غرس يده قبل أن أعرف شخصه .

كان يوم خرجت فيه أنا وبعض زملائى لمشية العصر على حافة النيل فوجدنا جمعا من الجوالة سألناهم عن شأنهم فعلمنا أن حسن البنا سيلقى خطبة فى حفل الليلة ... فوافينا الحفل وسمعنا حسن البنا .

... لقد تعلقت أبصارنا به ، ولم نجد لأنفسنا فكاكا من ذلك ، وخلت والله أن هالة من نور أو مغناطيس تحف بوجهه الكريم فتزيد الانجذاب إليه ... خطب ساعة وأربعين دقيقة كان شعورنا فيها شعور الخوف من أن يفرغ من كلامه ، وتنقضى هذه المتعة التى أمتعنا الله بها ذلك الوقت ... .

إن كلامه كان يخرج من القلب إلى القلب شأن المتكلم إذا أخلص النية لله ، وما أذكر أنى سمعت خطيبا قبله إلا تمنيت على الله أن ينتهى خطابه فى أقرب وقت . كان الجدول الرقراق الهادىء ينساب فيه الماء لا علو ولا انخفاض ، أو كالموسيقى العذبة ليس فيها نشاز ... يخاطب الشعور فيلهبه ، والقلب فيملؤه إيمانا ، والعقل فيسكب فيه من المعلومات ألوانا .

انقضى وقت طويل بعد ذلك دون أن ألتقى به . ولما أذن الله بذلك التقينا فإذا تواضع جم ، وأدب لا تكلف فيه ، وعلم غزير ، وذكاء فريد ، وعقل واسع ملم بالشئون جليلها وحقيرها ، وآمال عراض – كل ذلك يحفه روح دينى عاقل لا تعصب فيه ولا استهتار ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ ... إنه كان ملهما ... إنه كان ملهما .. .

وأقسم أنى التقيت به وعاشرته فما سمعت منه كلمة واحدة فيها مغمز فى عرض أحد ، أو دين أحد ، حتى من أولئك الذين تناولوه بالإيذاء والتجريح فى ذمته ودينه ، وكان فى ذلك ملتزما حد ما أمره الله به .

هذا هو حسن البنا الذى قتلوه ... لقد قتلوا أخطر داعية ظهر على الأرض منذ قرون .

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف الدموع السوافك
وقال أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوا فالدكادك
فقلت له إن الأسى يبعث الأسى
دعونى فهذا كله قبر مالك

والآن ... فإن الغرس الذى عرفت منه حسن البنا قد نما وترعرع ، وصارت دعوته إلى كتاب الله مستقرة فى القلوب ، وصار تلاميذه أساتذة ، يعلمون الناس ما علم ويلهموهم ما ألهم ، وزاد عديدهم على البأساء والضراء ، حتى أصبحوا أقوى جلدا مما كانوا ، وأعرف بشئون الحياة ، وأصبر على المظالم ،

وأعلم بأن أعداء دعوتهم أكثر من أنصارها ، فأعدوا أنفسهم لكفاح طويل فى سبيلها .

ولقد صار « الإخوان المسلمون » إسما لا يعبر عن منظمة فى مصر وإنما يعتبر عنوانا لنهضة الإسلام وبعثه وحيويته فى جميع البلاد الإسلامية من المحيط إلى المحيط ، ولن تقف الحركة بعد ذلك إن شاء الله .

فاسم الإخوان فى أندونيسيا والباكستان وسوريا ... والذين لم يتسموا باسم الإخوان لاعتبارات محلية اتخذوا أسلوبهم فى الدعوة ومنهاجهم وغرضهم ، وصاروا يعملون لتنوير الشعوب وتفهيمهم حقيقة الإسلام ، وتحريره من الخرافات التى دخلت عليه مع الزمن ولم تكن منه .

وأصبحت دعوة الإخوان المسلمين رعبا للمستعمرين وأنصار المستعمرين والمنافقين والظالمين ، لأن الباطل يفرع من الحق أينما كان وحيثما وجد .

إن حسن البنا قد نشر دعوته ، وأدى رسالته ، وذهب إلى ربه راضيا مرضيا ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرضية فَادْخُلي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ الفجر . وعلى تلاميذه وأنصاره أن يحملوا العبء الذى كان يحمله فى صبر وأناة وهدوء وقوة وإخلاص وثبات ... وإنهم لفاعلون إن شاء الله .

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونهوا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورْ ﴾ .

حسن الهضيبى

مجلة الدعوة ١٦ جمادى أول سنة ١٣٧١

حسن البنا .. أستاذ الجيل

بقلم / عمر التلمساني ★

إن الغيرة فى القلب على هذا الدين ، ضرورة لحياته وصلاحه ، وهى كالحرارة الغريزية لجميع البدن .

وحرارة الغيرة الدينية تخرج ما فيه مما يشوب صفاءه وطهارته ، ولا جدال أن أسمى الناس نبلا . وأعلاهم همة ، هو أشدهم غيرة على نفسه ومجتمعه ودينه ولهذا علمنا أن رسول الله ﷺ أغير الناس على أمته ، والله سبحانه تعالى أشد

★ ولد فى القاهرة فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م ، جده عبد القادر باشا التلمسانى أحد أثرياء محافظة القليوبية ، جاء من مدينة « تلمسان » بالجزائر ... ، كان من أتباع الشيخ « محمد بن عبدالوهاب » ، وكان عالما يلبس العمامة ... ، وكل أصدقائه من علماء الأزهر ، تعلم الأستاذ عمر فى كتاب القرية ، ثم التحق بالتعليم المدنى فقضى تعليمه الابتدائى فى مدارس القليوبية ، ثم التحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فمدرسة الرشاد الثانوية ، فالمدرسة الإلهامية الثانوية بالحلمية فى القاهرة .

حصل على البكالوريا سنة ١٩٢٤ م ، والتحق بكلية الحقوق فى نفس العام ، بعد تخرجه عمل بالمحاماه ، واتخذ مكتبا فى مدينة شبين الكوم ، ومن قدر الله أن يتخذ نفس المكتب الذى اتخذه من قبله الإمام حسن الهضيبى ، ارتبط بجماعة « الإخوان المسلمون » منذ عام ١٩٣٣ م ، وكان من المقربين من الإمام الشهيد حسن البنا ، الذى عرض عليه بعد مضى سنوات أن يكون وكيلا لجماعة « الإخوان المسلمون » فلم يقبل ، وأقسم أنه ليس أهلا لهذا المكان ، وعرض عليه أيضاً الإمام الشهيد حسن البنا أن يتخذ مكتبا له فى مدينة القاهرة فلم يقبل ، تعففا وزهدا فى الحياة الدنيا .

لم أر أحدا من الإخوان أحب الإمام الشهيد حسن البنا مثلما أحبه الأستاذ عمر التلمسانى ، ولم أعرف أحدا تشبع بفكر الإمام حسن البنا وتمثله حتى صار نموذجا كريما للأخ المسلم مثل الأستاذ عمر .

غيرة منه ، كما ثبت فى الصحيح « أتعجبون من غيرة سعد ، لأنا أشد غيرة منه ، والله أغير منى » .

واقتداء برسول الله ﷺ ، كان الإمام الشهيد حسن البنا أشد أهل جيله غيرة على أمته ودينه ، بالعمل والجد والدأب والاحتمال والاحتساب ، لا بترديد الأحاديث أو حفظها وحسب . وصدقنى إذا قلت أننى لا أدرى من أى النواحى أبدأ حديثا عن حسن البنا الذى جدد لهذا الدين جماله وجلاله ، بعد أن غابت هذه المعانى عن المسلمين قرونا .

ناشد الحكام أن يتبعوا سياسة شعوبهم على أساس من تعاليم دينهم ... دين الحق والقوة والحرية ... وناشد الشعب أن تكون الحكمة رائدة فى مطالبهم ، وذكرهم أن سيدنا محمد ﷺ ، الذى جاء بالتوحيد ، ونبذ الأصنام ، صلى فى الحرم ، والأصنام فوق الكعبة صفوفا صفوفا تطل على الموحدين ولم يجد لذلك حرجا وتأثما ، لأن هذا هو الأسلوب الرزين الذى يجب أن يسلكه الداعية ، حتى يصل بدعوته إلى غايته بالصبر حينا ، بالاحتمال حينا وبالأسلوب الرقيق الدقيق حينا .

كان رضوان الله عليه متئدا فى كل ما يفعل ، يأخذ الأمور بالغة ما بلغت من القسوة فى هدوء المفكر ، وصبر الحليم ، وكأن ما حدث لم يحدث ، ثم يبدأ العلاج فى حنكة وخبرة ودراية ، وهكذا سلمت الدعوة طوال حياته من الهزات العنيفة التى تعطل المسيرة .

عاش محن « جماعة الإخوان المسلمون » كلها ، فاعتقل أيام إبراهيم عبدالهادى ، وأيام الطاغية جمال عبدالناصر ، وحوكم أمام « محكمة الشعب » التى رأسها جمال سالم ، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما قضاها كاملة ، وزيد عليها عامان قضاهما فى معتقل مزرعة طره ، ادخره الله لدعوته ليقود مسيرة جماعة «الإخوان المسلمون » بعد وفاة المرشد الثانى « الإمام الممتحن .. حسن الهضيبى » ، بصفته أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سنا فرضى به الإخوان المسلمون مرشدا وقائدا لهم ، وجمع الله عليه قلوب « الإخوان المسلمون » فى كل الأقطار ، ووضع له المهابة والاحترام والتقدير فى قلوب الأعداء قبل الأصدقاء .

أطال الله فى عمره ، وبارك لنا فيه ، وتقبل منه جهاده ... آمين .

ينتقل من عمله فى القاهرة إلى قنا ، عقوبة له على نشاطه فى الدعوة إلى الله ، وغضب أعضاء مكتب الإرشاد ، وغضب الإخوان فى كل مكان . ولكنه طمأنهم وأكد لهم أن الخيرة فيما اختاره الله ، وبادر إلى تنفيذ النقل على عجل ، أذهل رؤساءه الذين ظنوه سيحتج ويستعطف ويتظلم ، وشد الرحال وكأنه كان معه على ميعاد ، وما أن استقر به المقام فى قنا ، حتى شمر عن ساعده فى نشر الدعوة ، وأقبل الناس هناك عليها إقبالا أقلق سكينة من ظنوا أنهم عاقبوه بهذا النقل ، فعدلوا عن قرارهم الخاطىء ... والذين أصدروا الأمر بنقله من القاهرة . هم الذين أصدروا الأمر بعودته إليها دون أن يطلب أو يسترحم .

هكذا كان يعالج المشاكل بما يذهب بها فى هدوء وسلام ... إنه ما كان يستعجل النصر لأنه ضعف فى العزيمة ، ولا يستبطىء الاستجابة لأنها خلة ذميمة

كان الرضا زاده فى كل ما يصيبه بسبب الدعوة ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ ولم يكن من أنصار فاتك القطار ، لأنه كان يعلم أن للسفر وسائل متعددة .

من أشد ما كان يحرص عليه ، المؤاخاة فى الله . يقول إن لم ترد أن تكون أخا نسعد بك ، فلا أقل من أن تكون صديقا نرتاح إليك ... ولهذا لم يكن هناك من يجفو حسن البنا إلا من كان فى قلبه دخل لا يريد أن يرى شرع الله سائدا ، كان عمليا فى هذه الناحية تنفيذا لقول رسول الله ﷺ « من آخى أخا فى الله ، كانت له درجة فى الجنة لا يبلغها بشىء من علمه » ولو حرص كل داعية على هذا التوجيه النبوى العميق ، لسلمت الدعوة من كثير مما تعرضت له .

كان أبرز داعية فى القرن العشرين ، عندما نادى بأن كتاب الله ما جاء ليحمل تبركا ، أو يقرأ على الأموات عند القبور وفى الصواوين وأنه ليس بأخلاقيات وروحانيات وانقطاع عن الدنيا وزينتها وخيراتها الحلال ، لكنه جاء علما وفهما وقوة ومجدا وعزا وعملا ، حتى تقوم بالإسلام حضارة مشرقة مستنيرة ، تثبت أن الإنسان خليفة الله فى الأرض حقا وصدقا ، لذلك كان يباشر الرياضة والرحلات والمعسكرات مع الإخوان ... يحيا حياتهم ... ويعمل عملهم ويشاركهم فى كل ما يشق عليهم ... اقتداء برسوله ﷺ يوم أن قال لصحابته « وعلى جمع الحطب » ويوم أن قال لمن أراد أن يؤثره بركوب الراحلة فى سفر أنه

فى حاجة إلى الأجر ... ومشى كما يمشون بلا ضجر ولا تأفف ... وهكذا تكون القدوة وهكذا سارت الدعوة من نجاح إلى نجاح.. .

كانت كل موازينه ومعاييره قرآنية نبوية ... بها يزن الآراء والنظريات والفلسفات ... فما سار مع القرآن أو الحديث أخذ به ... ما اختلف معهما نبذه وأنكره ، فطبع الإخوان طابعا قرآنيا نبويا بديعا ... وكان من جراء ذلك أن ثبت مفاهيم الدعوة ثبوتا لا تؤثر فيه الأحداث مهما قست ، فلم يلبسوا فى حركتهم ولم ييأسوا فى جهادهم .

وها نحن اليوم نرى الإخوان المسلمين فى كل مكان فى العالم بالملايين . وأقنعهم تماما بما جاء فى القرآن من فسيح الأمل وواسع الرجاء ... فالله يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى .... ويجعل العسر بين يسرين ... وأن فرج الله قريب .

ولكى يبعد الإسلام عن فكرة التعصب ، لم ينكر القومية على شريطة أن تكون قومية حب ومودة وتعاون ، لا قومية استعلاء وهضم لحقوق الغير وإيقاع الظلم بهم ، تجنبا للسيادة العاتية ، واستدل على ذلك بحديث لرسول الله ﷺ معناه ، أنه ليس فى حب الرجل قومه مأثم ، ولكن الإثم أن يعين قومه على ظلم ، وهذا هو المعنى البغيض فى القومية ، إذ ترى كل شعب يعتز بقوميته حتى لو بغت وجارت ، وهذا ما حاربه الإسلام وأنكره ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

أما تفقده لإخوانه وعطفه عليهم ، فحال عجيب فى هذا الزمن ، انظر إليه يتلطف مع الأخ ويذهب ما فى نفسه من حزن أو ألم ... يا أخى ألا تحمد الله أنها لم تكن فى دينك وحسبك هذا خير ... ألم تكن تتوقع أنها قد تكون أكبر مما حدث وفى هذا من الله لطف بك ... ألا تقدر عظم الأجر الذى تناله من ربك إذا رضيت بقضائه وقدره ، ألا تنظر فى كل هذا ثواب الله لك ... وتكفير ذنوبك ورفع درجاتك ... فإذا بالأخ يروح فى غمرة هذا الحنان ... وينسى ما ألم به ، وينطلق لسانه بالشكر لله والثناء عليه والحمد لله ... هكذا جمع إمامنا الشهيد قلوب الإخوان من حوله .

لقد أقنعنا بأن الإسلام هو الإسلام ، أصولا وفروعا منذ جاء به النبى ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، لأنه عقيدة لا تناقش كما تناقش النظريات والآراء والفلسفات الوضعية ، التى تقدم الدليل العقلى على الدليل النقلى ، ذلك لأن النظريات والآراء ، وراءها **دوافع شخصية أو قومية أو بيئية تتغير بتغير الظروف والملابسات . لذلك نرى أن** الإسلام هو المجتمع الوحيد الذى استطاعت الأقليات أن تتمتع بحرياتها فيه ، ولولا الإسلام لفنى اليهود فى القرون الوسطى .

وهكذا تعلمنا منه أن الدراسة لا تكون بين قديم وحديث ، ولكن بين حق وباطل ... هكذا تعلموا الإخوان أن يفرقوا بين ذيول المواضيع .. وبين الأصول والقواعد فيها ، وبهذا يعرفون الناس عن طريق الحق ، ولا يعرفون الحق عن طريق الناس ، فكانوا موضوعيين فى كل شيء بعيدين كل البعد عن الشخصيات .

إن من يريد أن يتحدث عن حسن البنا ... يعييه لم الحديث أو حصره :

هو البحر من أى النواحى أتيته

فلجته المعروف والجود ساحله

ولو سكت العالم كله عن الحديث عنه وعن آثاره ... فإن الله يعلم ما قدمه حسن البنا للإسلام والمسلمين وأجره فى ذلك على الله . لقد صدق الله فصدقه الله ومات شهيدا عليه ... فسلام عليه آناء الليل وأطراف النهار ... وعذرى عن استيفاء حقه ... عجزى عن بلوغ ذلك الشأو العظيم .

وبعد .... فإن الإمام الشهيد حسن البنا المرشد الأسبق للإخوان المسلمين ، لم تكن كل أعماله وأقواله كسبا أو اكتسابا ... ولكنه كان موهوبا ... كان من الرجال الذين يعلم الله قدرتهم على السير بدعوته فيمدهم بمدد من عنده ... لا يلقاه إلا كل ذى حظ عظيم ... كان إذا تحدث تتعلق الأعين بوجهه السمح المشرق ... وابتسامته العذبة ... وتصغى القلوب لبديع درره التى يمن الله بها عليه ، حتى ليود السامعون أن لو ظل يتحدث ما شاء الله أن يتحدث بلا كلال ولا ملال ... وبعد أن تمضى الساعتين والثلاث فى إفاضة ربانية ، يتخير من يتوسم فيهم الحب لدعوة الله ، فينتحى بهم فى حجرة جانبية ، مذكرا وموجها

ومستحثا ، فلا يخرج من حفل إلا إلى لقاء ، وكأنه موكل بشئون هذا العالم يصلحه ، أجل كان موهوبا حقا ، فما من جسد بشرى يستطيع أن ينام فى الأربع وعشرين ساعة ، أربع أو خمس ساعات ، يقوم بعدها فى نشاط المستغرق فى نومه الساعات الطوال ، لا يبدو عليه أى أثر لتعب أو مجهود .

ألا تعلم أنه قد استقرت فى جسده الطاهر سبع رصاصات . فنزل من السيارة على قدميه ينزف دما زكيا طاهرا ... فاتصل تليفونيا بالإسعاف ... وجاء الإسعاف فركب السيارة على قدميه ، والدم يتدفق ، ولما وصل مستشفى القصر العينى ، صدرت أوامر فاروق ألا يسعف ، واستجاب ملائكة الرحمة المزعومة إلى تنفيذ هذا الظلم الصارخ ... حتى سكتت الحركة الدائبة ... وكف القلب المعلق بالعرش عن النبض فى هذه الدنيا ... لينبض فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

كان موهوبا لأن ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وفى حسن البنا والنوادر من أضرابه ... يتحقق قول رسول الله ﷺ ... عندما تنبأ بأن يحمل هذا العلم من كل عدوله ينفون عنه التحريف والانتحال والبدع ، حتى يظل كما أنزل أطهر من ماء السماء ، وأوضح من شمس الغبراء عند انتشار الضياء .

كلما أردتُ أن أختم كلمتى ... تدافعت المعانى ، ولولا تكاليف الدعوة ، وضيق الأوقات عن الواجبات ... وأثقال الأحاديث فى غد ، لأعطيت قلمى فى التخلى مراده من الحديث عن حسن البنا .... ولكننا على الدرب سائرون ، وبالمتأسى برسول الله ﷺ مقتدون .

يارب إنك تعلم أننا أحببنا الرجل من أجلك وسرنا وراءه فى الطريق الذى رسمه رسول الله ﷺ ، **حتى بلغ بنا ذلك الرجل من حب دينك وحب رسولك ما نتمنى معه أن نكون عند قول رسولك الحبيب « من أشد أمتى حبا لى من يكونون من بعدى ، يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله »** ... اللهم إنا نحس أننا كذلك ، فأتمم نعمتك علينا . واجز حسن البنا بما أنت له أهل ... ففضلك لا حدود له ﴿ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

عمر التلمسانى
مجلة الدعوة

شهيد الإسلام

بقلم / الشهيد عبدالقادر عودة ★

فى مثل هذا اليوم ١٢ فبراير من عام ١٩٤٩ لقي حسن البنا ربه مضرجا بدمائه ، مستشهدا فى سبيل إقامة الإسلام ، وتحطيم الأصنام .

استشهد حسن البنا فى سبيل إقامة الإسلام على وجهه الصحيح فى نفوس المسلمين ، والتمكين له فى عقولهم وقلوبهم ، وإخضاعهم له فى أقوالهم وأعمالهم ، وتحكيمهم إياه فى كل ما يتصل بدنياهم وآخرتهم .

★ أول شهداء الإخوان المسلمين الذين أعدمهم جمال عبدالناصر فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، على أثر تمثيلية المنشية ظلما وطغيانا ، عمل بالمحاماه .. ثم عين قاضيا بالمحاكم المصرية ، فكان المنارة الزاهية بين القضاء ، لأنه أبى إلا أن يطبق قانون السماء ماوجد إلى ذلك سبيلا .

كان جريئا فى الحق ولو خالفته الدنيا بأسرها ، لأنه كان يحرص على مرضاة ربه ، قبل أن يفكر فى إرضاء الناس .

عرِّفت به مجلة الشهاب التى كان يصدرها الإمام الشهيد حسن البنا فى نفس العدد الذى عرفت بالإمام الممتحن الأستاذ حسن الهضيبى مما يوحى ارتباط الشهيد عبدالقادر بجماعة « الإخوان المسلمون » فى نفس الحقبة التى ارتبط فيها ، المرشد حسن الهضيبى « بجماعة الإخوان المسلمون » اختاره الإمام الممتحن حسن الهضيبى وكيلا للجماعة بعد اختياره مرشد للإخوان .

قاد مظاهرة ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٤ ، التى اضطرت ضباط الانقلاب إلى إعادة محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية ، وطالبت برأس جمال عبدالناصر قصاصا للقتلى الذين سقطوا عند قصر النيل يوم المظاهرة ، ولم تنصرف المظاهرة إلا بعد أن خطب فيها الشهيد عبدالقادر عوده ، وطلب منها الانصراف ، وكانت هذه المظاهرة وقيادة الشهيد عبدالقادر عوده من أول وأخطر حيثيات الحكم على الشهيد عبدالقادر بالإعدام .

من أشهر مؤلفاته التشريع الجنائى الإسلامى .

واستشهد حسن البنا فى سبيل تحطيم الأصنام ، أصنام العصر الحاضر التى عبدها الناس من دون الله ، ودانوا لها بالخضوع على خلاف ما أمر الله ، تلك الأصنام التى يهرعون إليها من كل فج ، وفى كل قطر ، يطوفون حولها ، ويحرصون على الاتصال بها والتقرب منها ، يطيعونها فى معصية الله ، ويرضونها بما يغضب الله .

وأصنام العصر الحاضر ليست أجساما من الحجارة أو الخشب أو غير ذلك مما كان يلجأ إليه الناس قديما لتصلهم بالله ، ويتخذونها زلفى لتقربهم إلى الله ، وإنما هى أجسام آدمية ، وهياكل بشرية تسكنها نفوس مريضة استبد بها الهوى وحطمتها الشهوات ، نفوس تسيطر عليها أسوأ المعانى ، وتتحكم فيها أحط الغرائز ، نفوس افتتنت بالمال والسلطان ، واغترت بما منحها الله من الحول والطول ، نفوس نسيت الله وكفرت بما أنزل الله ، فشقيت وأشقت ، وضلت وأضلت ، وهلكت وأهلكت معها المقتدين والأتباع .

ولقد استشهد حسن البنا فى غير حرب شنها ولا بغى بدأ به ، فقد كان أعزل إلا من سلاح الحق ، وما كان من شيمته أن يحارب الناس أو يبغى عليهم ، ولكنه كان داعية إلى الله ، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويدعو الناس إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

لقد دعا حسن البنا الناس إلى أن يفهموا الإسلام على أنه قوة وعزة وكرامة بعد أن فهمه الناس على أنه ضعف واستعباد واستسلام ودعا الناس إلى أن يفهموا الإسلام على أنه عدالة ونظافة وحرية ومساواة بعد أن أرهقت المسلمين المظالم ، وفشت فيهم المآثم ، وبعد أن فقد المسلمون حريتهم ، ودالت دولتهم ، واستعلى بعضهم على بعض ، واستذل قويهم ضعيفهم ، وتحكم حاكمهم فى محكومهم .

ودعا المسلمين إلى أن يفهموا الإسلام على أن اتحاد بين أفرادهم ، وتوحيد لبلادهم ، وأنه أخوة بين المؤمنين ، وتعاون وتضامن بين المسلمين ، تعاون على البر والتقوى ، وتضامن فى إشاعة الخير ودفع الشر والإثم .

ولقد شاء الله أن ينجح حسن البنا بعد جهد طويل وكفاح مرير ، فأقبل الناس عليه وآمنوا بما دعاهم إليه ، وانتشرت دعوته فى الأقطار والأمصار ،

واعتنقها الرجال والنساء والشيب والشبان على اختلاف ثقافاتهم ومهنهم ، كل هؤلاء دخلوا من جديد فى الإسلام ، وانصتوا تحت راية القرآن ، يهتفون بأن الله غايتهم ، والرسول زعيمهم ، والقرآن دستورهم ، والجهاد سبيلهم ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانيهم .

ويوم أن انتشرت الدعوة فى بلاد الإسلام ، وانبعثت أضواؤها فى كل مكان ، شعر الظالمون أن ليل الظالم الذى طال قد أذن بزوال ، وأحس المستعمرون وأذنابهم بأن الفرائس تتفلت من شباكهم ، وعلم خفافيش الإنس أن لا حياة لهم فى ضوء الإسلام ، وتوهموا أن فى قتل قائد الدعوة القضاء على الدعوة فقتلوه غيلة وغدرا على أخس ما عرفت الغيلة وأدنأ ما عرف الغدر ، فذهب إلى ربه راضيا مرضيا ليأخذ مكانه مع الأنبياء والصديقين ، وباءوا هم بغضب الله ولعنته وبخزى الدنيا والآخرة .

هذا هو حسن البنا شهيد الإسلام الذى جدد الإسلام فى العقول ، وأحياه فى النفوس والقلوب ، وبعث المسلمين من مرقدهم ، وأيقظهم من غفلتهم ، واستنفرهم للدفاع عن حريتهم وكرامتهم .

ولقد قتله الظالمون الخاسرون ، وهم يظنون أنهم قضوا على دعوته بالقضاء على شخصيته ، وما دروا أنها دعوة الله ، وليست دعوة أشخاص ، وأن الله علم المسلمين أن الدعوة ترتبط به ولا ترتبط بالدعاة إليها ، وأن حظ الأشخاص منها أن من عمل لها أكرمه الله بعمله ، ومن ترك العمل لها فقد أبْعَدَ الخير عن نفسه وما يضر الدعوة شيئا ، وإذا كان موت محمد ﷺ لم يضر الدعوة شيئا فأولى أن لا يضرها موت حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه ، ولكن أنَّى للظالمين أن يفهموا هذا ، وأنَّى لهم أن يفهموا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فلن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران .

إن دعوة الإسلام ليست دعوة أشخاص ، ولكنها دعوة الله إلى الخير والسعادة وإصلاح البشر ، وهى نور الله أرسله فى الأرض ليبدد ظلمات الجهل والظلم ويطهرها من الاستعلاء والفساد ، وأن طواغيت الأرض ليحاولون فى كل

زمان ومكان أن يحبطوا تلك الدعوة ، ويطفئوا نور الله فى الأرض ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وأن يمكن لدينه ، وأن يظهره على الدين كله ، ولو كره الظلمة والطواغيت والمستعمرون والمفسدون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بأفواهِهِمْ وَيأبى اللهُ إلَّا أَنْ يُتِمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِه الْكافِرُونَ . هُوِ الَّذِىَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون ﴾ الصف .

لقد قتل حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين ، وقتل من أنصاره من قتل ، وعذب منهم من عذب ، وامتحن الإخوان المسلمون بشتى المحن فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم ومستقبلهم ، فما صرفهم ذلك كله عن دعوة الله ، وما زادهم إلا إيمانا وتثبيتا ، ولقد خرجوا من تلك المحنة وهم أصلب عودا ، وأقوى عزيمة ، وأقدر على مواجهة قوى الشر ، لم يبدلوا ولم يغيروا ، يسيرون على منهاج مرشدهم رحمه الله ، مقتدين بزعيمهم رسول الله ﷺ ، متمسكين بكتاب الله جل شأنه ، يسألون الله فى كل لحظة أن يلقوه على مالقيه عليه إخوانهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيه فَمِنْهُمْ مَن قَضَىَ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلاَ ﴾ .

ولقد كان فى ذلك عبرة لمن يعادون الحق ، ويكرهون دعوة الله ، فإن اعتبروا فقد عقلوا وفى ذلك الخير لهم وللناس ، وإن يركبوا رءوسهم فليجربوا ثانية وثالثة فما تضر النار الحديد شيئا ، وإنما تنفى الخبث ، ولقد جرت سنة الله على أن البقاء للأصلح ، وعلى أن الفلح للحق ، وعلى أن الباطل مهما علا وانتصر فإلى زوال ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ والْبَاطِلَ فَأَما الزَبَدُ فَيذَهْبُ جُفَاءً وأَما ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيمكث فِى الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ ﴾ الرعد .

إلا أن الله قد كتب الغلبة له ولرسله ﴿ كتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ فما يغالب الله جل شأنه أحد إلا غلب ، وأن الله قد كتب على نفسه أن يورث الأرض لعباده الصالحين ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْر أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾ ووعدهم أن يستخلفهم فى الأرض ويمكن لهم ﴿ وَعَدَ اللهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ .

وأن الإخوان المسلمين ليعلمون أن وعد الله حق ، ولن يستخفنهم الذين لا يوقنون والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عبد القادر عودة

مجلة الدعوة ١٣ فبراير ١٩٥١م



حسن البنا .. وعبقرية البناء

بقلم / الشهيد سيد قطب ★

فى بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور ، وحكمة مدبرة فى كتاب مسطور ... حسن « البنا » ... إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه ... ولكن من يقول : إنها مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هى البناء ، وإحسان البناء ، بل عبقرية البناء ؟ .

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيرا من الدعاة ... ولكن الدعاية غير البناء ... وما كان كل داعية يملك أن يكون بنَّاء ، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة فى البناء .

هذا البناء الضخم ... الإخوان المسلمون ... إنه مظهر هذه البقرية الضخمة فى بناء الجماعات ... إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس ، استجاش الداعية مشاعرهم ووجداناتهم ، فالتفوا حول عقيدة ... إن عبقرية البناء تبدو فى

★ أول الشهداء الثلاثة الذين أعدمهم الطاغية جمال عبدالناصر يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٦ بعد المحاكمة الهزلية الشهيرة التى ترأسها اللواء فؤاد الدجوى .

وهو صاحب « فى ظلال القرآن » .. و « معالم فى الطريق » و « هذا الدين » ، و « المستقبل لهذا الدين » ، والعديد من المؤلفات الإسلامية التى لا غنى لأبناء الحركة الإسلامية المعاصرة عنها ... .

ولد الشهيد سيد قطب فى قرية « فوشا » بمحافظة أسيوط حفظ القرآن ... ودرس فى المدارس المدنية ، والتحق بكلية دار العلوم التى تخرج منها الإمام حسن البنا .

اشتغل بالتأليف فبدأ ناقدا أدبيا .. وكتب الشعر .. والقصة والمقالة الصحفية الثائرة ، سمعت المرحوم عباس محمود العقاد يقول عنه أنه أنجب تلامذته « قبل أن يرتبط بجماعة الإخوان المسلمون » .

كل خطوة من خطوات التنظيم ... من الأسرة إلى الشعبة ، إلى المنطقة ، إلى المركز الإدارى ، إلى الهيئة التأسيسية ، إلى مكتب الإرشاد .

هذه من ناحية الشكل الخارجى – وهو أقل مظاهر هذه العبقرية – ولكن البناء الداخلى لهذه الجماعة أدق وأحكم ، وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء ... البناء الروحى ... هذا النظام الذى يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة ... هذه الدراسات المشتركة ، والصلوات المشتركة ، والمشاعر المشتركة ، والتوجيهات المشتركة ، والرحلات المشتركة ، والمعسكرات المشتركة .... وفى النهاية هذه الاستجابات المشتركة ، والمشاعر المشتركة ، التى تجعل نظام الجماعة عقيدة تعمل فى داخل النفس قبل أن تكون تعليمات وأوامر ونظما .

والعبقرية فى استخدام طاقة الأفراد ، طاقة المجموعات ، فى نشاط لايدع فى نفوسهم ولا يدعهم يتلفتون هنا أو هناك يبحثون عما يملأون به الفراغ ... إن مجرد استثارة الوجدان الدينى لا يكفى ... وإذا قصر الداعية همه على هذه الاستثارة فإنه سينتهى بالشباب خاصة إلى نوع من الهوس الدينى ، الذى لا يبنى شيئا ... وإن مجرد الدراسة العلمية للعقيدة لا تكفى ... وإذا قصر الداعية همه على هذه الدراسة ، فإنه سينتهى إلى تجفيف الينابيع الروحية ، التى تكسب هذه

عمل بوزارة المعارف « التربية والتعليم حاليا » ، واختير فى بعثة عام ١٩٤٧ إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على درجة الماجستير ، وأثناء إقامته فى الولايات المتحدة الأمريكية وقعت جريمة العصر « اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا » ، فرأى رد الفعل لاستشهاد الإمام حسن البنا ، مما نبهه إلى خطورة هذه الدعوة فى نظر الغرب بعامة والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة ، مما جعله بعد عودته يقترب من جماعة « الإخوان المسلمون » ، ثم يرتبط بها بعد ذلك ... .

دفعة علمه وإيمانه إلى الصف الأول للجماعة ، فكان من المقربين من الإمام الممتحن حسن الهضيبى ، رأس تحرير مجلة « الإخوان المسلمون » التى صدر منها ثلاثه عشر عدد سنة ١٩٥٤ وكانت حربا على ضباط الانقلاب ... .

حوكم الشهيد سيد قطب عام ١٩٥٤ أمام جمال سالم وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما ، خرج بعد عشر سنوات بعفو صحى ليقود من جديد تنظيم ١٩٦٥ ، الذى قدم بسببه أمام محكمة الدجوى وحكم عليه بالإعدام ، فلقى ربه صابرا محتسباً ، ثابتا شجاعا تقبله الله فى الشهداء .... آمين .

الدراسة نداوتها وحرارتها وخصوبتها . وإن مجرد استثارة الوجدان والدراسة معا لا يستغرقان الطاقة ، فستبقى هنالك طاقة عضلية ، وطاقة عملية ، وطاقة فطرية أخرى فى الكسب والمتاع والشهرة والعمل والقتال .. .

وقد استطاع حسن البنا أن يفكر فى هذا كله ... أو أن يلهم هذا كله ، فيجعل نشاط الأخ المسلم يمتد – وهو يعمل فى نطاق الجماعة – إلى هذه المجالات كلها ، بحكم نظام الجماعة ذاته . وإن يستنفذ الطاقات الفطرية كلها ، فى أثناء العمل للجماعة ، وفى مجال بناء الجماعة ... استطاع ذلك فى نظام الكتائب ، ونظام المعسكرات ، ونظام الشركات الإخوانية ، ونظام الدعاة ، ونظام الفدائيين ، الذين شهدت معارك فلسطين ، ومعارك القنال نماذج من آثاره ، تشهد بالعبقرية لذلك النظام .

وعبقرية البناء فى تجميع الأنماط من النفوس ، ومن العقليات ومن الأعمار ، ومن البيئات ... تجميعها كلها فى بناء واحد . كما تتجمع النغمات المختلفة فى اللحن العبقرى ... وطبعها كلها بطابع واحد يعرفون به جميعا ، ودفعها كلها فى اتجاه واحد ... على تباين المشاعر والإدراكات والأعمار والأوساط ، فى ربع قرن من الزمان .

ترى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه ؟! أم أنها الإرادة العليا التى تنسق فى كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات فى توافق واتساق ؟ .

ويمضى حسن البنا إلى جوار ربه ، يمضى وقد استكمل البناء أسسه ، يمضى فيكون استشهاده على النحو الذى أريد له : عملية جديدة من عمليات البناء ... عملية تعميق للأساس ، وتقوية للجدران ... وما كانت ألف خطبة وخطبة ... ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة فى نفوس الإخوان ، كما ألهبتها قطرات الدم الزكى المهراق .

إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع ، حتى إذا متنا فى سبيلها ، دبت فيها الروح ، وكتبت لها الحياة .

وحينما سلط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان ، كان الوقت قد فات ، كان البناء الذى أسسه حسن البنا قد استطال على الهدم ، وتعمق على الاجتثاث ... كان قد استحال فكرة لا يهدمها الحديد والنار ، فالحديد والنار لم يهدما فكرة فى يوم من الأيام ... واستعلت عبقرية البناء على الطغاة الأقزام فذهب الطغيان ، وبقى الإخوان ، ومرة بعد مرة ، نزت فى نفوس بعض الرجال – من الأخوان – نزوات ... وفى كل مرة سقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة ، أو انزوت تلك النزوة ولم تستطع أن تحدث حدثا فى الصفوف .

ومرة بعد مرة ، استمسك أعداء الإخوان بفرع من تلك الشجرة ، يحسبونه عميقا فى كيانها ، فإذا جذبوه إليهم جذبوا الشجرة ، أو اقتلعوا الشجرة ... حتى إذا آن أوان الشد خرج ذلك الفرع فى أيديهم جافا يابسا كالحطبة الناشفة ، لا ماء فيه ولا ورق ولا ثمار !! .

إنها عبقرية البناء ، تمتد بعد ذهاب البناء ... .

واليوم يواجه بناء الإخوان خليطا مما واجهه فى الماضى .. ولكنه اليوم أعمق أساسا ، وأكثر استطالة ، وأشد قواما ... اليوم هو عقيدة فى النفس ، وماض فى التاريخ ، وأمل فى المستقبل ، ومذهب فى الحياة ... ووراء ذلك كله إرادة الله التى لا تغلب ، ودم الشهيد الذى لا ينسى .

فمن كان يريد بهذا البناء سوءاً ، فليذكر أن طغيان فاروق – ومن خلفه انجلترا وأمريكا – لم يهدم منه حجرا ، ولم يترك فيه ثغرة ... إن المستقبل لهذه العقيدة التى يقوم عليها بناء الإخوان ، وللنظام الاجتماعى الذى ينبثق من هذه العقيدة ... وفى كل أرض إسلامية اليوم نداء بالعودة إلى الراية الواحدة ، التى مزقها الاستعمار ذات يوم ، ليسهل عليه ازدراء الوطن الإسلامى قطعة قطعة ، وقد آن أن تتضامَّ هذه المزق ، وتنتفض جسما حيا كاملا ، يمزق الاستعمار .

إن طبائع الأشياء تقتضى انتصار هذه الفكرة ، فلقد انتهت موجة التفكك والتمزق ... ولم تمت الفكرة الإسلامية فى تلك الفترة المظلمة ، فهيهات إذن أن

تموت اليوم فى موجة اليقظة والانتفاض والإحياء ... .

ولقد اختلطت الفكرة الإسلامية ببناء الإخوان المسلمين ، فلم يعد ممكنا أن يفصل بينهما التاريخ ، ومن ثم لم يعد ممكنا أن يفصل بينهما أحد فى اليوم أو الغد ... .

ولقد كان الاستعمار فى الماضى يستخدم أجهزة للتخدير يلبسها ثوب الدين ، استخدم رجال الطرق ، واستخدم رجال الأزهر ، كما استخدمهم طغيان السراى ... أما اليوم فلم يعد ذلك ممكنا ... إن الفكرة الإسلامية اليوم يمثلها بناء الإخوان تمثيلا قويا ، فلا سبيل إلى التمويه بأى جهاز ... والأزهر ذاته – وقد خضع للطغيان طويلا ، وخضع للاستعمار – ها هو ذا أخذ فى الانتفاض والتحرر ، وهؤلاء طلابه وأساتذته ، ينضمون جماعات وأفرادا إلى ضفوف الإخوان المحضن الأول للفكرة الإسلامية كما ينبغى أن تكون :

﴿ كَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

عن كتاب دراسات إسلامية
للشهيد سيد قطب



القائد المربي

بقلم / الشيخ محمد الغزالي ★

كان حسن البنا – حيث حل – يترك وراءه أثرا صالحا ، وما لقيه امرؤ فى نفسه استعداد لقبول الخير إلا وأفاد منه ، ما يزيده صلة بربه ، وفقها فى دينه ، وشعورا يتبعه نحو الإسلام والمسلمين ، والرجل الذى يشتغل بتعليم الناس لا يستطيع فى أحيانه كلها أن يرسل النفع فيضا غدقا ، فله ساعات يخمد فيها ، وساعات يتألق وينير .

إن الإشعاع الدائم طبيعة الكواكب وحدها ... وقد كان حسن البنا فى أفقه الدانى البعيد ، من هذا الطراز الهادى بطبيعته لأن جوهر نفسه لا يتوقف عن الإشعاع .. .

سل الألوف المؤلفة التى التقت به .. أو التى أشرق عليها الرجل فى مداره

★ عالم من علماء الأزهر الأفذاذ ، وداعية من الدعاة المجاهدين ... ارتبط بجماعة « الإخوان المسلمون » منذ فجر حياتة ، فجمع بين الدراسة العلمية « للإسلام » فى معاهد الأزهر وجامعته وبين الممارسة العملية للدعوة الإسلامية فى صحبة الإمام الشهيد حسن البنا ... .

قضى عمره كله فى حقل « الدعوة » سواء على المستوى الوظيفى » فى وزارة الأوقاف » ... أو المستوى الشعبى ، فهو الكاتب الإسلامى المجيد ، والخطيب الثائر المؤثر ... وهو ثمرة ناضجة من غرس الإمام الشهيد حسن البنا ... .

ولا يزال يواصل جهاده الإسلامى متنقلا بين أقطار العالم الإسلامى يسهم بفكره وعلمه فى تكوين « العقل المسلم » داخل المؤسسات التعليمية التى يعمل بها ... وخارج المؤسسات التعليمية عن طريق الخطابة والكتابة حتى اليوم .

العتيد ، ما من أحد منهم إلا وفى حياته ومشاعره وأفكاره أثر من توجيهات حسن البنا ، أثر يعتز به ويغالى بقيمته ويعتبره أثمن ما أحرزه فى دنياه ... .

التقيت بالإمام الشهيد لأول مرة وأنا طالب فى معهد الإسكندرية ، وكنت شابا تجتذبنى دواعى التقى والعفاف ، وتناوشنى مفاتن الحضارة الوافدة من وراء البحار ، فكانت الغرائز المستثارة تدخل فى مضطرب مائج مع إيحاء الإيمان الموروث ، واتجاهات الدراسة التى نتلقاها فى علوم الدين ... ونحن جيل مخضرم تلتقى فى حياتنا تيارات متعارضة ، وما كان يعلم إلا الله ما يجول فى قلوبنا وألبابنا من أسى وتعقيد .

وقد أورثتنى معاناتى السابقة لهذه الأحوال تقديراً لمشاكل الشباب ، ورقة شديدة لما يمرون به من أطوار .

ثم أدركت أن الوعظ المجرد ، والتعليم العابر لا يُجْديان كثيرا ، وعندما استمعت إلى حسن البنا لأول لقاء تكشفت لى أمور كثيرة لابد منها فى صحة إبلاغ الرسالة وإمكان النفع الكامل بها .

ليس الداعية إلى الله ، أداة ناقلة ، كالآلة التى تحمل سلعة ما من مكان إلى مكان ، وليست وظيفته أن ينقل النصوص من الكتاب والسنة إلى آذان الناس ، ثم تنتهى بعد ذلك مهمته !! .

كانت لدى حسن البنا ثروة طائلة من علم النفس ، وفن التربية ، وقواعد الاجتماع ، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير ، وقيم الأفراد ، وميزان المواهب ... وهذه بعض الوسائل التى تعين على الدعوة وليست كلها .

والوسيلة التى تعتبر طليعة غيرها ، ولا تؤتى الدعوة إلى الله ثمارها كاملة إذا لم تتوفر لها ، هى إلهام الله للداعية أن يتخير موضوعه المناسب ، وأن يصوغه فى الأسلوب الذى يلقى هوى فى أفئدة السامعين ، ويترك أثره المنشود فى نفوسهم وأفكارهم .

إن القذيفة قد تنطلق ، كاملة العناصر ، تامة القوة ، ولكنها تقع بعيدة عن مرماها ، فتذهب هدرا ، وما أكثر الخطباء الذين يرسلون من أفواههم حكما بالغة

تنطلق هنا وهناك ، كما ينطلق الرصاص الطائش ، لا يصيب هدفا ولا يدرك غرضا .

وحسن البنا كان موفقا فى اصطياد الرجال ، وكانت كلماته البارعة تأخذ طريقها المستقيم إلى عقولهم فتأسرها . وذلك أمر يرجع إلى فضل الله ، أكثر مما يرجع إلى المهارة الخاصة ، واقتياد الكلمة من فم القائل إلى شغاف قلب السامع يمكن أن يقال فيه ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمى ﴾ ... .

وقد سمعت بعض تلامذة الإمام الشهيد يرددون المعانى نفسها التى كانت تجرى على لسان الرجل ويستحيل أن تجد فى كلامهم عوجا ، ومع ذلك فإن الفتح بها محدود . إن السماء وحدها هى التى تضع للإنسان القبول فى الأرض ، وقد كان حسن البنا ملاحظا بعناية الله من هذه الناحية الهامة . ويوجد فى العالم الإسلامى رجال فى مثل علم الإمام الشهيد ، وربما كان لهم قلمه وأداؤه ، ولكن التوفيق الذى صاحب دعوة حسن البنا ، والنجاح الباهر الذى صادفه لم يلقه غيره مع تشابه الأداة :

إن السلاح جميع الناس تحمله
وليس كل ذوات المخلب السبع

وقد بدأ حسن البنا يربى الجيل الجديد للإسلام على الأساس الذى وضعه للنهوض به ، إنه يريد تكوين دولة إسلامية ، وإقامة حكم شرعى رشيد ، فسلك إلى هذه الغاية الطريق الوحيد الذى ينتهى بها وإن طال المدى ، وتراخت الأيام ، وكثرت التكاليف .... طريق التربية الإسلامية .

وكان الساسة فى ميدانهم قد هجروا القرآن ، فما تدور على ألسنتهم آياته ، وما تعرف فى أعمالهم توجيهات ، فإذا بهم يسمعون فى ميدان السياسة واعظا يقرأ القرآن ويستهدى بمنار السنة ، وكان الطيبون من أهل الخير قد نسوا فى العزلة التى رمتهم الحضارة الغربية فيها ، أن للإسلام شريعة تحكم ، ودولة تسود ... فإذا بهم يسمعون فى الصوامع والمساجد رجلا يحدثهم عن سياسة الدنيا باسم الله ،

ويسوق حشدا من النصوص الحاسمة تدفع الصالحين إلى إصلاح ما فسد حولهم من شئون الأمة ومراسيم الدولة .

وحسن البنا يعلم أن المسلمين هزموا فى مواقع شتى ، كسرت شوكتهم فى القرن الأخير ، ومكنت الغرب الكافر من ملاحقتهم فى عقر دارهم بالإهانة والتسخير .

وعرف الرجل أسباب الهزيمة معرفة دقيقة ، إن النفوس قد تحللت بالمعاصى ، والجماعة قد انحلت بالإسراف ، والدولة قد تهدمت بحب الدنيا وكراهية الموت .... ومن ثم انتصر الكافرون ، فيجب أن تقوم النفوس بالطاعة ، وأن يحارب الإسراف والترف بالاقتصاد والاجتهاد .. وأن تعلم الأمة الإقبال على المخاطر لتسلم لها الحياة ، وأن يتم ذلك كله على دعامة موطدة من قوة الصلة بالله تشق الحناجر بهذا الدعاء ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ومن ثم ينتصر المؤمنون .

وقد حار أصدقاء حسن البنا وأعداؤه فى فهم هذه السياسة الجديدة ، وتضاحك أهل الدين وأهل الدنيا ممن يبنى الانتصار على الاستغفار .... .

وحق لهم أن يضحكوا ساخرين ... .

أما الماديون من أهل الدنيا فهم يحسبون ذلك دجلا لا طائل تحته ... .

وأما غيرهم فقد وقر فى نفوسهم أن اللجوء إلى الله لا يكون إلا قرين العجز ، وأثر السلبية المطلقة فى علاج الأمور ، وقلما يسأل أحدهم ربه إلا وهو محصور محسور .

إن هؤلاء يحسبون الإنسانية مع خالقها كالابن العاق مع أبيه الغنى لا يرجع إليه إلا مضطرا ، عندما تفرغ يداه من النقود ... .

ولو فقهوا الآية السالفة : ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا .... ﴾ لعرفوا أن قائليها كانوا صفا مناضلا فى حومة الوغى تصرع من حولهم رسل الحق انتصارا للحق وتفانيا فى حمايته ، ومع شدة ما يلقون – فى ذات الله – من محن يثبتون ويؤدون

واجبهم على خير الوجوه : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ .

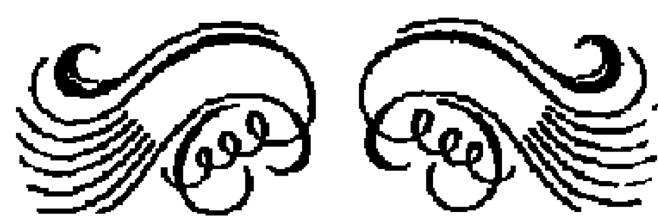
على هذه الصخرة من علاقة الفرد بربه ، علاقة إنتاج وإقبال واستغفار ، لا علاقة كسل وإدبار وانهيار ، كان البناء حسن يجمع اللبنات الجديدة لإعادة ما انهدم من أركان الحكم الإسلامى النظيف .

وما صدق الناس سلامة هذا الاتجاه فى التربية ، حتى شهدت بادية الشام وشطآن القناة أحفاد خالد وأبى عبيدة وابن العوام وابن الصامت ، صورا متشابهة تتكرر بها معجزة رسول الله فى الآخرين كما بدأت فى الأولين .

منذ أيام مشيت فى جنازة الشهيد عمر شاهين ، ثم سبحت بى الذكريات إلى إيامنا الماضية وارتسمت أمام عينى صورة الإمام الشهيد حسن البنا ، فقلت لنفسى : إن الذى علم هذا الشاب كيف يستشهد فى سبيل الله هو حسن البنا ، وقد سبقهم الرجل فى سلوك الطريق التى رسمها فما كذبهم ... ولا كذبوه ، وأعدت النظر إلى الشباب الناصع الجبين من حول الجنازة المتهاوية إلى الجنة ثم تلوت قول الله :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ... ﴾ .

الدعوة : ١٦ جمادى أول سنة ١٣٧١ هـ



حسن البنا .. المربى والزعيم

بقلم/ الأستاذ صالح عشماوى *

قد كنت أوثر أن تقول رثائى
يا منصف الموتى من الأحياء

ما كنت أظن ، وما كان يدور بخلدى ، أنه سيجىء يوم أكتب فيه عن حسن البنا وقد أصبح فى دار البقاء ، ونحن مازلنا فى دار الفناء ، بل لقد كان

---

* من الرعيل الأول الذى رباه الإمام الشهيد حسن البنا ، ورئيس تحرير صحافة الإخوان : النذير - الإخوان المسلمون (المجلة) - الإخوان المسلمون (الجريدة اليومية) . ثم رئيس تحرير مجلة « الدعوة » ، خريج كلية التجارة ، كان أول دفعته ، رفض السفر فى بعثة إلى الخارج ، وارتبط بجماعة الإخوان المسلمين منذ فجر حياته ، وكان أحد أعلامها البارزين ، حدث خلاف بينه وبين الإمام حسن الهضيبى ، استغله الطاغية جمال عبدالناصر فى استقطاب الشيخ صالح عشماوى وآخرين من كبار الإخوان ، ولكن سرعان ما بُين لهم الوجه المتآمر لجمال عبدالناصر على دعوة الإخوان وجماعة الإخوان ، فانفضوا من حول جمال عبدالناصر ، وتعرض خلال سنوات محنة الإخوان التى استمرت أكثر من عشرين عاما قضاها الإخوان داخل السجون - لعديد من الضغوط والمضايقات - ولكن الرجل صمد وثبت حتى خرج الإخوان من السجون فسارع بالاتصال بهم ، وعرض عليهم رخصة مجلة الدعوة ونفسه ، وعاد إلى صف الجماعة من جديد مجاهدا على صفحات مجلة الدعوة ، التى صدرت فى ثوب جديد ابتداء من ١٩٧٦ ، وبقيت مجلة الدعوة ، وبقى الشيخ صالح يصدع بالحق ، ويرسل من قلمه الحمم على الظلم والظالمين والفساد والمفسدين ، حتى اعتقله أنور السادات فى سبتمبر الأسود سنة ١٩٨١ ، وأشهد أن الرجل رغم أمراضه العديدة كان مطمئن النفس ثابتا صابرا محتسبا ، حتى أفرج عنه بعد أكثر من أربعة أشهر قضاها فى معتقل سجن الاستقبال وسجن « أبى زعبل » ، وبقى بجوار الأستاذ عمر التلمسانى يجاهدان أمام المحاكم لإعادة إصدار مجلة الدعوة بعد أن أغلقها السادات ، إلا أن المنية وافته قبل أن تعود « الدعوة » للصدور من جديد ، فسقطت بوفاته رخصة مجلة الدعوة بعد أن احتفظ بها مدة ثلاثين عاما .

رحمه الله رحمة واسعة .

الرجاء أن نلقى الله شهداء ، وقد عجلنا إليه سبحانه ليرضى ، وتركنا الإمام والمرشد العام يسير بهذه الدعوة وسط العواصف والأنواء إلى مرفأ السلامة ، ويقود هذه الأمة الحائرة إلى طريق العزة والمجد والسعادة . ولكن هكذا قدر ، ولا راد لقضائه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن الذين عاصرنا حسن البنا ، وتلقينا عنه ، وعشنا معه ، إذا أردنا أن نكتب عن إمامنا ومرشدنا ، ونستعرض هذا السفر الخالد من العظمة ، وجدنا أنفسنا فى بحر من الذكريات ، وتواثبت فى أذهاننا المعانى والعبارات ، ووقفنا فى حيرة واضطراب من أى ناحية نتناول حسن البنا وقد كان عظيما فى كل ناحية من نواحيه ، وعن أى صلة نتحدث ، وقد تعددت الصلات ، وتوثقت العلاقات التى ربطتنا به السنون الطوال ، أنتحدث عن حسن البنا (المربى) وقد كان كل منا يشعر أنه يقف منه موقف المريد من شيخه وقد أسلم له القياد ليأخذ بيده إلى الله وإلى طريق الحق والخير والطهر والصفاء ؟ أم نتحدث عن حسن البنا (المعلم) ، وليس فينا إلا من تتلمذ على يدية ، وتعلم منه ، وتلقى عنه ، وجدد إيمانه ، وصحح فهمه للإسلام عن طريق دروسه ومحاضراته ، أم نتحدث عن حسن البنا (الوالد) وقد كان كل منا يجد فيه أبا رحيما ووالدا عطوفا ، يسهر على راحته ، ويهتم بشئونه الخاصة ، ويلتمس عنده الحل لمشكلاته العائلية ، والفرج من ضائقة مالية ، حتى كأنه وحده الابن الوحيد لهذا العائل الكبير ؟ أم نتحدث عن حسن البنا « الزعيم » و « القائد » ، وكنا إذا ادلهمت الأمور والتبست الحقائق ، وجدنا فى عقله الذكى وقلبه التقى ، أيسر الحلول لأعقد المشاكل ، وأوسط الطرق إذا تعددت المسالك ، وحسبه أنه قد شق طريق دعوته فى وسط الصخور ، وحوَّل الأشواك فى طريقه إلى زهور ، وقاد السفينة وسط العواصف والأنواء فما اصطدمت ولا تحطمت بل اجتازت كل عقبة ، وذللت كل عسير ، وسارت فى تقدم وازدهار ومن نجاح إلى نجاح ، حتى شاعت وذاعت وملأت الأسماع والبقاع ، وأصبح اسم « الإخوان المسلمون » يتردد فى الشرق والغرب ، من مراكش إلى أندونيسيا ، وفى انجلترا وأوروبا وأمريكا وروسيا .

لقد كان حسن البنا طاقة بشرية جبارة ، طاقة روحية أضاءت كل قلب مظلم اتصلت به وأشعلت نور الإيمان فى نفس كل مؤمن من تيارها السيال ، طاقة

بلغ من قوتها أنها أحيت ميت الآمال فى نفوس اليائسين ، وهونت كل تضحية فى نفوس المؤمنين إذ كان حسن البنا طاقة علمية ممتازة كونت مدرستها ، وخرجت تلاميذها ، وجددت معانى الإسلام ، وبددت كثيرا من الأوهام ، وتركت تراثا خالدا من العلم والمعرفة ، وكان حسن البنا طاقة عاطفية فياضة جياشة ، مرهفة الإحساس رقيقة المشاعر ، فكان يحس بآلام إخوانه وأتباعه وإن أخفوها بين الجوانح وفى حبات القلوب ، وكان يعينه على ذلك مع قلبه الرحيم ذاكرة قوية جبارة ، كان يلتقى بأخ فى قرية فى إحدى رحلاته وقد تمضى فترة طويلة حتى إذا قابله مرة أخرى سأله عن أسرته وأولاده ، وعن المريض منهم وكيف صحته ، وعن الطالب فيهم ودراسته بل سأله عن أدق مشكلاته العائلية والمالية ، وكان هذا القلب الكبير والعقل الجبار ، لم يكن ما يشعله فى هذه الفترة ، ولم يعرف من الناس إلا هذا الأخ الذى التقى به لقاء عابرا وسط كتلة من الناس فى إحدى القرى .

وكان حسن البنا طاقة ضخمة من الحكمة والكياسة ، وعبقرية فذة فى فن القيادة والسياسة ، وحسبه أنه استطاع أن يقود دعوته ويسير بجماعته ، تحت سمع المستعمرين ، وبصرهم ، وتحت أنف المتزعمين وأحزابهم ، ولم يشعروا بها ولم يدركوا خطرها على أهوائهم ومطامعهم ، إلا بعد أن امتدت جذورها ، واستوت على سوقها ، وصلب عودها ، وعلت فروعها وأغصانها ، وبدأت تؤتى ثمارها بإذن ربها .

ولو أردنا أن نفيض فى كل ناحية من نواحى عظمة حسن البنا لوجدنا مجال الوقت متسعا ، ولضاقت بنا الصفحات بل الكتب والمجلدات ، ولكن حسبى أن أتناول ناحيتين من هذه النواحى الخالدات فأتكلم عن حسن البنا « المربى » وحسن البنا « الزعيم » .

أما عظمة حسن البنا المربى فيشهد بها ويزكيها مئات الألوف من الأتباع والأنصار والجنود ، الذين يملئون ويتغلغلون فى كل ناحية من نواحيها ، تزحم فى كل المدن والعواصم والمراكز ، كما تجدهم فى القرى والدساكر ، وتلقاهم فى معاهد العلم من ثانوية وفنية وفى الجامعة والأزهر ، وتلمسهم فى المصانع

والمتاجر ، وفى كل وزارة ومصلحة وفى كل شركة ومؤسسة كما تجدهم فى الحقول والمزارع ، وهؤلاء جميعا على اختلاف ألوانهم وأعمارهم ، كأنهم من أب واحد ومن أسرة واحدة تعرفهم بسيماهم ، ولست فى حاجة إلى شارة أو علامة . فهم العنصر الحى فى جسم هذه الأمة التى قتلها وأذلها الاستعمار ، وأضناها الفقر وأشقاها الجهل وهدها المرض ، وهم العقل الجديد ، والروح الجديد ، الذى يسرى فى أوصال هذه الأمة ، التى مزقتها الحزبية ، واستغلتها الأهواء والمصالح الشخصية . وهم رمز الطهر والفضيلة ، وهم دعاة الحق والخير ، وهم أنصار القوة ، وحملة المشاعل الذين يحترقون لينيروا للأمة المضللة طريقها إلى المجد والعزة والسعادة .

ولقد أثبتت الحوادث الأخيرة عظمة حسن البنا فى تربيته ، وعلى عمق هذه التربية ورسوخ هذا التكوين ، فلقد تعرض أتباعه جميعا لأشد فتنة ، وأعظم بلاء فى عهد حكومة الإرهاب ، وانصب عليهم من العنت والاضطهاد والعذاب ... مالو سلط على جبل لا ندك وانهار ، تعرضوا للسجن والاعتقال وللضرب الوحشى ، وللتعذيب الذى يتضاءل معه تعذيب محاكم التفتيش فى القرون الوسطى ، وتعرضوا للنفى والتشريد ، وحوربوا فى أرزاقهم وهددوا فى أعراضهم ، وسقط شهداؤهم واحد بعد واحد ، واغتيل قائدهم على قارعة الطريق ، وفى وسط المعركة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، وما تفرقوا ولا تقهقروا بل خرجوا من محنتهم وهم على العهد ثابتون ، وفى سبيل دعوتهم يجاهدون ، حتى يعيشوا فى ظل الإسلام سادة أعزاء أو يلقوا الله شهداء .

وهناك دليل آخر على عظمة حسن البنا المربى سيظل مضيئا فى تاريخه بحروف من نور ، ذلك أنه استطاع أن يربى من بين شباب هذا العصر المادى الإباحى الذى انهارت فيه المثل العليا ، وضاعت فيه معالم الطهر والفضيلة ، وانطلقت كلاب الملحدين تشكك الناس فى دينهم ، واندلعت نيران الشهوات تلتهم كل عرض ، وتقضى على كل خلق فى هذا العصر ومن بين شبابه الذى لم يعديهم الواحد منهم إلا أن يأكل أكلة دسمة ، ويستمتع بامرأة وضيئة يجمع من

البحار صيدا ضخما ، ويصعر خده للناس ، ويختال عليهم بمنصب أو شهرة ، فى هذا العصر ومن هذا الشباب استطاع حسن البنا أن يربى جيلا من الشباب المؤمن ، الذى تفتقده فى صالات السينما وحانات الخمور ، ولكنك تجده فى المساجد وأمام المحاريب ، والذى لا يقطع الليل فى لعب الميسر أو السهرات الحمراء فى دور الفجور ، ولكن يقطعه فى التسبيح والتهجد وتلاوة القرآن فى جوف الليل وساعات السحر ، ثم هم فى هذا يزهدون فى الدنيا بما فيها من متاع وغرور ، ولا يحرصون على جمع المال من حلال وحرام ، بل إنهم يقتصدون من قوتهم ، ويقتطعون من ضروراتهم لينفقوا فى سبيل الله ، وليوصلوا الخير والإحسان إلى مواطنيهم ، ويجعلوا فى كل شارع جماعة إخوانية ، وفى كل قرية كتيبة قرآنية ، ثم هم فوق هذا وذاك مؤمنون فدائيون ، قد باعوا أنفسهم وأموالهم لله ، ورضوا بالجنة ثمنا ، فما كاد نفير الجهاد لفلسطين يدوى حتى تسابقوا للتطوع ، وهرعوا إلى الميدان ، وقد أعدوا العدة والسلاح ، يبسطون أيديهم بالله بسط الكرماء ، ويضعون أرواحهم على أكفهم يبذلونها بذل الشهداء .

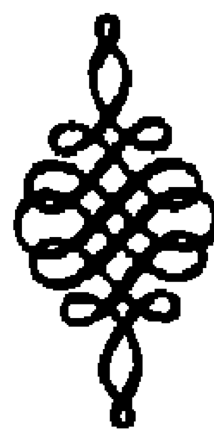
وقد كتب أبناء حسن البنا بدمائهم صفحة من المجد والفخار ، ردت إلى المسلمين اعتبارهم ، وأكدت أن الإسلام هو الإسلام يصنع الرجال ويقدم الأبطال فى كل عصر وزمان ، ولو لم يكن لحسن البنا من « معجزة » — إن صح التعبير — إلا أنه استطاع أن يربى هذا الشباب الفدائى المجاهد ، فى هذا العصر المادى الفاسد ، لكفاه فخرا ولطاول به كل مُرَبٍّ ومصلح على مر الدهور .

أما حسن البنا « الزعيم » فالكلام فيه ذو سعة ، ولكن أبرز نواحيه أنه استطاع أن يجمع حوله فى مصر مئات الألوف ، ويقنع بدعوته فى الشرق والغرب الملايين ، ولم يكن صاحب مال أو جاه ، يستهوى به النفوس ، ولم يكن لديه سلطان يرهب به الناس ، ولكنه نشأ فقيرا بسيطا ، وعاش فى بساطة الإسلام ، وزهدالعلماء والمصلحين ، ولقد استطاع أن يقنع بدعوته الأمى والمتعلم ، الفلاح والعامل ، الموظف والطالب ، الفقير والغنى ، الشيخ والشاب الفتى ، وتبدو عظمه حسن البنا « الزعيم » فى أنه استطاع أن يقود هذه المجموعات المختلفة ، والطبقات المتباينة فى الثقافة والعلم ، والمال والجاه بل وفى إيمانها بالدعوة ومدى

فهمها للفكرة ، فى وحدة منسجمة ، وفى صف ملتئم مستو ، لا عوج فيه ولا أمتا ! أما كيف استطاع حسن البنا أن يحقق هذه « المعجزة » فيجمع بين الغنى والفقير والصغير والكبير والقوى والضعيف ، والمتحمس الثائر ، والوقور الفاتر ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن كان ذلك لم يأت عفوا أو مصادفة بل كان ثمرة الجهاد المتواصل والعمل الدائب ، كان لا ينام إلا قليلا ، ويواصل العمل ليلا ونهارا ، فإذا ارتحل – وقد قضى أغلب أيامه فى رحلات – قضى نهاره فى سفر وليله فى سهر ، ويظل على هذه الحال أياما طوالا !! .

رحم الله حسن البنا فقد كان فلتة من فلتات الطبيعة قلما يجود بمثله الزمان ، وهو لم يمت بل حى عند ربه ، وحى فى قلوب أتباعه ، وحى بآثاره ودعوته التى لن تموت ولكنه سبق سبقا بعيداً ، وسيتعب من بعده تعبا شديداً . نسأل أن يوفقنا لبعض ما وفقه إليه ، وأن يجزينا عنه وعن الإسلام والمسلمين خير مايجزى به الأئمة الراشدين ، والهداة المرشدين ، وأن يرزقنا مثله الشهادة وأن يحشرنا وإياه يوم القيامه مع النبيين والصديقين .

مجلة الدعوة
السنة الأولى
العدد الثالث
٧ جمادى الأول ١٣٧٠
١٣ فبراير ١٩٥١



حسن البنا
زميل الصبا ورفيق الشباب

بقلم / الأستاذ عبدالرحمن البنا ★

عامان كانا يفصلان بيننا فى العمر ، وعامان فرقا بيننا اليوم فى الحياة ، وكنت القدوة وكنت المقتدى ، وكنت الهداية وكنت المهتدى ، ومضيت إلى ربك شهيدا ، وقدر لى أن أعيش بعدك ، وذقت مرارة الفراق ، وبلغت الآن مبلغ سنك ، يامن لا ينال قدره ولا يدرك مداه ... لم تكن طفولتك كالطفولة ، ولكن طفولة دونها الرجولة ، تفتش عن أسرار الكون ، وتسبح فى عالم مجهول ، وتسأل عن سر الحياة ... هذه الحياة ما معناها ؟ وهذه الدنيا ما غايتها ؟ وتلك الشمس من أطلعها ، وهذه النجوم من أنارها ؟ وهذه الأرض من أنبت زرعها ؟ إن الحياة كتاب تفسيره القرآن .. والكون إبداع صورته يد الرحمن ، وإذن فسر الحياة فى كتاب الله ، فهلم ياشقيقى ، واسمع ياعبدالرحمن : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنهارِ الآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَلْأَرْضِ . رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطَلاً سُبْحَانَكَ فَقِنِا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

وكان صوتك أيها الحبيب ، يطلق بها مشرقا نديا ، صائحا علويا ، سلسا

★ شقيق الإمام الشهيد حسن البنا ، ورفيق صباه ، كون جمعية الحضارة الإسلامية بمدينة القاهرة فى نفس الفترة التى أسس فيها الإمام الشهيد جماعة الإخوان المسلمون فى مدينة الإسماعيلية ، وعندما انتقلت الجماعة إلى القاهرة انضمت جماعة الحضارة إلى جماعة الإخوان وصارتا جمعية واحدة .

بقى الأستاذ عبدالرحمن البنا يعمل فى صفوف جماعة الإخوان المسلمون حتى استشهاد الإمام حسن البنا ، وبعد تولى الإمام حسن الهضيبى قيادة الجماعة اعتزل الأستاذ عبدالرحمن البنا الجماعة ولم يستمر فى العمل فى صفوفها .

لا عبقريا ، وكانت إشراقات وجهك الصغير ، وأضواء قلبك الكبير ، تنعكس على تجهم وجهى ، وتنير ظلام قلبى ، فأتكيف بتكيفك ، وأحس إحساسك ، وأتأثر بخصائصك ، فإذا تهيأت صحت فىَّ ، قم نتفهم سرها ، ونؤد حقها ، وتكون لنا شئون وشئون .. .

وكنتَ فى التاسعة وكنتُ فى السابعة من العمر ، وكنا فى المكتب نحفظ القرآن الكريم ، ونكتب فى الألواح ، وكنتَ تحفظ ثلثى القرآن ، وكنتُ أحفظ ثلثه من البقرة إلى آخر التوبة ، وكنا نعود من المكتب فتتلقفنا يد الوالد الكريم فتعدنا وتصنعنا ، وتحفظنا دروس السيرة النبوية المطهرة وأصول الفقه والنحو ، وكان لنا منهاج يدرسه لنا الوالد الكريم ، فكنتَ تدرس عليه فقه الأحناف ، وكنتُ أدرس عليه فقه المالكية ، وكنتَ تقرأ فى النحو الألفية وكنتُ أقرأ ملحة الإعراب .

وكانت الدروس تتقاضانا مذاكرة واجتهادا ، فكان لزاما أن نكيف الوقت ونضع « الجدول » وكنت يا أطهر من عرفت فى الحياة صواما قواما ، فكنت تستيقظ فى السحر ، وتقوم ما شاء الله لك أن تقوم ثم توقظنى لصلاة الفجر ، وتتلو علىَّ بعد الصلاة الجدول ، ومازلت والله يرن فى أذنى صوتك الحبيب ، من خمسة لستة « قرآن كريم » من ستة لسبعة « تفسير وحديث » ، من سبعة لثمانية « فقه وأصول » ، وهكذا كنت ترسم وأتبع ، وتأمر فأطيع ، وتتكلم فيكون الجواب الذى طبعت عليه نفسى أن أؤمن على ما تقول .. .

وكانت مكتبة الوالد الكريم تفيض بالكتب وتمتلىء بالمجلدات ، وكنا ندور بأعيننا الصغيرة ، فتلتمع أسماؤها بالذهب ، فنقرأ « النيسابورى » ، « والقسطلانى » ، « ونيل الأوتار » وكان يبيحها لنا ، ويشجعنا على اقتحامها ، فكنت أنت المجلى فى الحلبة ، وكنت فارس الميدان ، وكنتُ أحاول اللحاق بك ، ولكنك كنتَ غير عادى ، وما كان الفرق فرق السنتين ، ولكن فرق إرادة إلهية أعدتك لأمر عظيم ، فكنت طالب علم ، ولكنك كنت مستقر موهبة إلهية ، ومستودع منحة ربانية ، وشتان بين المنزلتين ، وفرق بعيد بين المريد والمراد ... .

وكنا نسمع ما يدور فى مجلس فضيلة الوالد الكريم من مناقشات علمية ومساجلات، ونصغى للمناظرات بينه وبين من يحضر مجالسة من جلة العلماء، أمثال المرحوم فضيلة أستاذنا الشيخ محمد زهران، وفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حامد محيسن، فنسمعهم مثلا يتناقشون فى مسألة الاستواء على العرش، وهى قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ وهل هو استواء أو استيلاء، وما دار فى هذا الشأن بين الغزالى والزمخشرى، وما روى بسنده عن عبدالله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أباعبدالله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ كيف استواؤه؟.

قال: فأطرق مالك ،و أخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء، صاحب بدعة، أخرجوه، فأخرج الرجل. وفى رواية يحيى بن يحيى أن مالكا أجاب: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول؟ والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، وأمر بالرجل فأخرج ....

وهكذا كنا نصغى فما فهمنا وعيناه، وما دق علينا فهمه راجعنا فيه فضيلة الوالد، أو بحثنا عنه فى كتب التفسير ....

ولست أنسى يوما أمتلأ فيه فناء دارنا «بالمحمودية» بالصبية الصغار من أبناء «الكتاب» ومعهم «العريف» و «سيدنا» وزوجته «بقفتها» وقد لبس الصبيان أجمل أثوابهم، بألوانها الفاقعة الزاهية، يحمل كل صبى منهم «جريدة» قطعة من الجريد لا صحيفة مشقوقة فى وسطها ورقة ملونة، مرسوم عليها سفينة أو شجرة، وقد رفعوا أيديهم بالجريد وحناجرهم بالنشيد:

صلوا ياحضار ..... على النبى المختار

و «سيدنا» ينشـــد:

لا تتصرف حتى تجينا الفضة

فى طاســة مجلــوة مبيضــة

والصبيان يرددون ... .

صلوا ياحضار ..... على النبى المختار

وتحضر أمنا الفضة فى طاسة مجلوة مبيضة ومعها « الكعك » وبعض « الفطائر » مما يملأ « قفة » الزوجة المنتظرة ، ويدفع سيدنا إلى الانصراف .

تلك كانت حفلة « الختم » لأن أخى « رضى الله عنه » قد أتم حفظ القرآن ، ويقبل على أخى ذات يوم مهتما فيقول : اسمع ياعبدالرحمن ، ألم تحفظ معى قول الله تعالى فى سوره آل عمران :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وأُولئِكَ هُمُ الْمُفَلِحُونَ ﴾ قلت : نعم ، قال : فهلم ، وأسس أخى عليه رضوان الله ورحمته « جمعية منع المحرمات » وقد ورد ذكر هذه الجمعية فى مذكرات أخى الشهيد حيث يقول : « وكأن هذا النشاط الداخلى لم يرض رغبة هؤلاء الناشئين فى العمل للإصلاح فاجتمع نفر منهم ، كان من بينهم الأستاذ محمد على بدر المدرس بالمعارف الآن ، ولبيب أفندى نوار التاجر الآن ، والأخ عبدالمتعال سنكل أفندى ، والأستاذ عبدالرحمن الساعاتى الموظف بالسكة الحديد الآن ، والأستاذ سعيد بدير المهندس الآن ، وقرروا تأليف جمعية إسلامية باسم « جمعية منع المحرمات » وكان اشتراك العضو فيها يتراوح بين خمسة مليمات وعشرة أسبوعيا ، وكانت أعمالها موزعة على أعضائها ، فمنهم من كانت مهمته تحضير النصوص وصيغ الخطابات ، وآخر مهمته كتابة هذه الخطابات بالحبر « الزفر » وثالث مهمته طبعها ، والباقون توزيعها على أصحابها ، وأصحابها هم الذين تصل إلى الجمعية أخبارهم ، بأنهم يرتكبون بعض الآثام ، أو لا يحسنون أداء العبادات على وجهها ، وخصوصا الصلاة ، فمن أفطر رمضان ورآه أحد الأعضاء بلغ عنه فوصله خطاب فيه النهى الشديد عن هذا المنكر ، ومن قصر فى صلاته ولم يخشع فيها ولم يطمئن وصله خطاب كذلك ، ومن تحلى بالذهب وصله خطاب نهى فيه حكم التحلى بالذهب شرعا ، وأيما امرأة شاهدها أحد الأعضاء تلطم وجهها فى مأتم أو تدعو بدعوى الجاهلية وصل زوجها أو وليها خطاب ، وهكذا ما كان أحد من الناس صغيرا أو كبيرا يعرف عنه شئ من المآثم إلا وصله

خطاب من الجمعية ينهاه أشد النهى عما يفعل .... .

وكنا نذهب إلى المسجد الصغير بعد التحاقنا بالمدرسة الإعدادية ومعنا جمع كثير من تلاميذ المدرسة لأداء الصلاة ، وخاصة فريضة الظهر ، حيث تكون هناك فسحة بعد الغداء ، وكنت أصعد سطح المسجد فأنادى بالآذان ، وأنزل فأقيم الصلاة ، ويتقدم أخى الشهيد للصلاة فى المحراب إماما ، وكان إمام المسجد الشيخ محمد سعيد رحمه الله ينتهرنا أحيانا ، ويحاول طردنا ، فكتب إليه أخى خطابا يحمل هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وعقب صلاة العشاء فى هذا المسجد يجلس أخى إلى الذاكرين من جماعة الإخوان الحصافية ، وقد أشرق قلبه بنور الله ، فأجلس إلى جواره نذكر الله مع الذاكرين وقد خلا المسجد إلا من أهل الذكر ، وخبا الضوء إلا ذبالة من مسراج ، وسكن الليل إلا همسات من دعاء ، أو ومضات من ضياء ، وشمل المكان كله نور سماوى ، ولفه جلال ربانى ، وذابت الأجسام وهامت الأرواح ، وتلاشى كل شىء فى الوجود وانمحى ، وانساب صوت المنشد فى حلاوة وتطريب :

الله قل وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته
عدم على التفصيل والإجمال

واستغرق أخى فى هذا الجو الصافى ، ونهل من هذا المنهل العذب ، وكان شيخ الطريقة عالما فاضلا ، وكان الذكر صحيحا لا لحن فيه ولا تحريف ، فكانت هذه المرحلة جلوة نفسية ، وإفاضة ربانية ، شفت بها نفسه ، وأرهف بها حسه ، وامتلأ بنور الله قلبه ، فظهرت على يده الكرامة ، وأصبح يرجى للدعاء والبركة .

ولم لا يهذب الطريق الفاضل النفسى ، ويرهف الذكر الصحيح الحس ، ويكمل جوانب الخلق ، ويكون مقومات الرجولة .. وما أحلاها من أنغام كنا نترنم بها ، وما أعذبها من قصائد كنا ننشدها :

مالذة العيش إلا صحبة الفقرا
هم السلاطين والسادات والأمرا
فاصحبهم وتأدب فى مجالسهم
وخل خطك مهما قدموك ورا
ولازم الصمت إلاإن سئلت فقل .
لاعلم عندى وكن بالجهل مستترا
ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا
عيبا بدا بيننا لكنه استترا
وراقب الشيخ فى أحواله فعسى
يرى عليك من استحسانه أثرا

لو أقدم حسن البنا على دعوته سابقا هذه الخطوات مخالفا هذا الناموس ، متقدما تلك المراحل ، مرتجلا فى خطى السير ، لما أدرك ما أدرك ، ولما كان من شأنه ما كان ... .

ولكنه كان يهيأ لكل شيء ويعد لكل ظرف ، ويصنع على عين ربانية وتحيطه هالة محمدية ، فسار فى المواكب ينشد مدح الرسول ﷺ ، وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول ، كنا نسير فى موكب مسائى فى كل ليلة حتى ليلة الثانى عشر ننشد القصائد فى مدح الرسول ﷺ ، وكان من قصائدنا المشهورة فى هذه المناسبة المباركة :

صلى الإله على النور الذى ظهرا
للعالمين ففاق الشمس والقمرا

كان هذا البيت الكريم تردده المجموعة بينما ينشد أخى وأنشد معه :

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا
وسامح الكل فيما قد مضى وجرى
لقد أدار على العشاق خمرتـه
صرفا يكاد سناها يذهب البصرا
ياسعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد
بلبلت أسماعنا يامطرب الفقرا
وما لركب الحمى مالت معاطفه
لاشك أن حبيب القوم قد حضرا

وكانت الأبيات لطولها فى الإلقاء مع التنغيم ، يضطر المنشد أن ينقطع عن الإنشاد ليتنفس ، فكان أخى إذا تنفس مددت صوتى ، وكنت إذا تنفست مدَّ صوته الحبيب ليظل الصوت متصلا فلا ينقطع .

إنى لأذكرها حقائق كأنها ماثلة بنت الساعة ، فها هو صوتى ياأخى الحبيب ممدود لئلا ينقطع الصوت ، وقد أضيفت إليه ملايين الأصوات من غرس يديك ، وفضل الله عليك ... .

وحانت لحظة الفراق - أول فراق - فتحولت مدرستنا الإعدادية إلى مدرسة ابتدائية ، فبقيت بها (وحدى) وفارقتنى يازميل الصبا ورفيق الشباب إلى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ... .

ليس هذا كل تاريخك ، ولا بعض تاريخك ، ولكنها لمحات من نورك ، وومضات من سناك ، وسيعرف الناس من أمرك ما يجهلون ، ويتمنون من حياتك ما يدركوك فحسبنا الله فيما صنعوا ﴿ وإنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ياأخى الشهيد : .

ما عاش بعدك من لم يشغله مصرعك ، وينفعه مبدؤك ، ويشرق عليه سناك ... .

أنت تاريخ التحول فى حياة مصر الماجنة إلى مصر المؤمنة ، يوم قيامك بدعوتك يوم إشراقها ونهضتها ، ويوم غدر بك الغادرون بدء ظلامها ونكبتها ... .

المسلمون فى حاجة إلى تتبع سيرة الرسول ﷺ ، وتقصى أخباره وآثاره ، ولابد لهم من القدوة العملية يتبعون سيرتها ، ويأخذون عنها ، وكنت أنت القدوة العملية ، تحقق سيرته فى نفسك ، وتشيع أضواءها على من حولك ، وكنت المعين الذى يفيض خلقه ، وينشر هديه فى العالمين ... ظن الجاهلون أنه بانتهاء حياتك ستنتهى دعوتك ، ولكنك حى لم تمت : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فأنت حى ترزق ، ورايتك عالية تخفق ، وذكراك حارة تصعق ، ولو جعلوا الأصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت فالله محيط بالكافرين ... .

يا أتباع حسن البنا ، الملايين المنتشرة فى أرض الله شرقيها وغربيها ، المؤمنون برسالة محمد ﷺ والحريصون عليها ... حسن البنا حقيقة خالدة وروح مجمعة ، وقوة دافعة ، وراية خافقة ، فتجمعوا حول رايته ، وتحققوا بسمو رسالته ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

اللهم لا تحرمنا أجره ... ولا تفتنا بعده ... واغفر لنا وله .... وارفع منزلته فى عليين ... ﴿ مَعَ الَّذِينَ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وَالشُّهَدَاء والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

مجلة الدعوة ١٣ فبراير ١٩٥١م

فكرة تحيا فى رجل

بقلم / الأستاذ البهى الخولى ★

طيف من النور ألم بهذه الدنيا إلمام الغريب الطارىء أو الضيف العابر ، ثم تركها ومضى . هذه هى قصة حسن البنا ... ماذا يأخذ الطيف من الدنيا ، أو ماذا يجمع لنفسه منها ؟ لا شىء . وماذا يترك الطيف فى هذه الدنيا حين يلم بها قدسيا من عالم القدسى ، نورانيا من عالم النور ؟ . إنه يترك كل شىء حين يترك للضمائر نورها ، وللنفوس قدسها وطهرها !! ... وهكذا كان حسن البنا ، لم يأخذ لنفسه شيئا وقد ترك للناس كل شىء !! .

هبط حسن البنا هذه الدنيا وموجة المادية تطغى على حقول الناس وقلوبهم ونفوسهم مادية الفكر والعاطفة ، والشهوة ، ولقد قضينا نحن شطرا من شبابنا فى هذه الموجة ، فكنا نظن فضائل الإسلام ومثله العليا ، أمورا نظرية لا شأن لها بواقع الحياة ، كل حظ الناس منها ، ترديد عباراتها – إن رددوها – كما تردد عبارات الشعر والأدب الجميل ... .

كان الناس يحيون فى عمار الموجة المادية ، حين قام حسن البنا فى إشراق

★ أحد قدامى الإخوان المسلمين ، كان يعمل أستاذا بالمعاهد الأزهرية ، له عدد من الكتب الإسلامية أهمها « تذكرة الدعاة » ، كان عضوا فى الهيئة التأسيسية للجماعة وعضوا بمكتب إرشادها .

كان ممن فتنهم جمال عبدالناصر عن دعوة الإخوان المسلمين ، فترك الجماعة بعد محنة سنة ١٩٥٤ .

هالة أخرى لها مبادؤها ومثلها العليا ، هالة الفكرة الإسلامية ، يحيا فيها بقلبه ويحيا فيها بعقله ، ويحيا فيها بنفسه ، ويحيا فيها بوجدانه ، وشعوره وعصبه .. فكانت مبادؤها عنده هى الحق ، وماسواها الباطل ، وكانت مثلها هى النواميس العملية الأصيلة ، وماسواها وهم خادع وسراب لا معول عليه ، وكانت زهرة الحياة الدنيا تتضاءل وتتقلص أمام عينه إلى جانب ما يفيض عليه فى هالة من سعادة رزق الله . فكان زهده فى دنيا المادة لا يعدله إلا زهد أهل المادة فيما لديه من مثل رفيعة شريفة ، ولقد عرضت الدنيا نفسها عليه وجاءته خاطبة ، وواتته الظروف ولكن هيهات أن تروج هذه الأوهام فى نفس مشغولة زاخرة بالحقائق النفيسة العليا .

جاءه من يعرض عليه منصبا فى فجر الدعوة سنة ١٩٣٢ ليلين عن بعض واجبه فى منصب الداعي إلى الله .... وكانت نظرة رثاء وإشفاق وتبكيت ، ذابت لها شخصية الداعى هوانا ودحورا وخجلا ... ولو أنه أجاب ما عرض عليه ، لكان لبنيه اليوم من يجد المنصب ونعمته ما يحسدهم عليه الكثيرون . وعرض عليه الإنجليز ذهبهم الوهاج فى مستهل الحرب العالمية الماضية ، ألوفا وعشرات الألوف ، من ورائها خزائن طوع أمره ، ورهن إشارته ، ولكن الرجل المتواضع السهل السمح أذل بكبريائه القاسية من جاء يساومه فى مثله وكرامته ... ونكس القوم على رءوسهم ، مدركين أن الذهب والفضة لايعالجان بما يحسم أمره ، ويخفت صوته إلى الأبد ... ولو أنه ألان لهم الجانب لما كشف أحد سره ، ولما تعرض لنقمة الناقمين ، وغيظ الحاقدين ، ولكان لبنيه اليوم من الضياع والعمائر ما يسلكهم فى أرباب الثروة الطائلة .

نعم ، وهذه شركات الإخوان المسلمين يعمل فى مجالس إدارتها جميعا فتعرض عليه المرتبات السخية ، والمكافآت المجزية ، ولكنه يريد أن يكون مأجورا من الله لا من الناس ، فيجعل عمله فى هذه الشركات حسنة له سبحانه ، ولأول مرة نرى فى عالم الشركات والاقتصاد هذا المثل الفذ الفريد كان حسن البنا فكرة قوية هائلة ، ولفكرة لا تبغى مالا ، ولا تسعى لعرض زائل ، لذا رأيناه يحيا بيننا حياة الطيف الخفيف ، يلم بالدنيا على هوادة ، لا يجمع منها ولا يمنع ، ولا يهتم لشئ

فيها إلا بمقدار ، ولا يصيب منها إلا ما تدعو إليه الضرورة . يأكل ما حضر من الطعام ، ويلبس ما تيسر من اللباس ، ويتخذ ما قل وكفى من السكن ، ويعيش عيشة الكفاف ، ولا يهمه أن يترك بنيه لله ولا شيء معهم ، وكل قرة عينه ، وبهجة نفسه ، أن ينادى فى الناس بكلمة الله ، ويعلن إليهم ما فى صدره من الأسرار ، وأن يرى فضائل فكرته ومثلها العليا حقائق واقعة . وصورا عملية تسعى فى حياة الناس على قدمين وتزحم بمناكبها العريضة كل ما يعترضها من باطل ، وتنضر وجه الدنيا بإبائها وعفتها ... فإذا بلغ من ذلك ما أراد رضيت الفكرة فى نفسه ، وبسمت فى قرارة فؤاده بسمة لها من سنا وجه الله نعيم ونور وغبطة .

ولقد كان للناس قبل حسن البنا يقرءون نصوص الدين ويستمعون لمواعظه ، فلا يكاد يعلق بنفوسهم منها شيء ، فلما جاء بعث الراكد وحرك الهامد ، وأثار الأشواق ، وعلق همم العاملين بالأفق الأعلى ... ولم يأت حسن البنا بعلم جديد ، ولم يكن حسن البنا بأعلم العلماء ، إنما كان شأنه وشأن غيره ، إن الغير يعرض الفكرة الإسلامية ما استطاع ، أما هو فكان الفكرة الإسلامية تعرض نفسها حية سافرة ... تعرض نفسها على لسانه بيانا جزلا مفصلا ، وتعرض نفسها فى لهجة صوته خشوعا وحنينا وروحا غريبا تطمئن به القلوب وتعرض نفسها على ملامح وجهه قوة ناطقة بما يشاء وتعرض نفسها فى نور عينيه نظرات نافذة ملهمة ، تلهم القلوب والنفوس جميعا ، فإذا نور جديد يشرق فى جوانب النفس ، وحياة جديدة تنشر ميت القلوب .. وإذا الناس إزاء الإسلام الحى الخالد كأنهم إزاء كلام محدث جديد ، وأمر تربو به نفوسهم لا عهد لهم به .

جاء حسن البنا والإسلام قد درست معالمه فى أذهان أكثر الناس ، فهو عندهم صلاة ركعات ، وصيام أوقات ، وطقوس تؤدى فى زوايا المساجد وغير المساجد ... جاء والإباحية تهدد كل ما بقى لنا من فضيلة ، والنفوس هامدة ميتة ، قد استنامت للغاصب فى أحضان دعة ذليلة فاترة ، قانعة من جهادها بما لا يخرجها عن الدعة ، ولا يكلفها إلا العافية من كل بلاء ... جاء والشباب

لا يرى فى الإسلام إلا مجموعة بالية من الأفكار المتخلفة عن ركب الحضارة ، والحكام ينبذون تشريع السماء ، ويستمدون لنا الصلاح من تشريعات الأجانب ، والاستعمار يبارك كل هذه المفاسد ، ويملى لها أن تذهب إلى آخر مدى ، وليست العبرة هنا أن نجح فى عرض ملامح الإسلام كاملة ، فإذا هو دين ودولة ، وصلاة وجهاد ، وروحانية ومادة ، وعقيدة وشريعة وتصرف وعمل ليست العبرة فى ذلك ولا فى أنه نجح عمليا فى إعداد كتائب الغزاة ، الذين خرجوا من ارض الوطن للجهاد فى سبيل الله لأول مرة فى تاريخ الإسلام الحديث ... ولا فى أنه حبب إلى الشباب ما فى الإسلام من نظم تقدمية للمجتمع الراقى ... لا ، ولا فى أنه دفع التشريع الإسلامى إلى بيئات القانون والتشريع ، حتى استطاع أن يوجد له فى داخلها أنصارا وأعوانا ، وفى خارجها رأيا عاما ينادى به ، ويدعو إليه ... ليست العبرة فى هذا كله ، ولافى أنه غزا ميدان الاقتصاد باسم الإسلام ، فنجح فى إنشاء الشركات التجارية ، والمؤسسات الصناعية ... ليست العبرة فى هذا ولا فى غيره مما لا نطيل بذكره ، إنما لب العبرة نستخلصه من بين شقى الرحا ... رحا الصراع الهائل الذى نشب بينه وبين القوى المختلفة ، أو بينه وبين عوامل الجهل والهمود والطغيان والهوى ... دعا إلى الجهاد والقوة ، وأنحى باللائمة على أولئك الذين ضيعوا تلك الفريضة المقدسة ... فزعر الاستعمار – وحق له أن يذعر – ونشط إلى دسائسة يحيك منها ما يحيك ... وهب الحكام يقولون : فوضى وثورة على القانون ... ومضى الذين لا يعجبهم عجب ينقون كالضفادع فى جهالة ، وسخف : مالنا وللجهاد ؟!! كان الجهاد أيام النبى والخلفاء ، وأين نحن من تلك الأيام ؟!! .

ونشط الداعى إلى عدالة الإسلام يندد بجشع الرأسمالية ، وظلم أولئك الذين يستحلون من جهود الضعفاء ما ليس لهم بحق ، فقالوا شيوعى مدمر ، يدعو إلى إفساد ما بين الطبقات .

ولم يطق المسلم الحى أن يغزوه الإلحاد الشيوعى فى عقر داره ، فانبرى لمنازلته فى قوة وإيمان ، فقالوا : فاشية تنزع إلى الدكتاتورية والتعصب .

وأعلنت الفكرة الإسلامية حق الوطن فى الجلاء ، ووحدة وادى النيل ، وأبت إلا أن تقول للمحسن أحسنت ، وللمسيء استقم على أمر الله ، فكانت الطامة العارمة ، والقيامة التى لم تهدأ ثائرة الأحزاب منها ، ما للدين يتدخل فى السياسة ، وما للسياسة تمتزج بالدين ؟!! ..... .

وهبت معارضة جاهلة من العوام ، ناعية على أولئك الذين أفسدوا الدين بالسياسة ، وأقحموا السياسة فى صميم الدين .... ورمى الرجل من أجل ذلك بعداوة المعادين ، وبغض الناقمين ، ودسائس الكائدين ، ورمى بكل مساءة فى خلقه ، ودينه وعرضه ، وقيل أنه مأجور ، وأنه مرتش ، وذهبت الأراجيف تتحدث عن عشرات الألوف التى قبضها ، والسيارات التى حازها ، وأسهم الشركات التى اقتناها من الدجل باسم الدين ، وأخيرا لم يكفهم أن ينالوا من الرجل كل هذا فقتلوه فى نذالة وضعة ، ليخلف أبناءه فى شقة بالية مهدمة ، كان يدفع عن سكنه فيها مائة وثمانين قرشا عن كل شهر ، وتتقلص عشرات الألوف أو مئاتها عن صبية صغار يخلفهم فى هذه الدنيا لاماء ولا شجر .

ثارت لعدائه هذه القوى جميعا ، فكان أمامه دسائس الاستعمار ، وأمامه جبروت الحكام ،وأمامه الرأسمالية الظالمة ، والشيوعية الملحدة الهادمة ، وحقد الحزبية الجامحة ، وجهل بعض العامة حين يندفعون إلى معارضة مالا يعلمون ، وأمامه كيد اليهود وغير اليهود من كل ناقم ومغيظ ، فلو أن حسن البنا كان رجلا يعتنق فكرة ، لأشفق على نفسه وعلى فكرته من منازلة هؤلاء الأعداء جميعا ، ولطوى فى نفسه بعض ما يؤلب عليه هذه القوى التماسا لشيء من العافية فى وقت يلتمس فيه دعاة الجهاد المزيف كل العافية .

لو أن حسن البنا كان رجلا يعتنق فكرة لا تخذ لنفسه مسلك السلامة بين هذه القوى ، ولكنه رجل سلكته فكرة وفاضت على عقله وقلبه ، وعزيمته ، وعصبه ، وسخرته لمشيئتها ... كان شحنة هائلة من روحانية الإسلام ، فكان عليه أن يبلغ بقدر الله كل ما أمامه من بينات ، وآفاق ، ومحيطات ، وما كان يملك أن ينازل بعض أعدائه ويهادن بعضا ... ما كان يسعه فى دين الله حين نازل

الرأسماليه ، أن يترك إلحاد الشيوعيين يسرح ويمرح فى أنحاء البلاد ، انتظارا لفراغه من معركة الرأسمالية !! كلا ، وما كان يسعه فى هذا الدين أن يترك فلسطين تقع غنيمة للطغيان ، اعتذارا بأنه لايستطيع أن يحارب فى ثلاث جبهات !! إن شيئا من ذلك ما كان يسعه ، بل ما كان يملكه ، لأن الرجل كان فكرة ، والفكرة وحدة متماسكة الأجزاء ، وإذا أسفرت شمسها الرائعة ، أسفرت بكل عناصرها مرة واحدة على كل البيئات والأنحاء وهذا هو لب العبرة فى جهاد هذا الإمام .

وبعد فهل نجح حسن البنا فى رسالته ؟ سؤال يختلف فى الإجابة عنه كثير من الناس .

فمن قال أنه نجح ، نظر إلى منشآته التى أقامها ، وتشكيلاته التى بناها ، ومن قال غير ذلك ، أيد قوله بأن الشيوعية لاتزال قائمة ، وأن فلسطين أفلتت من يد العرب ، وأن الغاصب لايزال جاثما على صدرونا وأن ، وأن وكلا الفريقين محجوب عن حقيقة هذا الإمام العظيم ، فليست العبرة أنه نجح فى تكوين شركات ، وتأليف هيئات وجماعات ، فما أهون أن تصطنع المظاهر الكاذبة ... .

وليست العبرة كذلك أنه انتصر على القوى التى نازلها أو لم ينتصر ، وإنما العبرة بالسر الكامن وراء ذلك كله ، فقد كان حسن البنا طاقة ضخمة من الحياة ، أراد لها الله أن يجدد بها المجتمع ، ويطلق سرها فى الأفق الهامد الراكد ، وبدون هذا السر ما أرخص الزعماء والأعياء ، وبدون هذا السر لا تقوم رسالة ، ولا يطرأ على الأفق شيء جديد ... .

ولقد أسلفنا فيما مضى إشارة إلى القوى التى قامت تناهض المرشد وتنابزه ، وما تلك القوى إلا جراثيم الشر والفساد ، أفزعها ما بدأ يدب فى الجسم المريض العفن من مدد الحياة الجديدة ، ودفقات البرء والصحة . نعم لقد بدأت الحياة تدب فى الجسم الهامد ، مباركة باسم الله زاكية فذعرت جراثيم العفن ، وتقلقلت الخلايا الميتة ، وجزع ما كان يعيش عليه من حشرات سامة خبيثة ، ولكن لن ينفع الجزع شيئا ، فقد تغلغلت الحياة فى أطوائه نامية متجددة ، وتوالت عليه رجفات النشور بالخلايا الجديدة تطهر العفن وتطرد ما فوقها من قشور

بالية ... وبين رجفات النشور وصيحات الاستنكار والذعر ، انقدح فى الأفق كهرباء التطور الجديد .... وسكب حسن البنا آخر دفقة من حياته مع آخر نبضة من قلبه . فمن أراد أن يعرف حسن البنا فليوفر على نفسه استقصاء منشآته ، وتشكيلاته ، ومؤلفاته ، وتوجيهاته ، وليذكر أن براعم الجيل الجديد كانت تتفتح يوم مقتله على حقبة تعج بأخبار المعتقلات ، وأنباء السجون ، وأرواح الشهداء وأحاديث الملاحم ، ودوى القنابل ، وزلزلة المحنة ، وبلاء المؤمنين ... ليذكر أن براعم الجيل الجديد كانت ولا تزال تتفتح على جو مكهرب مشحون بسيول قوية دافقة ... ليذكر هذا الجو الذى أتيح لهذه البراعم ، والجو الرخو التاعس الذى تفتحت فيه براعم جيلنا الماضى ، فإنه مدرك أى مس تنشقه البراعم الناشئة وأى طراز جديد من الرجال سيمثل الميدان فى المستقبل العتيد .

ذلكم الجو المشبع بالقوة والأمل والعزم ، هو غذاء أعصاب الجيل الجديد ، وهو رسالة الحياة التى أداها حسن البنا لهذا المجتمع فى مدى عشرين عاما من دم قلبه ، وعصارة روحه ، حتى إذا كان يوم اغتياله اقشعر الأفق برجفة عنيفة إذ سرت فى ضميره آخر شحنة من كهرباء تلك الحياة المباركة .

وقال الناس يومئذ : مات حسن البنا ... وقال قدر الله ... لا فهو حى فى أتباعه ، وهو حى أكثر من ذلك فى تلك البراعم التى لم يرها ولم تره ... .

لم يمت حسن البنا ، وإنما انطلقت مبادؤه من إطارها الذى ألزمته حيا. وتحررت الفكرة الإسلامية من نطاق اللحم والدم لتواصل أمرها فى آخرين ... انطلقت الفكرة من قلب واحد لتربو من جديد فى قلوب هيأها الله على قدر ... أما الإطار الطاهر والجسم العزيز فقد رد إلى أهله ليخرج من هذه الدنيا متواضعا يسير المظهر ، كما دخلها متواضعا يسير المظهر وكما عاش فيها كذلك ، وساهمت الحكومة المتحضرة فى هذا التواضع واليسر فحرمت على المشيعين أن يقربوه ورأى الناس يومئذ عجبا فى الجنازات ، رأوا نعشا يحمل لأول مرة فى تاريخ البشر على أعناق النساء ، وفى مقدمتهن فتاة قوية صبور تهتف بأبيها : قر عينا يا أبتاه فلن نتخلف عن رسالتك ، وليهنك قدومك على الله مقدم الشهداء ... ولئن منعت الحكومة من يشيع جثمانك – وأسفاه لنذالة الحكام – فحسبنا عزاء أو جزاءاً أن

أرواح الشهداء تمشى معنا ، وتشيع عن أهل السماء ماعجز عن تشييعه أهل الأرض ..

وفى وحشة الشارع المقفر من الغادى والرائح ، إلا من هذه الجنازة المتمهلة الفريدة ، ارتجت المنازل على الجانبين وأجهشت النوافذ والشرفات بالبكاء ، وهم يرون حسن البنا العظيم ، يحمل على كتف زوجته وابنته إلى مقره الأخير .

البهى الخولى

مجلة الدعوة

العدد الثالث

السنة الأولى

١٣ فبراير ١٩٥١م



شخصية الإمام الشهيد "ذكريات وخواطر"

بقلم / الأستاذ محمد عبد الحميد ★

من حق هذه الذكرى العزيزة على الجيل المسلم الحاضر أن يقفوا عندها طويلا يجيلو فيها التأمل والنظر ، ويقلبوا أشعة الفكر فى جوانبها فى إجلال وإخلاص وعمق ... ويتعرفوا منها كيف تنتظم الصفوف ، وتستقيم النفوس ، وتنتصر الدعوات .. من حق العالم الإسلامى فى العصر الحاضر وهو يتوثب نحو الحرية ويتحفز للمجد تحفز الليث يثور على أغلاله وأصفاده ، والنسر المحبوس يضرب بجناحيه قفصه البالى ليظفر بمكانة فوق جباله ، من حق العالم الإسلامى أن يحيى قائد نهضته ، ومحرر نفسه من الحرص والخوف والضعف واليأس فى ذكراه الثالثة ، وأن يدرس منهاج فكرته وأساليب تربيته ، لقد عرف الإمام الشهيد رضى الله عنه سر الداء فى هذه الأمة حق المعرفة كما عرف أصل الدواء وحقيقة العلاج كذلك ... عرف أن سر الداء هو الجهل بالله ، وأن أصل الدواء هو « معرفة الله » .... وأدرك أن النفس الإنسانية يعتريها الضعف من ناحيتين ، ويقعدها عن الجهاد فى سبيل الله أمران هما : الحرص والخوف ... ولو علم الإنسان أن « الله » سبحانه وحده بيده الرزق والأجل لما تخلف أو نكص على عقبيه ... وما أجمل

★ يعرف بين الإخوان بأنه « أبو الجامعيين » ، لأنه أول طالب جامعى ارتبط بجماعة « الإخوان المسلمون » ، كان مسئولا عن قسم الطلاب فى الخمسينات ، وهو مربى بصير ، لايزال رغم بلوغه السبعين عاما أو يزيد يعمل فى جامعة أم القرى فى مكة المكرمة .

وهو واحد من الجيل الأول الذى تربى على يدى الإمام الشهيد حسن البنا .

كلمته المأثورة فى هذا المعنى (يا أخى : إنما تحرص فى هذه الحياة الدنيا على أمرين رزقك وأجلك ، ولا سلطان لأحد عليهما إلا الله فلا يمنعك الحرص عليهما أن تعمل للحق) .

وما أروع تصوره « لمعرفة الله » وقيمتها فى الإصلاح فى قوله الرائع : (معرفة الله هى عصا التحويل التى تنقل الفرد والجماعة من حال إلى حال) .

فهو يرى أن لإصلاح لمجتمع إلا بصلاح النفس ، ولا تصلح النفس إلا بمعرفة الله ، فهى المفتاح والأساس الذى يقوم عليه نظام الفرد والجماعة ، وصدق الحكيم الخبير ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ .

لقد اجتمع لإمامنا الشهيد – رضى الله عنه – من المزايا النفسية مالم يجتمع لغيره من رجال الدين والسياسة وزعماء العصر من جلال الفطرة ، وسمو الروح ، وجمال النفس ، وإشراق الطبع ، وجاذبية الحديث ، وقوة الأسر .

فقد كان لروحه الكبير سلطان ساحر ، لا يجلس إليه أحد حتى يدير روحه العظيم وجهته فى مدار « الإسلام » ... وتجذبه شخصيته السماوية القاهرة إلى أفق النور والسماء ، وتدفعه طبيعته « الإمامية » الفذة إلى محراب الخير والصلاة ... وبذلك تمثل فى إمامنا الشهيد – رضى الله عنه – فطرة المؤمن ، الذى وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه إذا رؤى ذكر « الله » .

وتلك طبيعة الإيمان فى المؤمن ، تبدو هينة يسيرة فى المؤمن « الجندى » ، فكيف ترى فى القائد ؟ وكيف تكون فى القائد الفذ ، والإمام النابه الكبير .. إن آثار الإمام الشهيد لهى كتاب ضخم حافل ، هو كتاب روحانيته الباهرة ، وشخصيته النادرة المثال مأخوذا بقبس عريق من أشعة ذلكم الروح الملهم والشخصية القدسية ... قبس يبهره ويملأ جوانب نفسه روعة وضياء ... وتكاد تهتف نفسك من أعماقها وهو يحدثك حديث النور والعطر والروح والقلب ﴿ ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ .

كان لروحه العالى على سلاسته سيال قاهر ، يؤثر ولا يتأثر ، ويدفع ولا يندفع ، ويخفى ضوءه كل شارق ... وكان له تيار – على رقته – جارف لا يقف دونه سد أو حجاب ، يتسلسل إلى الأرواح فى رفق ولطف وأناة كما يتسلسل الجدول الهادىء بين الجبال والأودية ، فيكسوها خصبا وظلا ورواء وسناء .

وهكذا تكون شخصية العظماء ، الذين صيغت عظمتهم من قدس السماء ، وآفاق المثل العليا ، لا من عبقرية الغرائز الأرضية ، ودهاء المخالب والثعالب ... وهذه المشخصات العلوية لا تنال بعلم ، ولا تصاد بحيلة وجهد ، وإنما هى من أمر الله يختص بها من يشاء من عباده .

وهكذا كان إمامنا الشهيد روحا يضىء وطبيعة توه وقوة تعمل وعطرا يتأرج .... .

ومن أبرز سمات شخصية الإمام الشهيد روح « الحركة » فى طبيعته ، وطاقة « العمل » الضخمة فى أعصابه ودمه ... .

كان شخصية عجيبة فذة كأنها جهاز كهربائى نسيج وحده لا يخضع لمؤثرات المادة وقوانينها فى الطاقات والمواقيت ... سهر دائم وفكر عامل ثاقب ، وسلسلة لا تنقطع حلقاتها من الفكر والعمل والإعداد والتوجيه ... وأسفار تلو أسفار ، حتى تغلغل فى أعماق الكفور والنجوع وبين العشائر والقبائل فكان « الزعيم الشعبى » الحق ، الذى جلس على التراب ، وخالط لأول مرة طبقات الشعب المصرى فى حياتهم ، وأحس آلامهم ومشاكلهم .... .

كان الإمام الشهيد يختزل الحياة اختزالا ... كأنما كان يسابق الأفلاك فى دورانها ... خطواته خطوات « العمليق » ، وجهوده جهود « أمة » كاملة لا فرد مجدود ... وكأنه علم أن حياته أقصر من دعوته الشاملة ، فحرص على أن يمكن لدعوته من أسباب القوة ، ويحوطها بأضخم ما يستطيع من أسوار ، ويجهزها بأعظم ما يقدر من العدد والذخائر ، ولما رأى أن مشاكل المجتمع فوق ساعاته

المحدودة ، وحياته القصيرة جعل شعاره هذه الكلمة المأثورة « الواجبات أكثر من الأوقات » .

كان سمته « الحركة الدائمة » والعمل السريع ، وكان يندفع إلى تكاليف الدعوة ومطالبها فى هيام وغرام ليس لهما مثيل ، وهو خلال ذلك ينتج إنتاجا ضخما هائلا رغم المسارعة فى غير زلل أو عثار ، بل كانت سرعته يتوجها الإتقان ، وحركاته المتلاحقة يزينها الإحكام ، لقد كان سراجا قدسيا ، لم تنطفئ

جذوته ، حتى نضبت آخر قطرة فى زيته المحدود ونزفته النقطة الأخيرة من دمه الزكى وهو ينطق بالشهادتين .

كانت همته فوق قدرته ، وقدرته فوق التعب والزمن ، تتسامى فوق الطاقة البشرية ، وأعماله الضخمة الموفقة أشبه بكرامات الأولياء منها بجهود العباقرة .. .

وقد نصحه أحد الإخوان فى أواخر حياته وقد رآه لا ينام ليله ولا يستريح نهاره وقد ولت فلول الليل إلا قليلا « لو ترحمون جسمكم يافضيلة المرشد بلحظات من النوم والراحة » فأجاب الإمام : « غدا ياعزيزى سأنام نوما طويلا ... وأستريح كثيرا ... » .

عزيمة تتضاءل دونها العزائم ، وهمة لا تبلغها العصبة أولو القوه إلا بروح من الله ورضوان ... .

كان يعمل للدعوة الإسلامية كأنه المكلف بها وحده ، وتتساءل ما لهذا الرجل يحمل فوق كاهله هذه الأعباء الجسام والمشاكل الثقال ، وامتزج بالنفوس امتزاج العطر بالزهر ، حتى كان الأخ يكتب إليه فى غمار مشاغله ، وزحمة مشاكله ، يسأله عن اختيار اسم لابنته المولودة !! .

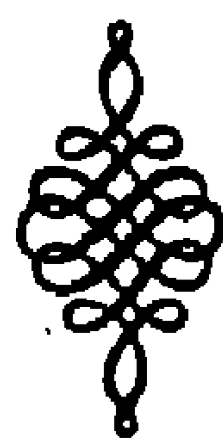
تتساءل هل أساء هذا الرجل فى الأزل فكانت هموم الدنيا ومشاكلها التى حملها جزاء إساءته بل كأنما أحسنت من قبل فكان لها هدية إحسان ونعمة شكران .

وللأستاذ الإمام الشهيد سمات فذة فى ذاكرته ، وبديهته وصبره ، ووفائه وتواضعه وسياسته وفراسته لا يتسع هذا المقال ولا هذا العدد ، لا ستقصائها ، بل تحتاج إلى دراسات ومباحث ، وقد بدأت طلائع هذه الدراسات على أيدى طلبة الجامعات فى مصر والخارج ، وهذه الدراسات - كما أشرت - من حق هذه الشخصية العظيمة على جيلنا الحاضر وفاء وتقديرا .

وبعد فقد ولد الإمام الشهيد سنة ١٩٠٦ ، بعد وفاة الإمام محمد عبده بعام واحد ، وبدأت دعوته سنة ١٩٢٨ ، بعد وفاة سعد زغلول بعام واحد ، فأضفى على دعوة الإمام عبده عنصر (الجندية) ورد إلى دعوة سعد زغلول عنصر (الإسلامية) ، وبذلك يعد هذا الجيل الإسلامى الحاضر النسخة الإسلامية الثانية ، الكاملة المعالم بعد الجيل الإسلامى الأول فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ورحم الله الفيلسوف الإسلامى طنطاوى جوهرى فقد حدثنى أن حسن البنا فى نظرى أعظم من الأفغانى ومحمد عبده ... إنه مزاج عجيب من التقوى والدهاء السياسى ... إنه قلب على وعقل معاوية .

محمد عبد الحميد
الدعوة فبراير سنة ١٩٥١
١٦ جماد أول ١٣٧١



إمام وداعية وشهيد

بقلم / الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري ★

إمــام ...

سمعت عنه كثيرا ... ورأيت له ... فى مرايا قلوب محبيه ... صورا لامعة رائعة .. فتراءى لعقلى ... عملاق هدىً ... ورأى ... وحكمة .

وتخيلته أمام عينىَّ ... عملاقا فى جسمه أيضاً ... جبارا فى قسماته وسماته وأما محبوه ... فقد حاولوا تصويره لى ... كأنه ملك كريم :

أنتَ لو أبْصرتَ فِي غَوْر هَمٍّ ، بَسْمَتَهْ
أو لَمَسْتَ عقلــه وَهْوَ يُهْدِى حِكْمَتَهْ
أوْ سَمِعْتَ جَرْسَــهُ وَهْوَ يَدْعُو دَعْوَتَــهْ
أوْ رَأيْــتَ خِلْسَــةً فِي صَلَاةٍ وَقْفَتَــهْ
مُشْفقاً مُسْتَبْشِــراً كَمْ يُغَالِبْ عَبْرَتَــه
أوْتَأمَّلْتَ ، عَلَــى أهْـلِ خَطْـبٍ ، عَطْفَتَهْ
مِنْ كَرِيمٍ عَاثِــرٍ جَدَّ يَمْحُــو عَثْرَتِــهْ
وَمُصَاب بأذيٍ رَاحَ يَأسُــو كُرْبَتَــهْ

★ أمير شعراء الإسلام المعاصرين ... سورى المولد ، ارتبط بجماعة « الإخوان المسلمون » فى الأربعينات ، وكان علما من أعلامها فى الخمسينات .

يعمل حاليا أستاذا بجامعة الملك محمد الخامس بالمغرب ... له العديد من دواوين الشعر الإسلامى ، وعدد من المؤلفات الإسلامية .

لَعَشِقْتَ رُوحَــــهُ صَاغَ مِنــها رَحْمَتَهْ
ثم لَوْ شمْتَ ، إذا جَدَّ جِدٌ ، عَزْمَتَــهْ
وإِذَا الدَّاعِى دَعَــا لِجَهَــادٍ ، هِمَّتَــهْ
وَعَلى الْبَاغِى عَلَــى أىِّ حَـقٍّ ، غَضْبَتَـهْ
قُلْتَ هذا قَسْــوَرٌ هَاجَ يُرْجِى ضَرَبَتَـهْ
وَهْوَ فِى الْوَاقِعِ شَهْمٌ ثار يحْمِى أُمَّتَــهْ
صَيْحَةُ الْأَجْدَاد فِى الأَحْفَادِ حَاكَتْ صَيْحتَهْ
وَأَنِينُ الْمَجْدِ فِى الأَصْــ ـفَـادِ أَوْرَى ثَوْرَتَـهْ
إِنَّهُ صُورَة شَــعْبٍ هَبَّ يَغْـذُو وَثْبَتَــهْ
إِنَّهُ جِيلٌ مِنِ الإِسْــ ـلَامِ يَبْنِي نَهْضَتَـهْ
أَنْـتَ لو أَبْصَـرْتَـهُ لَقَــدَرْتَ قُدْرَتَــهْ
بَشَرٌ مِنْ مَلَكٍ قَدْ تَلَقَّى فطــرتـه

سَعَيْتُ إليه ... أطوى البحار والقفار ... مشوقا إلى تعرف حقيقته .. .

ولما رأيته بين صحبه .... أول ما رأيته ... ما ظننت أنه هو !! ثم قدمت إِلَيْهِ فتلقانى فِى بَشاشةٍ ... لا تكلف فيها ورحَّب بى .... منساقا مع فطرة رحبةٍ .

لم أجد له فى مشاهدتى ... صورته فى مخيلتى .

كان أقرب إلى القصر ... منه إلى الطول .

وأدنى إلى الوداعة ... منه إلى الجبروت .

فى صراحته إباء ..... وفى جرأته إغضاء .

لايكاد يطالع الناظر إليه ... من الحزم الذى سمعه عنه ، .

إلا تقطيبةٌ بين الحاجبين ... تصغر منها عَيْنٌ .... وتكبرَ عيْن ... .

كلما تحدث فى أمر هام .

وهو بَعْدَ ذلك .... تلقاه المشاهدة الأولى ... فى مستوى الرجل العادى هنداما وقسمات ... ومظاهر حياة .

زرته فى بيته .... فوجدته زاهداً بسيطا .

وآكلته فى مائدته ... فوجدته فقيرا كريما .

وصحبته فى أسفار ... فلم أر أكثر منه أنسا وإيناسا ... .

فى مواطن الراحة .. ولا أكثر منه فناء فى العمل ... وقت العمل .

ولزمت حياته أياما ... فوجدتها دأبا مستمراً .... وجهداً مرهقاً ؟ كلما اشتدت عليه ... زادت بشاشه روحه .

فبدا أشد إنهماكاً فى السعى ... وأكثر إمعاناً فى التسليم ... وأقوى تألقا بالاستبشار .

ما رأيته مرة .... إلا زدُتْ إكباراً له ... وتعلقا به ..... وإشفاقا عليه ... وأملا فيه ... .

بيد أننى .... كلما تَوثقت صلتنا ، تبدى لنفسى ... على غير ما صوره لى محبوه :

لقد خالوه ... أشبه بالملائكة ؛ .

وأما أنا ..... فقد وجدته إنسانا .... لكل ما فى الإنسان ... من معَانى الخلافة فى الأرض .

إنه إمام ... ملء الأرواح ... والبصائر .

وداعيـــة ...

شاهدته يتكلم بين أفراد ... فلم أجد صوته ... يتطاول على الأصوات ولاح لى أميل إلى الإصغاء ... منه إلى إبداء الآراء .

فإذا دخل الحديث طور المراء ... صمت فى إعراض ... .

أو أقبل فى ابتسام ... هو بين الإشفاق والشفقة .. .

حتى إذا انتهى الأمر ... إلى زبدته ... كانت كلمته هى الفاصلة !! .

وأصغيت إليه .... وهو يخاطب ملأه ... .

فخيل إلىَّ ... أنه يحاول أن يسكت لسانه ... وينطق قلبه .. بل وكل جوارحه .

وإذ ذاك ... كان يمعن النظر ... فى من أمامه ... وكأنه يحدق .... فى أفق بعيد ، فينبعث من عيونه ... شبه نور وهاج ، يتصل شعاعا شعاعا ... بقلب فقلب ... .

وإذا بالملأ ... تحت تأثيره المطلق ... قد أسلموا إليه ..... عقولهم ... يهديها ... وقلوبهم يخفق فيها ... .

وسواعدهم وكواهلهم ... يحملها ما يرى من أعباء ... أعباء رسالته ورسالتهم .

وسمعته يخاطب الجماهير .... فوجدته الطِّبَّ الخبير يبدأ ، ويبدو معهم ... – فى أكثر الأحيان – ... واحدا منهم محدثا .... أكثر من خطيبا .

يكثر من سوق التشابيه والأمثال ... يبسط بها فكرته .... فتتلقفها الأذهان بيسر ، وقد يعالج فى ثنايا بيانه .... شؤونا من صميم حياة المستمعين حتى ليظن أحدهم ... أنه كوشف بخويصة مشكلته ... وأخذ يصف له الدواء ،

فإذا آنس .... أن القوم قد ركنوا إليه .

اشتد عليهم فى موعظته .... وبادرهم باهابات خطابية .... وجلجل بصيحات الحق ... تتخلل حديثه الدفاق ... المرصع بآى الله .

فيضعون أنفسهم منه ... دون اختيار .... موضع الرعية من الراعى .

وهكذا .... يبلغ منهم لدعوته ما يريد .

وينتهى غير مملول ... محبوبا .... مرهوبا .

كَيْفَ يَسْرِ النَّغَمُ السـا ئِغُ ، فى الآذان نَشْوَه
هَكَذَا مِنْ قَلْبَه الْمُؤْ مِنُ يُزْجِى الْهَدْى .. دَعْوَهْ
زَاخِرُ الأعماق بالإيـ ـانِ فِى دَعْوَتِـــهِ
مُنْكِرُ الذَّاتِ حَكِيمُ السَّـ ـيْـرِ فِى وِجْهَتَــهِ
طَبُّ أرْوَاح ، فلا تَخْـ ـفَى عليـه خَافِيَـــهْ
بَاسِطُ الصَّدْر بَعِيدُ السـ ـغَوْر ، شهمٌ داعِيهْ

مَاكَان يُغَادِرُ دقيقة من وقته .... إلا ويجبذُها لله ، فإذا مَشَى فى الشَّارِع .. ذكر فى نجواه ؛ وإذا كان فى حافلة أو سيارة عامة ..... آنس من معه ... .

ووعظهم بلطف ، وإذا خلا إلى قلمه ... أقبل عليه بكليته ... وأملى عليه كالبرق الخاطف .... مخزونات ... عقله .... وقلبه .... وحكمته .

وإذا جلس إلى زائر أو صديق ... أصغى إليه بجوارحه .... واستدرجه برفق ... ليستخلص من كلامه ... ما يستجره به إلى نصرة فكرته ... ووثق بذلك ... دون أن يشعر .

أما إذا فَرَغَ إلى عمله الأصيل .... فى تكوين جيل ... .

فكل جارحة من جوارحه ... تعمل فى نطاقها ... بفناء بالغ فى الله ... فإذا أضناه السهر ... رغم المنبهات .

وأعياه العمل الدأب ..... رغم المسكنات .

إنصرف بعيد صلاة الفجر .... لينام ساعات .

لا ليستريح .... بل ليتقوى على استئناف جهاده ... فى سبيل الله .

... وشهيد

ملأ المنابر هدًى .. والميادين كفاحاً .

وآذانَ الظالمين ... جلجلة ... يهدر فيها صوتِ الحق .

وعمر بيوت الله إيماناً ... وقلوب الناس نوراً .

وأصبح الأب المحبوب ... والجاه المخطوب .

حيت إذا أكرمه الله بحبه ... إبتلاه .

إبتلاه ..... فى أعز ما يبتلى به مثله :

دعوته التى أنشأها ... وفنى فيها .

وأبناؤه ... الذين عشقهم ورباهم ... وآثر هداهم على حظوظ نفسه .

كانت الدنيا تزغرد له ... وهو عنها عزوف .

وإذا بها طرفة عين ... تقلب له ظهر المجن ... وتسدد إلى حبه قلبه ... أنفذ سهم .

رياحين الأرض والسَّماء ... من شباب دعوته ... .

فى وغى الظلم ... ينكل بهم أخس تنكيل .

ودور الهدى ... والخير ... والجهاد ... تهدم على رؤوس الهدى والخير .... والجهاد .

والذين كانوا يحومون حوله ... يتلمسون منه البركات .

وقد تزيوا بزى رجال الدين ... وأقحموا أنفسهم على الإسلام .. يتاجرون به .

أخذ يظهر منهم ... وجههم الثانى ... بل وجههم الأول الصحيح فيحاربون الرجل وجماعته ... فى بيوت الله التى عمروها ويلغون فى دمائهن ... شرها وجشعا ... .

ويأكلون لحومهم نيئة ... بنهم وضرواة .

كَبَّلُوا مِنْ حَوْله أَبْنَاءَهُ   وَرَمَوْهُ بَيْن أَشْدَاقِ الأفَاعى
جَرَّدُوهُ خِلْسَةَ فِى خِسَّةٍ   وَتنادوا ، وهو فَرْدٌ ، للنزَاعِ

وَذِئابُ البغيِ جَامَتْ وَنَضنَى ... كُلُّ نذيلٍ حَوْلَهُ سَيْفَ القراعِ
وَالْجماهيرُ التىَ مِنْ ذَاتِهِ ... بَذَلَ الرِّفْدَ لَهَا دُونَ انْقِطَاعِ
حَوْقَلتْ فِى جَوَرٍ وانْطَلَقَتْ ... لا تبالى بِجِهَادٍ وَصِرَاعِ
وَالألَى كانوا يَقُولُونَ لَهُ ... ملقا قد جِئْت بالأمرِ المُطَاعِ
جَذَلُوهُ وَبَدَتْ أَوْجُهُهُمْ ... فِى المَلَا سوداء من غير قِناعِ
وَشَرَى البَاغُونَ منهم ألسناً ... بَذَلُوهَا ما دَعى لِلمال دَاعِ
فى بيوتِ الله سَبُّوا فَنداً ... خير داعٍ للهدى فيها دراعِ

كلما اشتد عليه الكرب ... اشتد صبره .

وكلماضيق عليه الخناق ... انفتحت له مع الله آفاق .

حتى إذا بلغ من القرب منزلة ... لا تنبغى لها حياة فى الأرض .

انطلق فى معارج الأجل ... .

وقد دبر الله له ... من كيد الكائدين ... شرفا رفيعاً .

ومن إجرام المجرمين ... مجداً وخلوداً .

... وأشرق الله عليه بالشهادة ... .

والجناة لا يعلمون ... من أمر الله شيئاً .

لقد تركوا دمه الطاهر ينزف ... يريدون أن يجهزوا عليه ... .

وما دَرَوا ... أن كل قطرة من دمه .

كانت تضع عن كاهله عبئا .. .

وترتفع به شوطا ... فى رحلته إلى النور الصراح .

وهكذا أخذ يتصاعد .

روحا ساميا ... ساميا إلى الله .

لقد حُرِمَ ... تشييع البشر لجسمه ... فى الأرض .

لكنه نعمَ ... باستقبال الملائكة لروحه ... فى السماء .

مجلة المسلمون العدد الثانى والثالث
والرابع
من السنه الثالثة



حسن البنا

مرحلة حاسمة فى تاريخ الفكر الإسلامى

للأستاذ عبد الحكيم عابدين ★

لست فى مقام الرثاء لشهيد الإسلام العظيم ؛ حتى يتحسس القارىء من حديثى العاطفة الدفاقة والإفاضة اللائقة فى الجلاء عن مواطن العظمة – وما أكثرها – فى الجوانب المختلفة من حياة الإمام الشهيد رفع الله مقامه فى عليّين .

وإنما الذى أخذت به نفسى فى هذا الحديث أن أصور النهضة العلمية ، وإن شئت فقل التحويل الفكرى الذى أحدثه الإمام البنا فى منهج التفكير الإسلامى ، بعد أن استقام لى أن الرجل كان بحق مرحلة واضحة المعالم ، بل مدرسة شاخصة الدعائم فى سير التطور الذى سلكته الفكرة الإسلامية فى أذهان المسلمين ، وذلك ما أردت الإلمام بطرف منه فى خيالى اليوم ؛ أملاً أن تهيأ لى فيما بعد فرصة أوسع للإحاطة به والإفاضة فيه .

هذه الإسماعيلية حيث بدأ المصلح ابن العشرين دعوته ، مسرحاً للتناحر بين الفرق الدينية على التعصب لمذاهب وآراء استحدثها القوم وتوارثوها جيلاً بعد جيل .

★ ولد الأستاذ عبدالحكيم عابدين فى قرية « فيدمين » مركز طاجة بمحافظة الفيوم ، كان من الجيل الأول الذى انتظم فى صفوف جماعة الإخوان المسلمون ، تخرج من جامعة القاهرة حيث حصل على ليسانس الاداب ، ثم تبعه بليسانس الحقوق . عمل أمينا لمكتبة جامعة القاهرة وكان متزوجا من أخت الإمام الشهيد حسن البنا ، اعتقل مع من اعتقل من الإخوان فى محنة إبراهيم عبد الهادى ، ثم اعتقل فى محنة الجماعة الأولى وعصر الطاغية جمال عبد الناصر (يناير ١٩٥٤) ، ثم أفرج عنه ، وفى المحنة الكبرى (أكتوبر ١٩٥٤) كان الأستاذ عبد الحكيم عابدين خارج القاهرة (فى بلاد الشام) ، فنجى من سجن الطاغية جمال عبد الناصر ، لكنه عاش سنوات المحنة طريدا مشردا خارج القاهرة ، ولم يدخلها إلا بعد أن هلك الطاغية .

كان سكرتيراً عاما لجماعة « الإخوان المسلمون » توفى سنة ١٩٧٧م .

فهذا معسكر السلفية ، وهم أكثر من فرقة تختلف فيما بينها ولا تتفق واحدة منها مع أخرى من معسكر آخر .

وهذا معسكر الصوفية وشأنهم فى ذلك أدعياء وصادقون .

وهذا معسكر العلماء وأشباه العلماء ، لا يرتاحون لأحد الفريقين ، ولا يرتاح إليهم الفريقان .

وعامة الشعب الإسماعيلى البرىء قسمة بين هؤلاء قد صبغ بالحزبية الدينية - طاعة لكبرائه - مرافق الحياة المختلفة من نواد ومجالس ، ثم استجمع بأسه فحزَب المساجد بيوت الله لا يصلى فريق فى مسجد فريق .

ما بال المسلمين فى الإسماعيلية يتناكرون باسم الدين حتى يتقاسموا المساجد أحزاباً ؟!

وما بال المسلمين فى الشعب المصرى تذهب بهم الفرقة المذهبية إلى حد التراشق بتهم الكفر والإلحاد ؟!

وما بال العالم الإسلامى يمزق وحدته إعصار الخلاف الدينى حتى يكون بعض أبنائه لبعض أعداء ؟!

بل ما بال تاريخ الفكر الإسلامى وفد إلينا فى موكب من الصفاء والنضوج والعبقرية ، ولا يزال يسعى فى أكنافه ضجيج من الجدل المفرِّق والخلاف الممزِّق ؟!

أليس الإسلام قد هدف أول ما هدف إلى جمع الكلمة ؟

أليس الحق تبارك وتعالى قد سجل فى قرآنه الخالد أن المؤمنين أخوة ؟!

أليس الرسول صلوات الله عليه قد جعل عزة المسلمين فى الائتلاف والوحدة ؟

أليس أصحاب رسول الله قد تناكرت آراؤهم فى غير مسألة ، فما شق لهم ذلك عصا ولا أوهن بينهم مودة ؟ ألم يحتكم بعض الصحابة إلى الرسول مفترقة أنظارهم فى أكثر من أمر ؛ فأثنى على كل وجهة وصحح كل فرقة ؟!

ألم تقرع أسماع المسلمين نذر الله ورسوله وهى تحذرهم مغبة التدابر والفرقة ؟

ألم تكن للمختلفين على مسائل الدين فى الأئمة الأربعة أسوة حسنة ؟

فى ضوء هذه الأسئلة بل هذه الحيرة البالغة أفضى الداعية الأول إلى محرابه ، ووقف متطلعاً إلى نفحات ربه ، وانطلق ببصره فى آفاق العصور الإسلامية منذ بلغ بها الخلاف هذه الحدة يتحسس الأسباب ، ويتلمس الأسرار ، ويهيء الدواء ولم يطل به التيه حتى وضع يده على موطن العلة وهُدى فى علاجها سواء السبيل .

ومن البداهة بمكان أن الداعية الشهيد قد اتخذ من صحبة القرآن الحكيم واستعراض عصر النبى الكريم الميزان الصادق فى تقدير كل ما انتشر من المذاهب ووزن كل ما تتابع من العصور .

أكدت له صحبة القرآن الخالصة الطويلة أن وحدة الجماعة الإسلامية هدف أساسى لا يرضى القرآن بحال أن يضحى منه مثقال ذرة فى سبيل أى هدف آخر يمكن أن تحققه رسالة الإسلام .

وملأته دراسة العصر النبوى يقيناً بأن تحقيق هذه الوحدة لم يتعرض لشيء من الخطر بسبب ما توزع آراء المسلمين من خلاف فى بعض مسائل الدين ، وما أكثر ما تعرضت له آراء الصحابة من فرقة وخلاف .

كيف تلازم الأمران فى عهد النبى صلوات الله عليه فدامت الوحدة للجماعة مع ترك الحرية للآراء فى أن تختلف على أية مسألة .

وكيف تناكر الأمران فيما تلا ذلك من عصور الإسلام فلم ينشط اختلاف الرأى إلا على حساب الوحدة واجتماع الكلمة .

من عرض هذه الأسئلة استطاع حسن البنا أن يكوِّن الرأى ، ويضع أسباب العلاج الذى بدأ فى تطبيقه بنفسه وبصفوة المؤمنين من أنصاره ، فكان به حقاً مدرسة فى تاريخ التفكير الإسلامى . لا يكفى القول بأنها جديدة ذات شخصيات واضحة وطابع متميز ، حتى أدعى أنها مرحلة حاسمة فى تسديد الفكر الإسلامى ؛ بل ثورة من شأنها ، حين يلتف المسلمون جميعاً إليها – أن تقلب

قواعد النظر فى أمور الدين . وتنشىء أسلوباً جديداً لتناول الخلاف تستعصم به وحدة الجماعة الإسلامية من عوامل التدابر والفرقة أيما استعصام .

وعلى عشرة دعائم – فيما وسعنى استنباطه – أقام الداعية المؤمن مدرسته الفاضلة فى توجيه الفكر الإسلامى ، ونشأ عليها مئات الآلاف من تلاميذه ، مستهدياً لا ريب بروح القرآن ، مقتدياً فى أمانة بنهج النبى عليه الصلاة والسلام .

الدعامة الأولى (دوام استهداف الوحدة)

عليك أيها المسلم حين ينأى بك الرأى فى أمر عن رأى أخيك أن تذكر أن أمامك هدفاً لا يسوغ التخلى عن طلبه وهو الوحدة ، وأنك محدود بحدود ينبغى ألا تتجاوزها وهى الحرص على رابطة القلوب واجتماع الكلمة بين المسلمين . فإذا وقر هذا فى نفسك ناقشت بقدر ، وخالفت بحساب ، ووقفت من دراسة الأمر مع صاحبك عند القدر الذى يمسك مكانته فى قلبك ومكانتك فى قلبه .

ومن واجبك أن تستحضر أبداً نذر القرآن والحديث : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » « لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » .

الدعامة الثانية (الاجتماع على الأصول)

كل من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يلتقى معك فى ظل التوحيد ، وتجمعه وإياك كلمة الإسلام ، وتعصم دمه وماله وعرضه حرمة الأخوة فى الله ؛ فوطِّن نفسك على أن تشمل الوحدة التى هدف إليها القرآن كل من قال هذه الكلمة ، ولا تَخُفَنَّ وراء شهوة الجدل والانتصار إلى ادِّعاء أن المخالف قد خرج من الملة ، وأفضى إلى الردة ، مهما يكن للأمر المختلف عليه من قيمة .

فقد اختلف أبو بكر وعمر فى أسرى بدر وهو خلاف بلغ من خطره أن تحرك الوحى السماوى فرجح فيه وجهة غير الذى أخذ بها الرسول ؛ فما تلاوم الرسول وصاحباه قبل الوحى ولا بعده .

واختلف الأئمة فى أهم أحكام العبادات كالجنابة وقراءة البسملة ؛ خلافاً لو أطيع على إطلاقه لأبطل صلاة بعضهم وراء بعض ، ومع ذلك لم يتبادلوا إلا التقدير والمحبة .

الدعامة الثالثة (اتهام النفس وإحسان الظن بالمخالف)

ليكن همك منصرفاً أول الأمر إلى اتهام نفسك وتزكية خصمك ، واذكر أدب الشافعى رضى الله عنه إذ يقول ما معناه : « ما جادلت أحداً إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه دونى » .

ومتى أحسنت الظن بالمخالف الذى تجتمع معه على الأصول قربت منه نفسك وقرب منك رأيه ، فاتبعته إن بدا لك فى قوله الحق ، وانصرفت عنه فى الحالة الثانية وأنت تلتمس له العذر .

الدعامة الرابعة (أدب الإنكار والاختصام)

حدَّثوا أن الحسن والحسين فى صباهما شاهدا شيخاً لا يحسن وضوءه ، فأخذهما الحياء أن ينكرا عليه ، فزعما له أن بينهما خلافاً على أيهما أحسن وضوءاً من الآخر ، وأنهما ارتضياه حكماً ، فتوضآ أمامه ؛ فلم يلبث الرجل أن أدرك أن وضوءهما حسن وأنه هو الذى لا يحسن الوضوء ، ثم عاد فتوضأ .

إذا وجدت من نفسك سعة للإنكار بمثل هذا الأسلوب فما أجمله ، فإن عز عليك فكلمة طيبة ونصيحة رفيقة جديرة بأن تهدى إلى الحق وترشد إلى المعروف .

كن كذلك إذا اختصمت مع غيرك ، فليكن حرصك على إظهار حجته كحرصك على إظهار حجتك ، وإذا خرج الحكم عليك فابتسم له كما تفعل لو خرج الحكم لك ﴿ ولا يجرمنَّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ﴾ .

الدعامة الخامسة (تذميم الجدال والمكابرة)

لم يكن شىء أبغض إلى إمامنا الشهيد – رضوان الله عليه – من الجدال والمكابرة ، نفَّر منهما إخوانه ونشر الأحاديث الواردة بذمهما فى لافتات ملأ بها

دور الإخوان ، وأوسعها شرحاً فى الدروس والمحاضرات ، وكان الأنموذج العملى لاجتناب الجدال فى كافة شأنه مع من يحب ومن يكره على السواء . « ما أضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » .

« أنا زعيم ببيت فى رَبَض الجنة لمن ترك الجدل وهو مخطىء ، وببيت فى ربضها وفى أعلاها لمن ترك الجدل وهو محق » .

الدعامة السادسة (جواز تعدد الصواب)

ولعل هذه النقطة من أروع ما قرع به أسماع المسلمين من هَدْى رسول الله ﷺ ، وإدراكها من أبعد العوامل أثراً فى الوقوف بخلاف الرأى عند حد التدارس والتفاهم لا التدابر والتذام ، إذ كان إلف الناس على أنك متى اقتنعت بالحق والصواب فى رأيك فلا مناص من الحكم بالخطأ على من خالفك ، ومن هنا كان ينشأ التعصب للرأى فينشىء الفرقة ويفصم المودة .

أما الداعية المجدد فقد قضى بجواز تعدد الصواب فى بعض المسائل ، بأن يكون فريقا الخلاف كل على رأى وكل رأى منهما صواب . وقد استمد هذا التوجيه فضلاً عن بساطته المنطقية من هَدْى رسول الله ﷺ يوم رفع إليه أمر خلاف الصحابة فى تطبيق قوله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة » أى الفريقين أصاب ؟ أهذا الذى أخذ بحرفية الأمر فأصر على مواصلة السير لبنى قريظة ولو لم يصلِّ العصر إلا بعد الغروب ، أم الذى أخذ بروح النص فاكتفى من تنفيذ الأمر بالإسراع فى الخروج وآثر الصلاة لوقتها فى الطريق ؟ فإذا الرسول صلوات الله عليه يزكى الرأيين ويثنى على الفريقين .

الدعامة السابعة (التعاون فى المتفق عليه وتبادل العذر فى المختلف فيه)

كان الإمام الشهيد – رضوان الله عليه – شديد الاعتزاز بهذه القاعدة الذهبية ، دائم الدعوة إليها . ومؤداها ألا جدوى من الوقوف طويلاً عند المسائل التى لم يتيسر اجتماع الرأى فيها على وجه معين . مثل هذه المسائل يجب أن نؤثرها بالإرجاء ، فلا نقتتل عليها . ولا يُنحى فريق باللائمة على من خالفه فيها ، بل

الهدى النبوى أن ننصرف عنها . وكل فريق يلتمس لصاحبه العذر إذا لم يقتنع برأيه ، وأمامنا ميدان آخر يجمل بنا أن نجتمع عليه ونستغل قوانا متحدة للنهوض بتبعاته ؛ ذلك هو ميدان المسائل المتفق عليها وما أكثرها وأولاها بالتقديم .

لا خلاف بين المسلمين فى أن الخمر حرام فلنجتمع على مناهضتها .

ولا خلاف بين المسلمين فى أن الزانا حرام فلنجتمع على إغلاق مواخيره .

ولا خلاف بين المسلمين فى أن القمار حرام فلنجتمع على مصادرة نواديه .

ولا خلاف بين المسلمين على أن الحكم بالقرآن واجب فلنجتمع على دعوة الحكام إليه .

ولا خلاف بين المسلمين فى أن العزة حق للمسلمين فنلجتمع على غرس إباء الاستعمار فى نفوس المسلمين .

ولا خلاف بين المسلمين فى أن الجهاد سبيل العزة فلنجتمع على تنشئة الأمة الإسلامية على التربية العسكرية .

ومتى حشدنا قوانا متحدة فى شغل هذه الميادين بدت لنا سائر مسائل الخلاف من النوافل الثانوية .

الدعامة الثامنة (استحضار خطر العدو المشترك)

ولقد كان الإمام البنا عليه رضوان الله يعلم بداهة أن أعون شىء للجماعة على أن تتحد ؛ هو شخوص عدو ذى بأس أمامها تتحد جميع فرقها فى خشيته والتعرض لشره .

من أجل ذلك كان دائم الحرص على تنبيه المسلمين فقهاء ومتصوفين إلى أن أمامهم عدواً مشتركاً ، عدو الوطن وعدو الدين ، لا يفرق فى اعتباره بين سلفى وصوفى ، ولا يتميز فى منظاره ، سورى عن عراقى ، وهو بالمرصاد لديننا بمذاهبه المختلفة لأنه غير مسلم ، ولوطننا بأصقاعه المتباعدة لأنه فاتح ظالم . أليس من الإنقاذ لأنفسنا أن نطرح وراء ظهورنا كل خلاف لنتعاون على أخذ الأهبة لدفع هذا الخطر واتقاء ما يترتب عليه من بطش وعدوان .

الدعامة التاسعة (فتح آفاق العمل والإنتاج)

يجمع كتاب السير على أن عمر رضى الله عنه حينما دفع بأصحابه إلى الفتح وأخرج المسلمين غُزّىً فى فجاج الأرض كان يرمى مع قصد الفتح إلى صرف المسلمين عن مجالس المناقشة والجدال ؛ إيماناً منه بأن الرجل إذا فرغ من العمل التفت إلى الكلام ، ومتى كان الكلام مشغلة الجماعة كثرت فيها المذاهب ، وتشعبت فى المسألة الواحدة الآراء ، ونجم عن ذلك – مع الغفلة عن كل القواعد السالفة – تَعَرُّضُ كيان الجماعة للاقتتال والانهيار .

وبهذا المغزى الرفيع أخذ الأستاذ البنا . فكان يخلق لتلاميذه ميادين العمل ويبتكر لهم من ضروب الواجب ما يجعل إلمامهم بالمناقشات وتناظرهم حتى فى مسائل العلم أمراً يسيراً أو دون اليسير .

فعلى الأخ كل يوم فوق أعماله الخاصة أن يقرأ ورداً ولو قليلاً من القرآن ، وأن يردد بعض المأثور من الدعاء ، وأن يزور شعبته ، وأن يجتمع مع مندوبى الشعب الأخرى فى مركز جهاد ، وأن يجتمع مع مندوبى مراكز الجهاد فى مكتب إدارى ، وأن يسعى غير مرة إلى المركز العام ، وأن يسافر إلى بعض الأقاليم عند اقتضاء الأحوال ، وأن يزور بيوت المنكوبين فى الدعوة ، وأن ينهض للخدمة العامة فى كل ميدان ، وأخيراً أن يجلس إلى نفسه لحظات قبل النوم ليحاسبها على عمل النهار .

فأى جانب بقى له من الوقت يستطيع أن يستجيب فيه لشهوة الجدال ؟!

الدعامة العاشرة (الرثاء للضال لا الشماتة فيه ولا التشهير به)

وأخيراً نسجل أن هذه الظاهرة من أبرز خصائص المدرسة التى كونها الإمام الشهيد عليه رضوان الله ؛ ذلك بأن المخالفين فى بعض المسائل يكونون من وضوح الهوى وسفور الانحراف بحيث تجد نفسك فى حل من أن ترميهم بالضلال .

لقد كان شعور الإمام البنا حتى مع هذا النوع من المخالفين هو شعور الرثاء لا الشماتة والتشهير .

كان يوسع له فرصته للأوبة إلى الحق بكلامه العذب وإرشاده الرقيق ، حتى إذا قام عنه المخالف لم تنجرح كبرياؤه ، ولم يوغر بالغيظ صدره ؛ ووجد طريق الرجوع إلى الصواب معبداً أمامه ، لا يصده عنه توهم هزيمة وخوف شماتة . وفى مثل هذا المقام كان يردد قول عمر رضى الله عنه : « هكذا لا تعينوا الشيطان على أخيكم ، ولكن أعينوه على شيطانه » .

ولو وسعتنى السطور القليلة لقصصت عن تاريخ عشرات الشباب الذين اتصلوا بالإمام الشهيد رضوان الله عليه ما يؤكد جلال الثمرة التى حصلها للإسلام ودعوته من خطة الانصراف عن الجاحد الضال فى حالة عطف ورثاء لا شماتة واستعلاء .

أيها القارىء الكريم .. هذه بالإجمال بعض قواعد المرحلة الحاسمة التى خلفها حسن البنا فى تاريخ التفكير الإسلامى ، فإذا قلت فى أى كتاب سجلها وأى مؤلّف أودعها ؟ فاعلم أنه سجلها فى أخلاق رجاله ، وأنه أودعها روح أنصاره ، دعوة بالكلام وقدوة بالسلوك ، رأيت من أثرهما لا ريب أن دعاة الإخوان كانوا أبداً بمنأى عن إثارة المسائل الخلافية فى محاضراتهم وأحاديثهم ، وأن شباب الإخوان كانوا وما يزالون بحمد الله يفيضون بشعور الأخوة نحو كل مسلم ، وأن معالم التعصب للمذهب إن ظهرت فى كل ناد اختفت تماماً من نوادى الإخوان ؛ فالناشىء منهم فى أحضان التصوف يعانق الآخذ برأى السلف إذا أقبل عليه ، والعالم النحرير من رجالهم يصلى وراء الشاب المطربش متى رآه فى المحراب ، وحامل اللحية والعذبة لا يجد حرجاً فى أن يأتم بعارى الرأس متى سبقه إلى الصلاة ، وهم جميعاً فى إحساس بعضهم نحو بعض كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

عن كتاب « حسن البنا » للأستاذ أنور الجندى (٣٤٩ – ٣٥٧)



حسن البنا .. فى رحاب الخلود

بقلم / الدكتور مصطفى السباعى

ليس للعظمة مقياس خاص فقد يكون العظيم عالماً ، أو فاتحاً ، أو مخترعاً ، أو مربياً روحياً ، أو زعيماً سياسياً ، ولكن أجدر العظماء بالخلود هم الذين يبنون الأمم ، وينشئون الأجيال ، ويغيرون مجرى التاريخ .

وحسن البنا كان أحد هؤلاء الخالدين ، بل هو – فى رأيى – أبرز الخالدين فى تاريخ الإسلام فى القرن الرابع عشر ، ليس لأنه كان عالماً أو خطيباً ؛ ففى معاصريه من كانوا أكثر منه علماً ، وأنصع بياناً ، ولكن لأنه الرجل الذى بنى دعوة ، وأنشأ جيلاً ، وهز تاريخ مصر الحديث خاصة ، والشرق العربى عامة ، هزاً عنيفاً ما تزال الأحداث تتأثر بمجراه .

وحسبك أن تعلم أن مؤرخاً ما لن يستطيع أن يؤرخ لمصر الحديثة ، أو لقضية فلسطين ، أو للقضية العربية عامة ، أو لقضايا العالم الإسلامى ، دون أن يترك فيه مكاناً لحسن البنا ، ومهما اختلفت فيه آراء المؤرخين ، فلن يختلفوا قط فى أنه أبرز الشخصيات المصرية أو العربية أثراً فى الحوادث التى ما زالت تتتابع منذ أكثر من ربع قرن حتى الآن .. وهذا وحده أبرز مظاهر الخلود لفقيدنا العظيم .

وإذا غمط الناس قدر هذا المصلح الكبير فى عصرنا الحاضر ، غمطوه قدره فى حياته ، وغمطوه قدره بعد استشهاده ، فذلك شأن العظماء من معاصريهم فى كل زمان ، ألم تر الشيخ محمد عبده كيف كان فى حياته متهماً بالكفر والزندقة من علماء الأزهر ، تجرى الشائعات حوله فى كل ناحية من نواحى شخصيته ،

لتبرزه للناس بصورة غير محببة إليهم ، فما انقضى على موته نحو من ثلاثين سنة حتى كان الأزهر – علماء وطلاباً – يحتلفون بذكراه ، ويمجدون علمه ونبوغه وفضله ؟ .

وحسن البنا لم يمت عند كل الذين خاصموه وخاصمهم فى حياته ، بل لم تنقطع أسباب العداوة بينه وبين كثيرين من الذين وقفت دعوته فى وجوههم ، بل لا تزال الحرب قائمة بين دعوته وبين الذين لا يؤمنون بها ، وبيد أكثرهم الملك والسلطان ، والجاه والأموال . والصحف والإذاعات ، فكيف يرجى منهم أن ينصفوه ، ولم يصلوا إلى لبانتهم من القضاء على دعوته ؟!

ولن يضير حسن البنا أن يغمطه الناس أو ذوو النفوذ منهم قدره ، ويجحدوا فضله ، فعظماء الإسلام فى التاريخ القديم والحديث ، لا يعملون أبداً ليعرف الناس أقدارهم ، أو ليحيطوهم بالرعاية والثناء ، إن الإسلام ليصوغ هؤلاء العظماء صياغة خاصة لا يعرفها التاريخ فى غيرنا من الأمم ، فهم يربيهم على الروحانية المشرقة ، والإيمان العظيم ، لا تنفصم عراهما ، والوعى العجيب لحقائق الحياة وأسرار الوجود ، والفناء الخالص فى فكرتهم ، والتضحية البالغة فى سبيل أدائها ، والحب الإنسانى الرائع للناس ، على اختلاف نزعاتهم .

ثم هم مع ذلك كله لا يرون إلا الله ، ولا يرغبون إلا فى ثوابه ، ولا يخشون إلا من حسابه ، ولا يطلبون الزلفى إلا عنده ، ولا يرجون الأمن والكرامة إلا فى رحابه ، فلن يكون فى نفوسهم متسع لشهوة الثناء ، أو رغبة الجاه ، أو الأمل بحب من تنزلهم المطامع والأهواء إلى دركات الحقد أو الغفلة أو الشقاء . هيهات أن يبعثهم على العمل فى الحياة ما تفيض به الحياة من رغبات وشهوات ، فما هم إلا النور المرسل من السماء ليكشف عن أهل الخلود ظلماتهم ، ثم يظل فى السماء دائماً وأبداً ، ولن يختلط بتراب الأرض ، إلا كما تقع أشعة الشمس على أعلى القصور وأدناها ! .

وبعد : فكيف كان حسن البنا فى واقعه الذى عاش فيه ، ثم فى عالمه الذى خلد فيه ؟ .

إن مثل هذا الرجل العظيم لن تسع الصفحات القليلة للتحدث عنه ، بل لن يكفى فى تحليل شخصيته ، وتعداد أعماله ومآثره كتاب محدود الصفحات ، ولقد كتب السيد رشيد رضا رحمه الله عن الإمام محمد عبده ثلاثة مجلدات فى تاريخ أعماله ومآثره ، فإذا أراد مؤرخ أن يؤرخ لحسن البنا على ذلك النمط ، كان الحديث عنه فى بضعة مجلدات كبار ، ولعل الدعوة الإسلامية تستطيع أن تقوم بهذا الواجب قبل أن ينقرض الجيل الذى رافق حسن البنا فى جهاده ، وأخذ عنه مبادىء دعوته ، وعرف من دقائق حياته ما لا يعرفه إلا الأفراد القلائل ، واطلع على أسرار حركته وجهاده ما لم يعرف منه إلا القليل النادر .

إن هذه أمانة فى عنق أصحابه وتلاميذه ، لن يطالبهم بها حسن البنا ، بل ستطالبهم بها الأجيال المسلمة الآتية التى رفع لها الإمام الشهيد اللواء ، ومهد لها الطريق ، ورفع عنها القيود والأغلال .

ولقد قدّر لى أن أعرف حسن البنا فى أواخر حياته ، وأن أكون على مقربة منه فى أيام محنته الأخيرة ، ثم فى أيام استشهاده ، ثم قدر لى بعد ذلك أن أطوف فى بعض أنحاء مصر ، فى مدنها وقراها ، وفى ساحلها وداخلها ، فوالله ما رأيت إنساناً أروع فى الفداء ، وأخلص فى النصح ، وأنبل فى التربية ، وأكرم فى النفس ، وأعمق أثراً فى الإصلاح ، من حسن البنا رحمه الله !.

لقد كانت كل قوى الشر فى الأرض تتحداه : الاستعمار ، والملك والباشوات ، والأحزاب والأزهر ، والفساد والانحلال ، ثم جهل الجماهير بمصلحتها ؛ لقد كان كل ذلك يتحداه ويقف فى طريق إصلاحه ودعوته ، ومشى كالطود لا يعبأ بالرياح ، ولا يبالى بالمعاول ، ولا يتراجع أمام العاصفة ، وإن كان ينحنى لها حتى تأخذ طريقها ، ولا ينكص على عقبه برغم كل تهديد ووعيد ، ولا يضعف إيمانه بالنصر ، وإن أظلمت الدنيا من حوله ، ولا ينهزم من المعركة مهما تكاثرت القوى وتألبت عليه .

وكان مع ذلك كله يتسع صدره لأعدائه كما يتسع لأصدقائه ، لم يكن يكره أحداً من أعدائه كراهة حقد ، فالرجل العظيم لا يعرف الحقد إلى قلبه سبيلاً، ولكنما يكره من أعدائه باطلهم وفسادهم وافتراءهم وتفننهم فى الشر ، وإضرارهم بمصالح الشعب ، كما كان يكره من بعض أنصاره لجاجهم وقلة تبصرهم ، وتمردهم على الحق ، وإيذاءهم للدعوة بسلوكهم وأخلاقهم . وهو مع ذلك يقول ما قاله الرسول ﷺ وهو جريح يوم أحد : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وما زال بأعدائه نصحاً وإشفاقاً ، وما زال أعداؤه به كيداً وتآمراً ، حتى قتلوه فى الظلام وحيداً أعزل ، مجرداً من كل قوة وجاه وأنصار ، قتلوه وهم أقوياء وهو الضعيف ، وهم الحاكمون وهو المطارد ، وهم المسلحون وهو الأعزل ، وقتلوه وهم الأشقياء وهو السعيد ، ثم أصبحوا مطرودين من رحمة الشعب ، وهو مغمور برحمة الله ، وهم الآن مشتتون فى ديار الغربة ، وهو الآن فى رحاب الخلود ! ...

رضى الله عنه ، وأكرم مثواه ، وأجزل مثوبته .

عن كتاب « حسن البنا » لأنور الجندى (٣٤٣ - ٣٤٥)



الداعية العبقرى

للسيد الأستاذ ابى الحسن الندوى ★

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد :

كفى برهاناً على خلود الإسلام وعلى أنه دين الله المختار الذى صنُع ليعيش إلى آخر الزمن ، وعلى خلود هذه الأمة ، وعلى أنها هى الأمة الأخيرة ، وعلى أنها منُجبة منتجة ، مورقة مزهرة ، وعلى أنها كنانة الله التى لا تنفد سهامها ولا تخطىء مرامها .

كفى برهاناً على كل ذلك وجود هؤلاء المصلحين والمجاهدين والعباقرة والنوابغ ، والموهوبين والمؤيَّدين والمربين ، وقادة الإصلاح الموفقين الذين ظهروا ونبغوا فى أحوال غير مساعدة ، وفى أجواء غير موافقة ، بل فى أزمنة مظلمة حالكة ، وفى بيئات قاتلة فاتكة ، وفى شعب أصيب بشلل الفكر ، وخواء الروح ، وخمود العاطفة ، وضعف الإرادة ، وخور العزيمة ، وسقوط الهمة ، ورخاوة الجسم ، ورقة العيش وفساد الأخلاق ، والإخلاد إلى الراحة ، والخضوع للقوة ، واليأس من الإصلاح .

إن لهؤلاء المجاهدين الدعاة المصلحين قائمة مشرِّفة ، يتجمل بها تاريخ الإصلاح والدعوة ، ولا يخلو منهم زمان ومكان ، وقد كان الإمام الشهيد حسن

★ كتبت هذه الكلمة فى الأصل مقدمة لكتاب « مذكرات الدعوة والداعية » للإمام الشهيد وقد نقلناها بشىء من التصرف .

★ الشيخ أبوالحسن على الحسنى الندوى مؤسس الجماعة الإسلامية فى شبه القارة الهندية وواحد من علماء القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين الأفاضل له العديد من المؤلفات وله رحلات كثيرة إلى دول العالم الإسلامى .

البنا من هذه الشخصيات التى هيأتها القدرة الإلهية ، وصنعتها التربية الربانية ، وأبرزتها فى أوانها ومكانها ، وإن كل من يتعرف على سيرة هذا الرجل وهو سليم الصدر ، مجرد الفكرة ، بعيداً عن العصبية والمكابرة ، يقتنع بأنه رجل موهوب مهيأ ، وليس من سوانح الرجال ولا صنيعة بيئة أو مدرسة ، ولا صنيعة تاريخ أو تقليد ، ولا صنيعة اجتهاد ومحاولة وتكلف ، ولا صنيعة تجربة وممارسة ، إنما هو من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية والعناية بهذا الدين وبهذه الأمة ، والغرس الكريم الذى يهيأ لأمر عظيم ولأمل عظيم فى زمن تشتد إليه حاجته وفى بيئة تعظم فيها قيمته .

إن الذى عرف الشرق العربى الإسلامى فى فجر القرن العشرين ، وعرف مصر بصفة خاصة ، وعرف ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيسى من جسم العالم الإسلامى من ضعف فى العقيدة والعاطفة ، والأخلاق والاجتماع ، والإرادة والعزم ، والقلب والجسم ، وعرف الرواسب التى تركها حكم المماليك وحكم الأتراك وحكم الأسرة الخديوية ، وما زاد إليها الحكم الأجنبى الانكليزى وما جلبته المدنية الأفرنجية المادية والتعليم العصرى اللاديني ، والسياسة الحزبية النفعية ، وما زاد هذا الطين بلة من ضعف العلماء وخضوعهم للمادة والسلطة ، وتنازل أكثرهم عن منصب الإمامة والتوجيه . وانسحابهم عن ميدان الدعوة والإرشاد ، والكفاح والجهاد ، واستسلامهم « للأمر الواقع » ، وخفوت صوت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، زد إلى ذلك كله نشاط دعاة الفساد والهدم ، والخلاعة والمجون ، والإلحاد والزندقة ، وتزعم الصحف والمجلات الواسعة الانتشار القوية التأثير للدعوات المفسدة ، والحركات الهدامة والاستخفاف بالدين وقيمه ، والأخلاق وأسسها . وما آل إليه الأمر ، ووصلت إليه الأقطار العربية بصفة عامة ، والقطر المصرى بصفة خاصة من التبذل والإسفاف ، والضعف والانحطاط ، والثورة والفوضى ، والانهيار الخلقى والروحى فى الثلث الأول من هذا القرن الميلادى ، ورأى كل ذلك مجسماً مصوراً فى أعداد « الأهرام » و « المقطَّم » و « الهلال » و « المصوَّر » ، وفى كتب كان يصدرها أدباء مصر وكتابها المفضلون المحببون عند الشباب ، ورأى ذلك مجسماً مصوراً فى أعياد مصر ومهرجاناتها ، وحفلاتها وسهراتها ، واستمع إلى الشباب الجامعى فى نواديهم

ومجالسهم . وزار الإسكندرية وشواطئها ومصائفها ، ورافق فرق الكشافة والرياضة ، والمباراة ، ودخل دور السينما ورأى الأفلام الأجنبية والمحلية ، واطّلع على الروايات التى تصدرها المكتبة العربية فى مصر بين حين وآخر ، ويتهافت عليها الشباب بنهامة وجشع ، وعاش متصلاً بالحياة والشعب ، وتتبع الحوادث ولم يعش فى برج عاجى ، وفى عالم الأحلام والأوهام . عرف رزية الإسلام والمسلمين ، ونكبة الدعوة الإسلامية فى هذا الجزء الذى كان يجب أن يكون زعيماً للعالم العربى كله ، وزعيماً للعالم الإسلامى عن طريقه ، وقد بقى قروناً كنانة الإسلام ومصدر العلم والعرفان ، وأسعف العالم العربى وأنجده بل أنقذه فى فترات دقيقة عصيبة فى التاريخ الإسلامى ، ولا يزال يحتضن الأزهر الشريف أكبر مركز ثقافى إسلامى وأقدمه .

إن كل من عرف ذلك عن كثب لا عن كتب وعاش متصلاً به ، عرف فضل هذه الشخصية التى قفزت إلى الوجود ، وفاجأت مصر ثم العالم العربى والإسلامى كله بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة ؛ التى جمع الله فيها مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة فى عين كثير من علماء النفس والأخلاق ، ومن المؤرخين والناقدين ، هى : العقل الهائل النير ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القوية الجياشة ، والقلب المبارك الفياض ، والروح المشبوبة النضرة ، واللسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة – دون عنت – فى الحياة الفردية ، والحرص وبعد الهمة – دونما كلل – فى سبيل نشر الدعوة والمبدأ ، والنفس الولوعة الطموح ، والهمة السامقة الوثابة ، والنظر النافذ البعيد ، والإباء والغَيْرة على الدعوة ، والتواضع فى كل ما يخص النفس ؛ تواضعاً يكاد يجمع على الشهادة عارفوه ، حتى لكأنه – كما حدثنا كثير منهم – مثل رفيف الضياء : لا ثقل ، ولا ظل ، ولا غشاوة .

وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب فى تكوين قيادة دينية اجتماعية ، لم يعرف العالم العربى وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيراً وأكثر إنتاجاً منها منذ قرون ، وفى تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد – فى دنيا العرب خاصة – حركة أوسع نطاقاً وأعظم نشاطاً ، وأكبر نفوذاً ، وأعظم تغلغلاً فى أحشاء المجتمع ، وأكثر استحواذاً على النفوس منها .

وقد تجلت عبقرية الداعى مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها ، فى ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين :

أولاهما : شغفة بدعوته وإيمانه واقتناعه بها وتفانيه فيها وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله ، وذلك هو الشرط الأساسى والسمة الرئيسية للدعاة والقادة الذين يجرى الله على أيديهم الخير الكثير .

والناحية الثانية : تأثيره العميق فى نفوس أصحابه وتلاميذه ونجاحه المدهش فى التربية والإنتاج ؛ فقد كان منشىء جيل ، ومربى شعب ، وصاحب مدرسة علمية فكرية خلقية ، وقد أثر فى ميول من اتصل به من المتعلمين والعاملين ، وفى أذواقهم وفى مناهج تفكيرهم وأساليب بيانهم ولغتهم وخطاباتهم تأثيراً بقى على مر السنين والأحداث ، ولا يزال شعاراً وسمة يعرفون بها على اختلاف المكان والزمان .

لقد فاتنى أن أسعد بلقائه فى مصر وفى غير مصر ، فقد كان العام الأول الذى كتب الله لى فيه الحج والزيارة وخرجت من الهند لأول مرة وهو عام ١٩٤٧ م وهو العام الذى تغيب فيه الشهيد عن الحجاز ولم يغادر مصر ، وقد كان يحضر الموسم فى غالب الأعوام ، ويحرص على نشر دعوته والحديث إلى وفود بيت الله الحرام ، وعلى السعى المجهد الحثيث فى توثيق الصلات والعهود مع الوافدين من أنحاء عالم الإسلام كله .

بيد أنى قابلت بعض تلاميذه ودعاته ، فلمست فيهم آثار القائد العظيم والمربى الجليل ، فلما قدر لى أن أزور مصر سنة ١٩٥٠ م ؛ كانت رحمة الله قد استأثرت به ولما يجاوز عمره بعد الثانية والأربعين إثر حادث استشهاده الذى أدمى نفوس ملايين المسلمين ، وحرم العالم الإسلامى هذه الشخصية التاريخية الفريدة ، ولا أزال أتحسر على هذه الخسارة التى كتبت لى ، ولكنى اتصلت بتلاميذه اتصالاً وثيقاً ، وعشت فيهم كعضو من أعضاء أسرة واحدة ، وزرت والده العظيم رحمه الله ، واستقيت منه معلومات وأخباراً سجلتها فى مذكراتى ، وقابلت زملاءه وأبناءه ، واجتمع لنفسى من كل هذه الآثار والأخبار ملامح الصورة العظيمة لصاحب هذه الدعوة ومؤسس هذه المدرسة ، أنا واثق بأنها صورة صادقة مطابقة .

مقدمة كتاب مذكرات الدعوة والداعية للإمام الشهيد حسن البنا

وفى تلك الرحلة وقع إلى كتابه « مذكرات الدعوة والداعية » ، فألفيته كتاباً أساسياً ، ومفتاحاً رئيسياً لفهم دعوته وشخصيته ، وفيه يجد القارىء منابع قوته ومصادر عظمته ، وأسباب نجاحه واستحواذه على النفوس ، وهى :

سلامة الفطرة ، وصفاء النفس ، وإشراق الروح ، والغَيْرة على الدين ، والتحرق للإسلام ، والتوجع من استشراء الفساد ، والاتصال الوثيق بالله تعالى ، والحرص على العبادة ، وشحن « بطارية القلب » بالذكر والدعاء والاستغفار ، والخلوة فى الأسحار ، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس فى مواضع اجتماعهم ومراكز شغلهم وهواياتهم ، والتدرج ومراعاة الحكمة فى الدعوة والتربية ، والنشاط الدائم والعمل الدائب .

وهذه الخلال كلها هى أركان دعوة إسلامية ربانية ، وحركة دينية تهدف إلى أن تحدث فى المجتمع ثورة إصلاحية بناءة ، وتغير مجرى الحوادث والتاريخ .

أما بعد :

فقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الدعوة التى أعادت إلى الجيل الجديد فى العالم العربى الثقة بصلاحية الإسلام وخلود رسالته ، وأنشأت فى نفوسه وقلوبه إيماناً جديداً ، وقاومت « مركب النقص » فى نفوسهم والهزيمة الداخلية التى لا هزيمة أشنع منها وأكبر خطراً ، والميوعة وضعف النفوس والانسياق تحت ربقة الشهوات والطغيان ، وخلقت — كما يقول شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال — « فى جسم الحمام الرخو الرقيق قلب الصقور والأسود » حتى استطاع هذا الجيل أن يصنع عجائب فى الشجاعة والبسالة والاستقامة والثبات .

لقد كانت محاولة القضاء على آثار هذه الحركة وطمس معالمها ، وتعذيب جنودها ، وتشريد رجالها ، جريمة لا يغتفرها التاريخ الإسلامى ، ومأساة لا ينساها العالم الإسلامى ، وإساءة إلى العالم العربى لا تعدلها إساءة ، ولا تكفِّر عنها أى خدمة للبلاد ، وأى اعتبار من الاعتبارات السياسية ، إنها جريمة لا يوجد لها نظير إلا فى تاريخ التتار الوحوش ، وفى تاريخ الاضطهاد الدينى ومحاكم التفتيش فى العالم المسيحى القديم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لمحات عن الداعية الأول للإخوان المسلمين

بقلم / الأستاذ محمد فريد عبد الخالق ★

من شأن عظماء المصلحين والدعاة البانين أن يتقاضوا الناس مرور فترة من الزمن على مفارقتهم الدنيا ، قبل أن يتأتى للمؤرخين لهم الإحاطة بجوانب شخصياتهم الفذة ، التى تتبلور فيها مختلف المشاعر والمعانى ، وتلتقى عندها كثير من التيارات والأحداث ، ويصدر عنها ينابيع من القوى والنور ، ويقدرونهم بذلك حق قدرهم ، فكأنهم الصروح الضخمة الساحقة ، والمجموعات الشمسية الدائرة ، يظهرهم للرائى ويظهرها بعد المسافات ومرور الأزمان ، لأن التاريخ إحاطة ، ولا يتسنى لنا الإحاطة بالكبير من الحوادث والعمالقة من البشر إلا من بعد مناسب .

ويتأخر التاريخ لهؤلاء المصلحين والدعاة كذلك لأن صلتهم بين أظهر أنصارهم وأبناء جيلهم تظل ممتدة الآثار فى كل شئونهم ، متغلغلة الوجود فى نفوسهم ، عميقة التأثير فى تفكيرهم ووجدانهم حقبة من الزمان تطول أو تقصر حسب حظوظهم من قوى الإمداد والدفع فيمن بعدهم ، والتأريخ للناس والأحداث أن تحصرهم فى إطار ، ومن العسير أن نحصر فى إطار من تكون حياته

★ ارتبط الأستاذ محمد فريد عبدالخالق بجماعة الإخوان المسلمين فى أوائل الأربعينات ، وكانت له صحبة بالإمام الشهيد حسن البنا ، واختير عضوا فى الهيئة التأسيسية للجماعة وعضوا بمكتب إرشادها .

وكان من المقربين إلى الإمام الممتحن حسن الهضيبى .

بعد وفاته أو استشهاده لا تزال ملء القلوب والأسماع والأبصار .

ولعل هذه الظاهرة النفسية أوضح ما تلاحظ فى تأخر مؤرخى السيرة المطهرة فى تدوين حياة النبى صلوات الله وسلامه عليه إلى رأس المائة الثانية الهجرية .

أى حيـاة

وإذن فهى لمحات خاطفة ، ونتف عاجلة عن حياة فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين ، الذى جاء إلى الدنيا عام ١٩٠٦ ، وفارقها شهيد لدعوته فى ١٢ فبراير عام ١٩٤٩ ، ولا أجدنى أقدر على تناول سيرته التناول العلمى أو التاريخى بالمعنى الاصطلاحى الآن وفى مناسبة ذكرى استشهاده الجليلة المعنى ، الباقية على الزمن ، كجزء من التراث الإسلامى الخالد ، وحلقة من التاريخ الخاص والعام على السواء .

وأحب أن أعترف على نفسى أمام القارىء بالعجز والحيرة ، وأنا أعالج الكتابة عن هذه الشخصية العظيمة ، التى تطالعنى جوانبها الثرة المتعددة وآثار جهادها الفذ المختلفة ومجالات نشاطها الكثيرة ، ويطالعنى خط سير حياته العريضة العميقة الذى صنع به أبرز الخطوط وأكثرها غورا فى التاريخ الإسلامى المعاصر ، فيجمد القلم فى يدى وتجمد الأفكار فى رأسى .

وكيف لا ! ونحن بصدد التأريخ لمصلح اجتماعى ، وداعية إسلامى ، من طراز فريد بين أقرانه من المصلحين والدعاة فى القديم والحديث على السواء ، ألم يحدث هذا الرجل بحركته الإصلاحية تياراً دافقا من الوعى الإسلامى ، والتحرير الوطنى فى مصر وسائر الممالك العربية والإسلامية ، لابد أن يبلغ مداه مهما وضع فى طريقه من عقبات ؟! ألم يستطع بدعوته العظيمة وجهاده الحق من أجل نصرتها وذيوعها أن يحتل عن وعى وحب ملايين القلوب من المؤمنين المجاهدين ، وأن يكسب للدعوة الإسلامية الزاحفة الملايين من الأنصار والعاملين ، وأن يقض مضاجع أعداء الحرية والدين فى خارج البلاد وداخلها ، من اليهودية العالمية ، والصليبية الدولية ، والاستعمار الأوربى ، والرأسمالية

الطاغية ، وأن يواجه كل هذه القوى مجتمعة لحربه وللقضاء على دعوته بعد النصر العجيب الذى أحرزه فى معركة فلسطين ، يوم التفت العالم من أقصاه إلى أقصاه إلى بلاء المتطوعين المجاهدين فى الميدان ، وبعد وقفات الإخوان التاريخية فى وجه الاستعمار الأوروبى ، مناهضا أذنابه ، ومفوتا أغراضه ، وبعد بذر الجهود الاقتصادية الإخوانية فى مضمار المال ودوائر الأعمال ومغالبة شركات الاحتكار والاستغلال . وأعجب العجب حقا أن يتسنى لهذا الداعية الإسلامى الفذ أن يحقق هذه المقاصد المرسومة ، وأن ينجز هذه الأعمال الضخمة فى أقل من ربع قرن من الزمان ، فلا يكاد يصدق الناس أن هذا الرجل قد فارق الدنيا عن أربعين عاما من عمره ، فأى حياة عريضة حافلة خصبة كانت حياة حسن البنا ؟!

موافقـــات

كان عمر « مصطفى كامل » باعث الحركة الوطنية فى مصر كالشهاب الخاطف فى حساب الزمن ولكنه بعض التراث الخالد فى حساب الوطنية وميزان الرجولة والشرف ، ومن الموافقات الملحوظة أن مصر يوم كانت تشيع على البعد « مصطفى كامل » بعين باكية وكبد مقروحة إلى مقره الأخير ، كانت تستقبل فى نفس الوقت وهى لا تشعر بطلا آخر ، أوسع أفقا ، وأبعد أثرا ، وأعظم رسالة فى الإصلاح فى أهاب هذا الطفل الذى أراد الله لوالديه أن يسمياه وراء دوره ونهجه « حسن البنا » ، أنجبه بيت ريفى صميم فى إحدى أعمال البحيرة ، فعوض الله به مصر والعالم الإسلامى كله خيرا ، ومن الموافقات كذلك أنه لما اندلعت نار الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فشملت آنذاك أنحاء الوادى كان « حسن البنا » فى سن الحداثة ، وطور المراهقة ، اللذين يتفتح المرء فيهما بكل مواهبه للحياة ، وتتفتح الحياة فيه كذلك بكل آفاقها وقواها ، فأراد الله أن تلتقى الثورتان ، ثوره الفتوة والشباب وثورة الوطنية والحرية ، فى قلب هذا الفتى النابه المتدين بفطرته وبنشأته وثقافته ، ولم تفترقا أبدا فيه ، فكان مثال الحيوية التى لا تعرف الكلال ، ومثال الوطنية التى لم تقدر عليها قوى الاحتلال ، حتى لقى ربه شهيدا فى سبيل دعوته الإصلاحية الشاملة ، التى انتظمت إصلاح العقيدة والنفوس وإصلاح الحكم والأوضاع .

ومن الموافقات أيضا أن يتهيأ الداعية لدعوته الإسلامية الإصلاحية فى الوقت الذى كان يجتاح البلاد العربية عامة ومصر خاصة تياران رئيسيان غير متكافئين فى القوة ، ولكنهما كانا يصطدمان ويتنازعان فى واقع الحياة الاجتماعى وفى تفكير قادة الرأى ودعاة الإصلاح وعلى الأخص عقب انتهاء الحرب العظمى وما نجم عنها من تيارات فكرية وسياسية وآثارا اجتماعية واقتصادية فى الشرق العربى . تيار المدنية الغربية الجارف المتدفق علينا من أوروبا مع كل شيء ومن كل طريق فى مناهج التفكير ، وبرامج الدراسة ، وأساليب الحكم والسياسة ، ومظاهر الحياة والاجتماع ، وفى شئون المال والاقتصاد والتشريع ، ومن طريق الإيحاء والغزو العلمى والصحفى ، وعلى أيدى دعاة المدنية الغربية من بنى جلدتنا ، ومن الأجانب على السواء ، وأما التيار الآخر فتيار التراث الإسلامى المغلوب على أمره فى كل شيء ، من كل طريق ينفد أو يحاول النفاد منه إلى الحياة التى يضطرب فيها المسلمون فى الشرق العربى كله ، مغلوب فى كل تلك الميادين ، ومن طريق فقد الزعماء الثقة فى حيوية الفكرة الإسلامية ، وفى إمكانياتها الإصلاحية والتنظيمية ، وقدرتها على مغالبة تيار المدنية الغربية ، ومن الفهم الخاطىء أو القاصر لحقيقة الإسلام كدين ونظام ، نظام متكامل متميز بذاته فى روح الإصلاح ومنهاجه فى تنظيم شئون الحكم والإدارة والسياسة والمال والقضاء والاجتماع ، ومن استحواذ اليأس على المجددين منهم على قلتهم ومن انتشار البدع وتعدد الطوائف والفرق الصوفية .

جاء « حسن البنا » وفى البلاد هذان التياران المتصارعان ، أولهما جارف طاغ تخدمه الدولة ، ويغذيه الاستعمار ، وثانيهما ضعيف واهن لا يجد من ينصره ، فوقف الرجل فى مفترق الطريق يدق ناقوس الخطر ، ويحمل مشعل الهداية ، ينبه الجميع حكاما ومحكومين ، علماء وأميين ، مصريين وغير مصريين ، إلى الأخطار التى ينطوى عليها ظاهرة الاندفاع وراء مدنية الغرب فى كل شأن ودون تحرز ، الخطر المتمثل آنذاك فى نظام المدرستين المدنية والدينية ، ونظام المحكمتين الأهلية والشرعية ، ونظام الحيين الأرستقراطى والشعبى ، ونظام الطبقتين : القلة المترفة والكثرة الكادحة المستذلة ، ونظام البيتين : المحافظ والإباحى ، ونظام الأحزاب السياسية المصطرعة من أجل الحكم ، المسخرة بأيدى

المحتل الأجنبى ، ولا مبادىء لها ولا برامج ، ولا تعاون بينها على ما فيه إصلاح الدولة ، وخلاص الأمة ، ونبه إلى خطر النعرة الوطنية التى تشل حركة البعث الإسلامى وتخدم الاستعمار الأوروبى . نبه إلى كل هذه الأفكار والأخطار ، التى نشأت عن التقليد الأعمى للمدنية الغربية ، والانصراف الأعمى كذلك عن التراث الإسلامى والعربى ، نبه إلى الأدواء التى تنخر فى كيان البلاد الإسلامية ، وإلى الدواء الناجع لها وأنه الالتجاء إلى الإسلام والعودة إلى السنة والقرآن . وسخر لهذه المهمة الشاقة كل قواه ، ووهب نفسه لتقوية ذلك التيار الإسلامى المغلوب على أمره ، حتى أذن الله لداعيته أن يشهد بعينيه ، ويلمس بيديه قبل أن يغادر الدنيا ، اندفاع ذلك التيار فى كل شئون الحياة من جديد ، فى مجال الفكر والإنتاج ، وفى ميدان الدعوة والإصلاح ، وفى دائرة الجهود والأعمال .

مجلة الدعوة عدد ١٣ فبراير ١٩٥١م



حقيقة

بقلم / أحمد أنس الحجاجى ★

ما زال فينا ناس يظنون أن الإمام البنا رجل عادى .. وأنه شخصية عابره ، معادة متكررة كسائر الشخصيات ، وسيذهب بها سلطان النسيان بعد حين ، وأنها ستفرغ وتنتهى مع الزمن الطويل أو القصير ، فلا يجد الكتاب فيها جديدا يقدمونه أو ماضيا يمجدونه أو أثرا يكرمونه .. وغفر الله لأولئك الظانين المشفقين ...

فلن يفرغ الكتاب من تقديم شخصية الإمام ، وتكريم قصة المجد والخلود فيها ، ولن يدركهم الإفلاس يوما .. لأنها شخصية تاريخية إنسانية عميقة خالدة .

وما فرغت الإنسانية يوما ، ولا أفلست عقول أبنائها ، أو قصرت جهودهم عن الغوص فى أعماق أسرار الرجال النابهين ، لمعرفة آثارهم والمثل العليا فى حياتهم ، ودراستها والاستفادة منها ، وما أدرك الإنسانية التعب من الجد وراء هذه الآثار مهما طال الزمن ومهما كتب كاتب أو خطب خطيب فى كل عصر وجيل ، فلكل عصر رجاله ، ولكل جيل فتيانه وأبطاله ، وكل أولئك مفتونون

★ أحد كتاب الإخوان المسلمين .. ارتبط بالإمام الشهيد حسن البنا وصاحبه ، وكتب كتابا فى سيرة الإمام الشهيد سماه « روح وريحان » .

لفقت له أجهزة أمن طاغية العصر جمال عبدالناصر قضية قلب نظام الحكم مع نجل الإمام الشهيد الأستاذ أحمد سيف الإسلام ، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات وبقى فى السجن حتى عام ١٩٧٤ ، حيث أصيب بالمرض ونقل إلى مستشفى القصر العينى حيث وافته المنية .

بأعمال البطولة ، فهم يفتشون عنها ، ويسعون وراءها ويهبونها وقتهم وصحتهم وماهم وكل ما يملكون ..

إن الذى خلق الحقيقة علقما لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

وأهل الحقيقة هؤلاء هم دائما أوفى بمن سبقوهم من أن يخذلوهم فى أقدارهم أو يغمطوهم حقوقهم أو يبخسوهم فى ميزان ، ولهذا جعل الله هذه الصفة من الوفاء بالسابقين من خلال المؤمنين الصادقين فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ .

ثم أتبع ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . فالرجل الإنسانى وديعة فى يد أمينة من عدالة التاريخ وإنصافه ولا على ذكراه – أبدا – من عوادى النسيان أو الجحود والنكران ما دام خالداً خلود الإمام فى آثاره السارية فى الآفاق ، والمتجددة صباح مساء والتى لن تنطفىء شعلتها ، ولن تجنو جذوتها لأنها من نبع كريم .. كريم على الله ، وعلى الناس ، وعلى التاريخ ، وعلى الأجيال كلها لأنه نبع محمد عليه السلام .

وإن للخلود الإنسانى فى حياة أستاذنا الإمام آثاره الواضحة ، الممتدة إلى ما وراء الزمن واعتبارات الفناء .. فمن هو حسن النبا فى عالم الرجال ؟ ... هل كان رجلا تافها ، أو كان يوما صاحب فراغ يقضيه فى لهو أو نحوه مما يعبث به العابثون ألا فدلونا أيها الناس أجمعون على دقيقة واحدة أو أقل منها فى حياة الرجل ، صرفها فى غير عمل مفيد ، أو جهاد مضنٍ ، أو تفكير فى شأن الإسلام والمسلمين ..

دلونا على هذه اللحظة أو الدقيقة فى حياته إن كنتم تعرفون ! فإن لم تعرفوا ، ولن تعرفوا ... فدونكم دم الشهيد فإنه قائم فيكم ، يناديكم ويذكركم : أن يأيها الناس .. نحن خالدون خلدنا القرآن ، وزكى خلودنا الرحمن ، فلن يدرك ذكرانا جفاف ولا نسيان !!

اسمعوا ... ما قال ربكم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فماذا تريدون من خلود أكبر من هذا الخلود ؟ وماذا ترجون من حياة أكرم من هذه الحياة !

وبعد ... فهل هذا حق وحقيقة ؟! أم هو من العاطفة المستبدة الرقيقة؟!

معاذ الله أيها المنصفون ! فماذا تريدون من الحقيقة العلمية ، أو المعنى العملى ، فى حياة الإمام أكثر مما ترون من آثار هذه النهضة الإسلامية الباسقة ، التى غرس جذورها ورواها بدمه الذكى الطاهر ؟!

ماذا تريدون وماذا تطلبون ؟! .. لقد نظر أحد الإخوان مرة إلى جموع الإخوان المتراصة ، وصفوفهم المنتظمة لأداء الصلاة ونحن فى المعتقل ثم ابتسم وقال : لو لم يكن لحسن البنا إلا ثواب هداية هذا الشباب إلى المسجد والصلاة ومعرفة باب ربه لكفاه !

فماذا تريدون ؟! أليست دعوة الإخوان ، وذدور الإخوان أثرا باقيا على مر الزمان ، برهانا ساطعا على خلود ذكر الإمام ؟! أو ليس الإخوان أنفسهم من آيات الخلود ﴿ وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ .

نعم ، إن قائدنا الأعظم هو رسول الله ﷺ ، ولكن أين كان الناس من هذا التراث وهذه التعاليم قبل ظهور الإمام ؟!

أين كان العلماء وغير العلماء من هذا المصباح قبل أن يحمله الإمام ، ويضىء به الطريق للغافلين ؟!

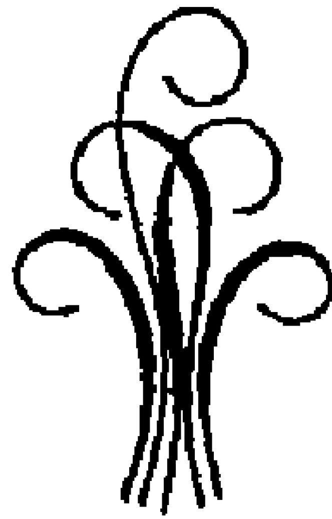
يأأيها الذين لا تعرفون الخلد فى حياة الإمام اذكروا رجلا عاش بينكم ولم يعش فى المريخ ولا فى عالم غير منظور ، فطاف قطر مصر شبرا شبرا ، وشاد لكم بناء ضخما ، واضطلع بأعباء ثقال تنوء بحمله العصبة من الرجال ، وربى جيلا كاملا ، كان لهم الأب الرحيم والراعى الكريم ، قبل أن يكون القائد والسائس الحكيم . اذكروا هذا البناء آية من آيات الخلود .... واذكروا معه رجلا أعزل تكاتفت عليه الدنيا كلها ، وتضافرت عليه كل القوى فثبت ثبات الصابرين وما فرط فى الأمانة ولا هادن فيها حتى استشهد فى الميدان .

اذكروا هذا كله فى كتاب الخلود ، الذى لا يفنى ولا ينسى .. وإذا ذكرتم حسن البنا .. فاذكروا رجلا عاش معجزا فى كل شىء ، حتى أتعب خصومه

وصرعهم جميعا ، وبقى هو حيا مع الزمن خالدا مع التاريخ معجزا فوق قمة المعجزات ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ ... قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

مجلة الدعوة

عدد ١٣ فبراير ١٩٥١م



من مذكرات شريد يجوب الآفاق في سبيل الله

بقلم / الأستاذ سعيد رمضان ★

صليت الفجر وجلست أكتب على الآلة الكاتبة بعض أشياء للمؤتمر ، ثم عدت فوجدت فى انتظارى خبر الفاجعة الكبرى أكاد لا أصدقها !! يدى لا تستطيع أن تحرك القلم ..

مقتل حسن البنا

لا أكاد أصدق !! كذب !! لا بل حقّ بل هو خبر أذيع !! أصيب الرجل العظيم بالرصاص مساء أمس ، ثم نقل إلى المستشفى مضرجا بدمه الطاهر ، ثم فاضت روحه أثناء الليل إلى عليين !!

وتركتنا على الأرض نعانى شرها ومرها !! قتلته يد آثمة ، أساءت إلى الإسلام الإساءة الكبرى .

مات حسن البنا ! مات الحبيب .. مات العظيم .. بل هو حى فى القلب !! فى أعصاب كل ابن من أبنائه حي لم يمت !! ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ .

يا فضيلة الأستاذ أنت معنا ، معنا دائما ، وسنظل أوفياء !! صادقين ، رزقنا الله الصبر والثبات ..

★ كان من شباب الإخوان المسلمين النابهين ، تزوج ابنة الإمام الشهيد حسن البنا ، وكان مبعوثا لجماعة الإخوان المسلمين فى خارج مصر ، أصدر مجلة « المسلمون » واستمرت فى الصدور عدة سنوات ، حوكم غيابيا وصدر ضده أكثر من حكم . حصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد ، وعمل فى بعض الجامعات الأوروبية ، وأسس مركزا إسلاميا فى سويسرا ، ولا يزال يعيش هناك حتى اليوم .

هيه يا فضيلة المرشد .. سلام عليك حيث أنت ، فى قدسك وعليائك ، وجزاك الله خير ما جزى إماما عن تلامذته وأتباعه ، كان حسن البنا إماما بكل ما تسع الإمامة من معنى ، كان مثلا أعلى فى كل شيء ، فى علمه ، فى إيمانه ، فى إخلاصه ، فى نشاطه ، فى حدة ذكائه ، فى دقة ملاحظته ، فى قلبه الضخم ، وروحه الكبيرة كان حسن البنا حجة الله فى نفسى على أن الإسْلام يصنع الرجل ، ويحقق المثل العليا ، ويصوغ النور المصفى فى لحم ودم ، كان عملاقا فارعا من حيث نظرت إليه ، كان عقلا هائلا ، وروحا موصولا بالسر الأعلى لا يفترن ذكر الله ، كان قمة شامخة فيها العلو وفيها الثبات ، وفيها قوة الجبل ، كان موفقا لا يخطيء الوجهة ، كان حلوا جميلا رائعا ، ملأ قلوبنا بحب الله ، وأشعل صدورنا بحب الإسلام ، وصهرنا فى بوتقة طاهرة لا تشوبها شائبة .

قتل حسن البنا فى يوم أسود من أيام التاريخ ، وفقدت الإنسانية بفقده « إنسانا» قلما يجود الزمان بمثله ، سقط بعد ظهر السبت مضرجا بدمه أمام جمعية الشبان المسلمين فى شارع الملكة نازلى بالقاهرة بست رصاصات ، أطلقتها عليه يد شيطان ، أطل من عربة سوداء ، ثم هرب فأصابت رصاصتان منها صدر حسن البنا فنزف دمه الطاهر ، وأصابت أخريان الأستاذ عبدالكريم منصور المحامى وزوج أخت فضيلة المرشد ، فنقلا إلى المستشفى وفضيلة المرشد يردد : عرفت الثمرة هاتوا إلى ميه !! فأجريت له عملية نقل دم ولكنها لم تجد !! وفاضت روحه العالية إلى بارئها فى منتصف الليل !! ..

آه !! قتل حسن البنا بعد عشرين عاما قضاها فى جهاد مرير متصل الأيام والليالى .

لن أنسى جولاته فى الأقاليم ، لا ينام إلا ساعتين أو ثلاث كل يوم وليلة ، ولن أنسى سهره الليل عاكفا فى المركز العام أو فى منزله أو فى الشهاب على أعمال الدعوة ، ولن أنسى دموعه التى طالما هتفت فى غفلة من الناس على الإسلام والمسلمين ، هذا الصوت العميق الرحيم ، وهذا الإيمان الحى الغامر ، وهذه الروح الفارعة التى عرفت بها الله وطوتنى أشعتها ، ونشرتنى سبع سنين كانت حلما عزيزا .

هذا الرجل العجيب الذى بعث الأمة من أعماقها ، وهزها هزة عنيفة أسالت الحياة فى وجدانها ، ولم يتركها حتى خلف فيها جيلا كريما ، حيا هو الآن بين جدران السجون يتأوه آهات تزلزل قوائم عرش الله عز وجل ، هذا الإمام الذى كان أملا خفاقا ساقته رحمة الله فى عصر مظلم داعر أمره فرط .

هذا الإمام الذى قتل قتلة ستظل وصمة فى جبين مصر والمصريين ، جوزى بها جزاء سنمار ، وأذاع راديو لندن وصحف يوم الإثنين أن تشييع جنازة الشيخ حسن البنا اقتصرت على بعض أقاربه فى حراسة عشرين جنديا ، وبلغ الظلم والافتراء مداه فزعم مراسل « الدون » فى القاهرة أن القاتل يرجح انتماؤه إلى الإخوان ، وأنه قتل المرشد لأنه كان قد عزم على الإفشاء بأسرار الإخوان !! خانتك فطنتك أيها الغر الخبيث ، فاعترفت بأن الإخوان لا زالوا يغارون على دعوتهم ، وأنك لا تزال تؤمن أنت ومن دفعك أو أشاع ما تشيعه – بأن الإخوان باقون ، ونسيت أن حسن البنا هو دعوة الإخوان ، هو بذرتها وعصبها .. ابحثوا عن غير هذه يا إخوة يوسف ، ولا تجعلوا « السفرجى » المسكين الذى قبضتم عليه قميص يوسف البرىء .. أما « السند أو بزرفر » فقد نشرت نبذة ممتازة عن حياة المرشد .

ياأيها المرشد أنت معنا فاسعد بجنتك ، وستعلم الدنيا كيف يجاهد الشهيد ؟!

الجمعة ١٨ مارس ١٩٤٩

كنت أنظر الآن من شرفة غرفتى بفندق سرتاج « بكراتشى فرأيت شابا ينحنى انحناءة ذكرتنى بأخ عزيز من إخوان مصر ..

هيه يا إخوة مصر ، يا شبابها الطاهر ، يا نور النبوة ، وميراث المجد الغابر ، وعزاء القلب الجريح ، ما كان يدور بالبال أن يوما سيأتى يحال فيه بيننا بهذا السياج الآثم من زبد الرياح الهوج .

كان هذا الشهر الماضى شهرا أسود كنت أخشاه من يوم بدأت أتنسم أنسام الحق بين يدى الرجل العظيم ، كان حسن البنا نسخة حلوة جادت بها رحمة

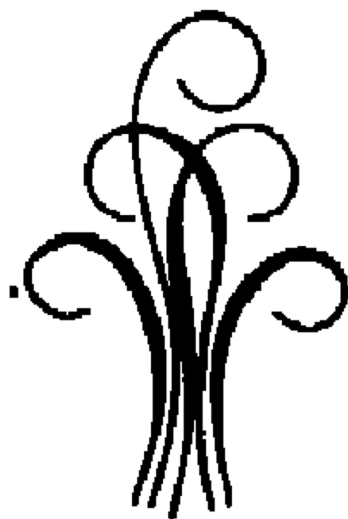
الله على الإنسانية الظامئة ، ثم مرت عابرة بعد أن ذكرتنا بأيام الأنس الأولى ، أيام الأنبياء ، والمرسلين وأحباب الله فى أرضه ، وحببت إلينا الجنة والخير ، والمثل العليا والسمو ، وكل ما بينه وبين الله نسب من القبول والرضا ، لأن حسن البنا كان نسبة خالصة ليس فيها لغير الله شيء ، كان روحا نعب منه ولا يغيض ، وبحرا صافيا تذوب فيه كل أو ساخنا ، ويظل هو هو طهورا مرسلا لا يضيق ولا يعتكر .

هيه يا فضيلة المرشد . أحق ما يقولون أنك مت ؟ ومت قتيلا فى شارع من شوارع القاهرة ، ودفنت بعد أن صلى عليك فى مسجد قيسون ؟ وكان المشيعون من أهلك وأقربائك ؟!

لم تمت يافضيلة المرشد !! لا والذى خلقك !! لا والذى أنعم علينا بك ومتعنا بصحبتك !! لقد فتحت قلوبنا على النور ، ووضعت أيدينا على أول الصراط ، وجمعتنا يا حبيب من شتات ، سنمضى إلى حيث كنت تدعو وتربى وتحترق بالليل والنهار .

لا زالت دروس الثلاثاء ، وكتائب المركز العام ، وأحاديثك الخاصة ، وخطب السرادقات ، وهمسك فى لحظات الصفاء صفاؤنا ، فلكم عانيت من كدر أنفسنا والتواء طباعنا ، وقسوة قلوبنا وجحود بعضنا لا زال ذلك كله طى قلوبنا ، وأمانة الله فى أعناقنا والضرام المشتعل فى سرنا وأنفاسنا .

لقد تركتنا يا فضيلة الأستاذ بعد أن حملتنا العبء القاسي ، وجعلته شهدا مذابا فى طوياتنا وأعصابنا ، فاهدأ يا حبيب الروح فى جنة الخلد ، واسعد كفى ما كافحت الكفاح المر الطويل .



الجمعة ١٠ يونيه ١٩٤٩
نجوى
فى حجرتى العالية بمستشفى فاطمة ما جناح أرمبانج
بكراتشى ـ باكستان ـ حوالى الساعة العاشرة صباحًا

سيدى فضيلة الأستاذ المرشد .. السلام عليك ورحمة الله وبركاته وأسعد الله صباحك أيها الرجل العظيم ، وهل فى الجنة صباح ومساء ؟ هكذا أراد الله لك الجنة ، وأن تتركنا هنا حيارى بين ظلمة ونور ، كنا معك يا فضيلة الأستاذ طيورا أطلقتها بإذن ربك من أقفاصها ، فراحت تخفق بأجنحتها فى هواء طلق ، ولكنها كانت لا تلبث أن تعود إليك تخفق خفقة الولاء لله بين يديك ، أما الآن بعد أن تركتها يا أستاذ وطرت إلى أقدس جوار ، وأصدق منزل ، تناوشتها الرياح ، وهى الآن تبحث عن وكر هادىء تجتمع لديه .

ليس يعلم إلا الله يا سيدى ما تخبئه الأيام لنا ، إلا أننا نسائل الله أن يثبتنا على العهد الذى عاهدنا ، أين روحك يا سيدى تزيل الران على قلوبنا ، أين عيناك نقبس منهما نورا من أنوار السماء ؟ أين سرك الرائع الذى كان يجعلنا دائما فى ثقة من أننا على الصراط ، وفى اطمئنان إلى أن حسن البنا ليس فيه لغير الله شىء ؟ كنت يا سيدى الرجل الذى أومن به وأطمئن إليه ، وأجد الراحة كاملة فى صدق الفناء فيه ، أصبح علينا يا سيدى أن نخوض فى هذا البحر اللجى مستعينين الله ، أصبح علينا أن نفكر فنصيب ونخطىء ، ونمضى فنخطو ونتعثر ، ونستنزل نصر الله بما فينا من نور باهت كنت أنت العوض عن نقصنا فيه ، والقربة العزيزة على الله التى يستحى الله أن يردها خائبة .

قتلوك يا أستاذى ليريحوك !! وأراد الله أن تقتل لتكون مع النبيين فضلا وكرامة ... ﴿ وجِيء بالنبيين والشهداء ﴾ . وبقينا نحن يتامى حيارى !! .. تكال لنا الضربات ، وينكل بنا من كل جانب ، وما رأينا إلا القليل مما يضمرون لنا ولكنه لله ، وفى سبيله ورحمة الله واسعة .

لا زلنا نذكر كلماتك ..

« أيها الإخوان : إنى لا أخشى عليكم الدنيا مجتمعة ، فأنتم بإذن الله أقوى منها ، ولكنى أخشى عليكم أمرين اثنين : أخشى أن تنسوا الله فيكلكم إلى أنفسكم ، أو أن تنسوا أخوتكم فيصير بأسكم بينكم شديداً » .

يا فضيلة الأستاذ : لن ننسى الله ، ولن ننسى أخوتنا ، وما فعل أعداء الله أكثر من أن ذكرونا بهما ... سيدى الأستاذ : نذكر يوم جاءك خبر استشهاد الكرام فى أول معركة فى فلسطين ، ونذكر أنك قلت ساعتها « اشتقنا إلى الجنة ، لا إلى خيراتها وفواكهها ، ولكن إلى أبى بكر وعمر وعلى والصحب الكرام ، وهؤلاء الشهداء الأعزاء ؟!

استجاب الله لك ... هل رأيتهم ؟ وكيف وجدتهم ؟! ... هنيئا لك ما أنعم الله به عليك ، عزة فى الدنيا ، وكرامة فى الآخرة ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ .

آه يا أستاذ لم تعد مكلفا فأسألك !! ولسنا لنعلو إليك فنسمعك !! أصبح علينا أن نواجه الحياة بإيمان وعزم ، وبذرك الذى بذرته سيؤتى أكله ومع اليوم غد !! فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .... » والسلام عليك يا حبيب الروح ورحمة الله وبركاته .



الثلاثاء ١٩ يوليو ١٩٤٩ ـ ٢٢ رمضان
الساعة الآن التاسعة مساءً
وقد انتهيت من الإفطار منذ دقائق

وأنا أغسل يدى فى ركن يطل على شارع محاذٍ لحديقة (أرمباغ) لمحت عربة تشبه عربة فضيلة الأستاذ المرشد التى تعود أن يركبها .. خفق قلبى وغار بين جنبى ، وأحسست بلفح الذكرى يهز نفسى هزاً . يالله من هذا الزمن ما كان يخطر بالبال أن يحدث شيء مما حدث ، لا زلت أذكر آخر لحظات رأيت فيها فضيلة المرشد الشهيد – أعزه الله – كأنها منذ لحظات فقط ، أو كأنها لا تزال وكل ما اشتهر من الأنباء حلم لا ينال منها ، ولا يؤثر فيها .

هو ذا فضيلة المرشد الحبيب جالس بجلبابه الأبيض ، وعباءته البيضاء إلى مكتب فى الحجرة القريبة من مسجد المركز العام للإخوان . وجه مشرق حلو ، وسمات ربانية عالية ، وبعض نور النبوة الصادق تغشى النفس منه أنسام تغسلها وتعلو بها علوا بعيدا ، وجمال لا يوصف بغيره لأنه وحده الجمال الحق الذى أبدعه الله ، وأفرغ فيه سره الصادق ، وملائكية حببت إلينا كل سماوى وحسرت عن قلوبنا الزمان والمكان ، لنعيش أبداً مع الرسول ﷺ ، وبين أحضان هدايته المشرقة المليئة بالنور ... وصوت حلو عذب فيه رضاب النبى الحبيب وجرس السماء الحلو .. والكهرباء الدافقة من قلب لا يقربه السوء ، لأنه الوصلة التى اصطفاها الله لذاته ، واختصها من دون الله بعينه وفيضه ، وبما لا يعلم سره إلا هو .. انتهى فضيلة الأستاذ لتوه من محاضرة ألقاها بالمركز العام ، ودع فيها الإخوان لعزمه السفر إلى الحجاز صبيحة الغد ، دعانى إليه وطلب إلى أن أستعد للسفر إلى شرق الأردن ، وزودنى بخاصة أمره فى ثقة غالية سأظل

أعتز بها العمر كله .. ثم قبلت يده ، وقبل رأسى ، وما كنت أعلم أن هذا آخر لقاء لنا فى الدنيا إلى أن يجمعنا الله مرة أخرى فى جنات نهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

اللهم تقبل حسن البنا أحسن قبول ، فقد كان وأنت أعلم به عبدا صادقا ، ومجاهدا أمينا ، وإماما جمع كثيرين من فرقة ، وطهرهم من دنس ، وهداهم بإذنك من ضلال .

اللهم ارفع درجاته عندك ، واجعله مع النبيين والصديقين ، واسعده بالنظر إلى وجهك الكريم ، واجزه عنا خير ما أنت أهل له ، واكرمه الإكرام كله .

اللهم أسعده ، اللهم أسعده ، اللهم أسعده اللهم ألحقنا به فى الصالحين ، وثبتنا على العهد الذى عاهدناه ، وعوضنا عنه خيرا ، وألق فى قلوبنا نورا ينير لنا الطريق ، اللهم آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

مجلة الدعوة

العدد الثالث – السنة الأولى

٧ جماد الأول سنة ١٣٧٠

١٣ فبراير سنة ١٩٥١



مع الإمام الشهيد

بقلم / عبد الحليم الوشاحي ★

« كان الأستاذ عبد الحليم الوشاحي يعمل بقسم المناطق بالمركز العام ، وقد طاف مع الإمام الراحل رضوان الله عليه القطر المصرى من أقصاه إلى أقصاه ، وكان الغرض من ذلك أن يدرس جغرافية القطر ، ويتعرف على الإخوان ، حتى يكون على إلمام تام بشئون هذا القسم » .

إخوانى ..

هذه مجموعة أعمال أسطرها كما وعتها الذاكرة للتسجيل ، وأرجو أن ننتفع بما جاء بها :

ورد المحاسبة

فى ملوى ، وبعد الانتهاء من حفلات الإخوان ، وبعد أن استقر بنا المطاف فى هذه الليلة بمنزل أحد الإخوان ، طلب منى الإمام الراحل أن أقدم له سجل مذكراته ، وكان يسجل بها حوادث اليوم ، ورأيه فيمن قابل من أشخاص ، ويحاسب نفسه حسابا دقيقا ، وبعد الانتهاء من الكتابة سلمنى السجل لأضعه فى مكانه بحقيبته فقلت لنفسى : هل يحق لك أن تفتح هذا السجل وتقرأ ما فيه ، وصرت مترددا بعض الشىء ، ثم تذكرت أن الإمام كان ملكا للإسلام

★ واحد من قدامى الإخوان ، كان أحد الموظفين الرئيسيين ، والمسئول عن أرشيف المعلومات ، وأرشيف الصحيفة .

وللمسلمين ، وأنه بحكم صلتى به لا يمانع فى الاطلاع على هذه التسجيلات .

كتب يقول :

« فى هذه الليلة أبلغ من العمر أربعين عاما هجريا كما أخبرنى والدى ... الآن وأنا قائم بالدعوة إلى الله أجدنى مقصرا فيما فعلت ، فلابد لى من الاهتمام بأورادى ، ولا تشغلنى مشاغل الدعوة عنها ، ولابد من الإعداد والتحضير لحديث الثلاثاء ، ففى ذلك خير كثير ، ولابد كذا ... ولابد كذا .. » وصار يحاسب نفسه حسابا شديدا عسيرا ، ويذكر كل شيء ... وهكذا كان يوصينا دائما بورد المحاسبة ، وكان يطبقة على نفسه بأقصى مما يتصوره إنسان .

أمله فى الصحافة ونشر الدعوة

وفى الزقازيق وبمنزل الأستاذ حمدى البنهاوى وبعد الإنتهاء من شراء المركز العام وتأثيثه ، وقد شرعنا فى الإعداد للمشروع الجديد ... مشروع الجريدة والمطبعة قال لى :

– هل تظن أننا سننجح فى إتمام هذا المشروع كما أحب ؟ أريد أن يكون لنا جريدة تطبع بعدة لغات ، وتوزع فى أنحاء العالم .. أريد أن أكتب عن دعوة الإسلام بكل اللغات ، أريد أن ينتشر الإخوان فى أنحاء العالم يدعون للفكرة ، ويوزعون هذه المطبوعات ، وأظن أننى لو أتممت هذا العمل وتوفانى الله أكون بذلك قد قدمت للإسلام وللمسلمين أعظم عمل هم فى حاجة إليه .

والأمل كبير فى الله أن يحقق الإخوان رعاهم الله أمل الإمام الراحل طيب الله ثراه .

تولية الأمور أكفاءها

قال رضوان الله عليه :

– إنى أعرف الإخوان جيدا ، وأعرف الأمكنة التى يصلحون للعمل فيها ، فلو عاونني الإخوان وصارحونى بأن يقول أحدهم : إنى أصلح لكذا

ولا أصلح لكذا لكان أحسن وأنفع .. وهذه القاعدة مقررة فى القرآن الكريم حيث يقول الله فى كتابه العزيز على لسان سيدنا يوسف : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

لكل اختصاصه

ذهب أحد الموظفين المفصولين من شركات الإخوان شاكيا بمناسبة فصله من عمله ، وقال للإمام الشهيد : إن فلانا ظلمنى ، وفصلنى من غير حق .. فقال له : إن الذى فصلك هو المسئول عن عمله ، وأن نظام الشركة التى كنت تعمل بها لا تسمح لى بالتدخل ، فإذا كانت لك شكوى فاكتبها وسلمها إليه يرفعها إلى مجلس الإدارة المختص .. وثق أنك لو كنت صاحب حق فسينصفك مجلس الإدارة .

وهكذا وضع الأمور فى نصابها وأعطى الفرصة لكل مختص أن يشعر بمسئولية عمله .

جاهز دائماً

كنا فى أبى تيج فى أواخر شعبان فتلقى الإمام رضوان الله عليه خطابا من الأستاذ صالح عشماوى ، وكان يتلقى وهو فى رحلاته البريد بأخبار الإخوان ، كما أن الاتصالات التليفونية لا تنقطع مع المركز العام ... أقول تلقى خطابا يطلب فيه الأستاذ صالح مقالا بمناسبة شهر رمضان فقال لى :

– ربع ساعة ...

ودخل فى حجرة من حجرات المنزل الذى كنا فيه ، وفى أقل من عشرة دقائق كتب مقالا ممتعا أرسلناه فى ليلتها بالبريد .

مجلة المختار

كان الإمام رضوان الله عليه سريع القراءة بدرجة مدهشة ، وهذا يرجع لكثرة الاطلاع ، فكان يكفيه نصف ساعة للاطلاع على الجرائد اليومية ، وكان

يقرأ مجلة المختار ، وهى المجلة التى كانت معروفة بجمود موادها من الجلدة إلى الجلدة ليتعرف على أفكار الغرب..

عقلية جبارة

كنا بصدد إعداد شركات الإخوان الإعداد الذى يتطلبه القانون الجديد ، واحتاج الأمر للاستعانة بالأستاذ محمد كامل الحاروني أستاذ المحاسبة بجامعة إبراهيم باشا الآن ، فكان يشرح لنا ما يلزم من الترتيبات ونص القانون اللازم لذلك .

ثم قال الإمام رضوان الله عليه : تقصد كذا .. وكذا .. وأعاد ما قال الأستاذ الحاروني وأضاف ... فنظر إليه الأستاذ الحاروني قائلا : إذن يا أستاذ لا لزوم لى ... وضحكنا ..

وهكذا كان

عبد الحليم الوشاحى

مجلة الدعوة
١٣ فبراير ١٩٥١م

رأيت أستاذى يفعل ... وسمعته يقول

بقلم / الاستاذ سعد الدين الوليلى

وطّنوا العزم

ما أكثر ما كان يذكر الموت ويذكر به ، وما وقف يرثى أخا أو صديقا إلا اعتصر من قلبه وذرف من عينه .

أدّينا فريضة العصر فى روضة الحرم النبوى ، ومرق وأنا من خلفه إلى الخارج من باب جبريل ، فخلفا حشدا من أجناده وأتباعه من المسلمين الحجاج من آفاق الأرض .

ومررنا بدار عمر أمير المؤمنين ، ودار عثمان التى استشهد فيها عاكفا يتلو القرآن .

وفى البقيع مررنا بالقبور ، فدعونا بالمأثور لمن نعرف من أصحابها ومن لا نعرف ، ولما بلغنا مكانا مرموزا قال :

– هنا كان يقف زعيمنا وحبيبنا رسول الله ، يدعو لأهل البقيع ، فلنقف حيث وقف ﷺ ، ولندع كما كان يدعو .

★ قضى عمره فى ميدان الطباعة والنشر والتوزيع ، فى كل من مصر وسوريا وقطاع غزة والسعودية ، عمل فى كل صحف ومجلات الإخوان المسلمين التى صدرت فى أيام اليسر والشدّة ، على السواء ، محررا وكاتبا ومديرا للتوزيع ورئيساً لتحرير مجلة المباحث الإسلامية ، ثم مديراً لإدارة الدعوة قبل أن يصدرها شيخ الصحافة الإسلامية الشيخ صالح عشماوى ، وإلى جوار ذلك عمل رئيسا لتحرير مجلة التركستان ، ومجلة الكشافة المصرية فى العهد الجمهورى ومجلة المعهد العالى للتربية الفنية . كما كان سكرتيرا خاصا للإمام الشهيد حسن البنا .

وقبل أن تختفى الشمس تماما إيذانا بمغرب جديد ، وقف مليا فى خشوع ، ثم فكر قليلا فى اعتبار ثم جلس ، ثم تحرى القبلة فاستقبلها ، وثنى أيمنه فتوسده ، مفترشا أرض البقيع ، كل ذلك وأنا وجل مذعور ، مضطرب مأخوذ ، خارت منى القوى ، وألجم اللسان ، وحارت النظرات ، فانحنيت عليه مجهشا فى البكاء .

وقلت : مهلا سيدى فما أحوجنا إليك ، إن الله لأكرم من أن يفجعنا فيك قال :

– مجنون !! ألم يدر بخلدك هذا يوما ؟؟ ... هذه نهايتنا فوطنوا العزم على وداع قريب وفراق طويل .

ثم نهض لندرك المغرب بالحرم .

فلم تمض أيام حتى عدنا من الحج ، وكان قرار الحل المشئوم على الأبواب ثم ... ثم ... كان الوداع يوم الاعتقال ، فالفراق يوم لبى نداء الله .

هذا عشائى

حدثنى الدكتور محمد خميس حميده فقال :

– أتدرى ياسعد أسعد يوم مر بالمرشد ؟!

قلت :

– أى الأيام وكل يوم أسعد عنده من سابقه !

قال :

– يوم دخلنا عليه داره ، يربو عددنا على الخمسة بعد سهرة طويلة بالمركز العام نسأله العشاء ، فتركنا وعاد جذلا ، يحمل ما بقى من قوت عياله من الأرغفة وخيارات معدودات ، وقليل من حبات الزيتون وقطع من الجبن القديم ، وبعض الملح ، وقال :

– كلوا فهذا عشائى ، وخير الطعام ما كثرت عليه الأيدى ، باسم الله فأكلنا وشبعنا وحمدنا الله .

قلت :

- صدقت .. فوالله ما تميز طعامه ، وما اشتهت نفسه شيئا قط غير ما قدم إليه أو عرض عليه .

تقشف

هبطت بنا الطائرة أرض سوريا يوم زخر « الأوريان بالاس » وهو فى مصاف سميراميس ومينا هاوس وسيسيل وغيرها - بقادة العروبة فى اجتماع للجامعة العربية للتشاور فى أمر فلسطين ، وهكذا كان شأنه مطاردة المسئولين فى كل مكان ، ومجابهتهم بالحقائق المرة ، وإعلانهم بمطالب الشعوب الحرة .

وفكر الإخوان هناك فى إكرامه ، وإحلاله محله من الاحترام والتجلة ، واستبد بهم هاتف التعظيم والشعور بالتوقير ، فلم يجدوا مناصا من أن يحجزوا لفضيلته ولى فى الأوريان بالاس .... فهو ليس أقل من فلان أو فلان ... ولئن وجد هؤلاء من خزائن دولهم ما ينفقونه أو ينهبونه .. فلن يحرم الإخوان القدرة على البذل من أجل القائد المفدى والسيد المطاع ، وعند انتصاف الليل دعانا الأخ عمر بهاء الأميرى (وزير سوريا المفوض فى باكستان الآن) للنوم والراحة .

ولشد ما كانت دهشة فضيلته حينما وقف بباب « الأوريان » ثم صاح « يا عمر » !! أنبيت هنا فى المكان الأنيق ، حيث الفراش الوثير ، والطعام الشهى ... وإخواننا المجاهدون فى معسكرى الريح بفلسطين ، وقطنا بسوريا يفترشون الأرض ، ويلتحفون السماء ؟! .. والله لليلة فى دار من دور الإخوان أفترش الحصير ، وألتحف عباءتى وأتوسد ذراعى ، أحب إلى من الدنيا وما فيها »

ضريبة الأخوة

مرض قريب لى وتردد عليه الكثير من الأطباء ، ولما لم تجد هذه الكثرة أبلغت بالحاجة إلى طبيب آخر ، فتحدثت إلى الأخ الدكتور محمد سليمان ، فسارع إلى عيادته ، وقدر الله له على يديه الشفاء ، وزاره فضيلته مهنئا ، سائلا الله له مزيدا من العافية ، ومن ثنايا الحديث ومعرض الثناء تبين فضيلته أنه أخوه

الدكتور سليمان ، فنظر إلىَّ شذرا ، كأنما يتوعدنى حتي ننطلق . وما كدنا نغادر بيت هذا القريب حتى التفت إلىَّ معاتبا يقول :

– أولا تتيح لى أن أشكر لأخى صنيعه ؟! يا سعد : لقد عاهدت الله على ألا أخفى عنكم شيئا ، فهلا عاهدتنى على ألا تخفى عنى شيئا

قلت : حتى هذا !!

قال : حتى هذا ... فهذه ضريبة الأخوة فى الله ما شاعت فى جماعة إلا رضى الله عنها .

لا نتبدل

كنا فى صحبته فى« فوة » من أعمال الغربية ، يدعو لدين الله وظهر اليوم التالى أخذنا مركبا شراعيا لعبور النيل إلى المحمودية ، الشمس ساطعة محرقة ، والحر لا فح ، والجو خانق ، والريح ساكن ، وصاحب المركب يبذل الجهدا فى عنف ، ويعالج سير المركب فى لطف ، فتارة يوجهه شرقا وأخرى غربا ، وظل الشراع ينتقل من ركن إلى ركن ومن مكان إلى مكان ، فمرة يظلل مقدمته وتارة مؤخرته ، ونحن هربا من جحيم السماء ننتقل من الظل حيثما اتجه فى حيرة من أنفسنا ، وإشفاق على فضيلته الذى كان يتابعنا بنظراته فى صمت .

ولا أكتمك أننا لم ندع مكانا فى المركب إلا جلسنا فيه ، أو انتقلنا إليه . وأخيرا وبعد مرور وقت استقرت رقعة الظل حيث جلس فضيلته ، فنادانا إليه قائلا وعلى فمه بسمة كريمة :

– تعالوا إلينا ... نحن الذين لا نتبدل .

المنجد

غادرنا مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، والبعثة كبيرة العدد ، وتحركت القافلة تتقدمها سيارات الأمتعة ، ومن بعدها عربات الأخوات ، وتلتها لوريات

الحجاج من الإخوان . وفى المؤخرة كانت سيارتنا الصغيرة ومعنا والدته الفاضلة وشقيقه عبدالرحمن ليسهل علينا مباشرة القافلة فى سفرها الطويل ، وأقبل الليل واشتد الظلام ، وأطبق على البادية من كل جانب ، وفجأة غاصت عربتنا الصغيرة فى بعض الكثبان ، وحاول السائق عبثا أن يواصل السير ، وأفهمنا أنه لابد من نجدة العربة ، وبدأ الانزعاج على وجه الوالدة فسنها يقعد بها عن المعاونة ، كما بدا الألم على وجه الأخ عبدالرحمن فالجراحة التى تحت إبطه تعجزه عن المشاركة فى هذا العمل الشاق ، أما السائق فكان لابد من أن يظل على عجلة القيادة ، وهنا نهض فضيلته فى عزم وبكلمات قليلة نطق بها كالأوامر الصارمة ، كنت أخلع المشلح (العباءة) كما خلع وأضع غطاء الرأس كما وضع ، وأنزل من السيارة حيث نزل ، واستدير خلفها حيث استدار ، وهنا نرى العجب : المهارة ، السرعة ، حسن التصرف ، فاستمع إليه يقول :

– فلننزل ولو قليلا هذه الكثبان ، ولننظف ما أمام العجلات من الرمال ، ولنأت بقطع الصخور ندكها فى طريق العجلات ، وليدر السائق العربة ، ولندفع بها سويا فى قوة إلى الأمام .

وباليسر الذى تقرأ به هذه الكلمات ، كانت يداه تسابق يداى فى التنفيذ ، وعند تمامه صاح :

– يا سالم أدر ..

فأدار .. أما أنا وأنت فلندفع العربة إلى الأمام ... فدفعنا ، فانطلقت ..

أخى أقول قوله هذا .. وما زال وجهه الشريف يتقاطر عرقه معفرا برمال الصحراء ، تكشف عنه أنوار السيارة ملء سمعى وبصرى ...

فهل وعيت ؟؟!

الأخ المحبوب

على عادة الناس ، تاقت النفس يوما إلى أن أقدم لأستاذى صورة تذكارية ، التقطت فى مناسبة حبيبة ، أعقبت إطلاق سراحى من سجن الأجانب بسبب اتهامى فى قضايا حوادث عيد الميلاد سنة ١٩٤٦ وكانت كلمة التقديم :

« إلى القائد المرهوب »

« والمرشد الموهوب »

« والأخ المحبوب »

وقدمت الصورة ، وتقبلها ، وما كاد فضيلته يفرغ من قراءة كلمة الإهداء ، حتى أمسك القلم وراح يجرى به فى رقة على فقرتين من كلمة الإهداء ، ثم رفع رأسه وعيناه مغروقتان بالدمع وفى محياه ضياء وحياء على فمه ابتسامة الرضا ، وقال :

يا عزيزى .. الأخ المحبوب .. وكفى .

مجلة الدعوة

السنة الأولى – العدد الثالث

١٣ فبراير ١٩٥١م



حسن البنا
وتجربة الفرد المسلم وتفاعله فى المجتمع

بقلم / الأستاذ احمد بدر

١ — سيقال أن « حسن البنا » كان عالما كبيرا آمن بنظرية تطبيق القرآن فى المجتمع ، وسيدرس من هذه الناحية دراسة وافية باعتباره مناضلا عن فكرة آمن من بها ، وعمل لها ، واستشهد فى سبيلها ..

٢ — ستقرأ الأجيال القادمة عن حسن البنا الخطيب الذى سحر بيانه الملايين ، والذى تساوى فى الإعجاب به من أيده ومن عانده وقاومه .

٣ — كان حسن البنا طاقة بشرية ممتازة سواء فى الإنتاج الفكرى أو غيره ، وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان .. ولو قدر عمر الإنسان بطاقته البشرية ، وإنتاجه لتجاوز عمر حسن البنا الأربعين عاما ببضع مئات من السنين ..

هذا قليل من كثير من النواحى العامة التى ستدرس منها شخصية حسن البنا .. ولكننى كنت دائما انظر إلى حسن البنا الإنسان من ناحية خاصة هى أنه « صاحب تجربة فى هذا العصر » وهى تجربة : « الفرد المسلم وتفاعله فى المجتمع » وعندى أنه بالدراسة التفصيلية التحليلية لهذه الناحية وحدها يستطيع أى مؤرخ فى المستقبل أن يجمع أطراف شخصية حسن البنا ، إذ عن طريق هذه الدراسة يسهل على الباحث أن يضع يده على الأسباب والدوافع الحقيقية لهذه المميزات الخارقة ، التى تجمعت فى شخصية هذا الإنسان ، والتى يكفى وجود واحدة منها فى فرد لتجعله عظيما بين قومه مميزا بين معاصريه .

وترجع هذه النظرية الخاصة إلى عدة أسباب أذكر منها :

١ - لم يناد حسن البنا بنظرية الفرد المسلم وضرورة إيجاده فحسب ، ولكنه ربى بالفعل أفراد إسلاميين وهذه حقيقة يسلم بها الجميع .

٢ - فى أثناء ذلك لم يحصر مجهوده فى دائرة خاصة ، بل سعى وراء الفطرة الإنسانية السليمة الصافية فى أى مكان ، وبذلك خرج بالفكرة من الناحية النظرية إلى الناحية العملية ، ومن الاتجاه المحدود (بطبقة أو ثنتين) إلى الناحية العامة .. أى إلى المجتمع ..

٣ - لم يقتصر حسن البنا على تكوين الأفراد الإسلاميين وتركهم للتفاعل التدريجى مع المجتمع ، ووقف هو ينظم التفاعل ، ويلاحظ تطوراته باعتباره تجربة قد يربط الإنسان نتائجها بعمره المحدود ، ولو فعل ذلك فحسب لكان أمرا عظيما ، ولكنه اشترك كفرد مسلم فى التفاعل ، إذ ابتدأ بنفسه ، ثم بستة عمال ، ثم بالتكتل الإسلامي ، وهذا معناه الإيمان الكامل بالنتيجة النهائية ، هذا الإيمان الذى يدفع هذه الأمثلة البشرية النادرة إلى الفناء التام فى فكرتها عند التطبيق .

٤ - إن تفاعل الفرد أو الأفراد بالفكرة الحية فى المجتمع يختلف اختلافا جوهريا عن تفاعل المواد فى بوتقة الكيمائى فى المعمل ، ففى الحالة الأولى تكون العناصر الأساسية فى التفاعل حية ، وتظل حية بالفكرة .. ومن هنا يحدث الخطأ التاريخى الدائم الذى يقع فيه السطحيون الذين يحسبون أنهم بالقتل والتعذيب أو الاضطهاد يستطيعون أن يبعدوا العنصر الأساسى الذى أحدث هذا التفاعل فى المجتمع ، ولكن سرعان ما يتضح لهم مبلغ جهلهم وسوء تقديرهم ، فبعد أن كانوا أمام شخص يوجهون له الاتهام ويمنعون عنه الناس ، يصبحون فجأة أمام الفكرة الحية تشق طريقها .. لا يحدها جدران أو أقبية ، وهنا يحدث التخبط فى طرق المقاومة إن أصروا عليها .. وهذا ما هو حادث الآن فى المجتمع بعد استشهاد هذا الإنسان .

فمن هذه النقط وغيرها نرى أنه لا يمكن مطلقا فصل شخصية حسن البنا عن التفاعل الملموس الذى شعر بحرارته الجميع ، هذا التفاعل الذى أحدثه

الوجود الحقيقى للفرد المسلم أى المؤمن والعامل بالفكرة الإسلامية الشاملة فى المجتمع .. أو بعبارة أخرى لا يمكن فصل حسن البنا « الإنسان » عن تجربة « الفرد المسلم وتفاعله فى المجتمع » .. ومن هنا أيضا ترددت فى كتابة هذا المقال بل يعلم أخ فاضل أننى اعترضت بالفعل على هذا العدد ... فلا يجوز أن نتكلم كلاما علميا عن تفاعل فى المجتمع ، لنوضح شخصية العنصر الأساسى فيه إلاإذا انتهى هذا التفاعل أو على الأقل قارب الانتهاء .. وما أظن أنه يوجد من يعتقد بهذا حتى هؤلاء الذين غرهم سوء تفكيرهم وضيق أفقهم فاصطدموا بالتكتل الإسلامى .. فكل ما نستطيعه إذن أن نسجل بعض الظواهر العامة للتفاعل المستمر فى المجتمع ، حتى نستطيع أن نستشف من خلالها جزءا ولو يسيرا من شخصية هذا الإنسان « حسن البنا » .. ومثلنا فى ذلك مثل الكيميائى الذى يسجل ظواهر تجربته الكيمائية فيكتب .

حدث ارتفاع شديد فى درجة الحرارة .. حدث انصهار .. تناثرت بعض الأجزاء الهشة .. طفت بعض الأجزاء على السطح .. حدث غليان إلخ .

وإليك بعض الظواهر العامة :

١ - يشعر الجميع بهذا الهمس الذى يحدث فى كل الأوساط والبيئات ، بصور مختلفة عن حقيقة وجود ما يطلق عليه اسم « الجبهة الاستعمارية » ، هذا الهمس ، الذى قد تكون له نتائجه البعيدة المدى ، هو دون شك أحد الظواهر العامة لتفاعل الفرد المسلم مع المجتمع ..

وقد نتساءل ... ولم ؟!

والجواب فى منتهى البساطة إذ إن هذا التفاعل أدى إلى وجود التكتل الإسلامى ، وهذا التكتل لا يستطيع مطلقا أن يلتقى مع المستعمر فى منتصف الطريق لسبب عملى وفى منتهى البساطة أيضا هو سيطرة الفكرة الإسلامية على التكتل ، تلك الفكرة التى ترى أن العزة والذلة أمران متناقضان لن يجتمعا فى مسلم إلا إذا كان منافقا .. والمنافق لا يختلف كثيرا عن الكافر فى الإسلام .

ولقد كانت هذه الحقيقة قائمة فى المجتمع ، يحاول مكتب المخابرات البريطانى عن طريق مأجوريه تغطيتها عن أعين الشعب بكافة الوسائل ... ثم حدث أن اشتد التفاعل لسبب أو أكثر !

ولعل لسوء التقدير أو ضيق الأفق أو يأس المستعمر دخل فى ذلك . ثم كانت النتيجة الملموسة وهى أن الشعب بدأ يتنبه لبعض الواقع المؤلم ، الذى أخفى عنه بأكثر من طريقة صناعية ... وما كان ليشعر به لولا هذا التفاعل الذى اشتد مع هؤلاء الذين تمنعهم فكرتهم الحية من الالتقاء مع المستعمر فى منتصف . فهل نعجب الآن حين نسمع الشعب يهمس فى كل مكان عن حقيقة وجود الجبهة الاستعمارية ، والآن ألا ترى معى أنه كلما اشتد الهمس حتى يتحول تدريجيا إلى دوى كلما وضحت لنا شخصية حسن البنا ...؟ هذا الإنسان الذى استطاع بالتفاعل الذى أحدثه فى المجتمع أن يجعل جزءا من الشعب يقف بعيدا عن المسرح ينظر إلى التمثيلية وإلى الممثلين ، بعد أن كان الشعب بأكمله يشترك مخدوعا فى التمثيل ، ألا ترى معى أن النتيجة الوحيدة لهذا الهمس هى إفساد التمثيلية وفضيحة المخرج وأبطال الرواية ؟!

هذا ما نراه نحن ، وما سوف نلمسه فى الأعوام المقبلة ، أما ما سوف يثبته المؤرخون فهو أن حسن البنا صاحب نظرية سياسية فى كفاح الاستعمار ، وهذه النظرية تتلخص فى أن يجمع الشعب أو جزءا منه على الفكرة الإسلامية ، وأن هذه الفكرة بميزاتها الشاملة كفيلة بتحطيم البناء الاستعمارى ..

ولو اقتصر « حسن البنا » على هذا الكلام لكان نصيبه السخرية والابتسام ، ولكنه أعلن وسيلته العملية ، وعمل بها وهى التربية الفردية على الفكرة ثم ، الرابطة بين الأفراد الإسلاميين ، ومع الصبر العجيب والعمل المتواصل ظهر « التكتل الإسلامى » فى المجتمع ، وتزلزل البناء الاستعمارى ثم البقية تأتى .

٢ — ظاهرة أخرى رأيت أن أشير إليها لعدة أسباب منها أنها ملموسة جدا فى هذه الأيام ، ومنها ما ألمسه من حيرة مكتب المخابرات فى معالجتها لدرجة أنه أوشك أن يركب الصعب فى سبيل ذلك ، فيؤلف لها حزبا أو أحزابا يطمئن إلى قيادتها ! هذه الظاهرة هى التململ الواضح لفئات الشعب المستغل ، وقد يرى

البعض أن هذا التململ يرجع إلى عدة أسباب طارئة أدت إليها سوء الحالة الاقتصادية ، ومع احترامي لهذا الرأى ، أرى أن سوء الحالة الاقتصادية ليس بالأمر الطارىء على المجتمع ، بل قد صاحب الاحتلال من مبدئه ، ومن الطبيعى أن يصاحبه ، بل لقد بلغ دين البنك العقارى على الملاك المصريين سنة ١٩٣٦ ١٧ مليونا من الجنيهات ، وقد تحملت الأزمة الاقتصادية فى ذلك الوقت فئات لعل حالها الآن أحسن كثيرا منها فى ذلك الوقت ... ولكن الباحث المدقق لو ترك المظهر ، وتعمق قليلا ، لوجد أمامه تطورا هائلا اجتماعيا واقتصاديا ، وأن هذا التطور ليست أسبابه طارئة مباشرة فحسب (مع وجاهة هذه الأسباب) ، بل ترجع إلى تفاعل من نوع خاص سرى فيه تدريجيا ، فحول استكانته للإذلال الاقتصادى ، وسيره خلف حركات سياسية واجتماعية سطحية وتقليدية ، حول ذلك إلى تململ ويقظة قد يكون بعدها تحطم الاستغلال الذى هو كل الاحتلال .. ما هذا التفاعل فهو مرة أخرى تفاعل الفرد المسلم فى المجتمع .

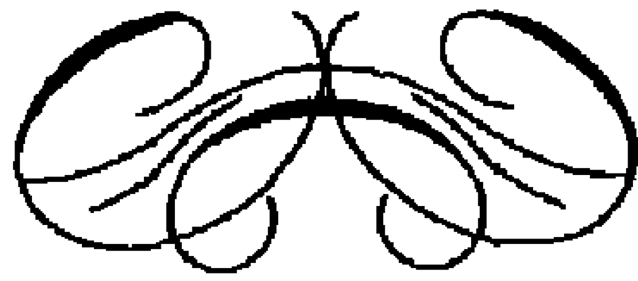
فى سنة ١٩٤١ تكلم « حسن البنا » فى مؤتمر رسمى وسيف الأحكام العرفية مسلط على الرقاب ، واليد الاستعمارية الضخمة قابضة على كل مقومات هذا البلد ، يساعدها فى ذلك معاهدة الذل والعار ...

فماذا قال ؟! :

أ – قال عن العمال : « إن ٥١١,١١٩ من العمال يشكرن التعطل ، فكيف يشعر إنسان هذه حاله بكرامة الإنسانية ، أو يعرف معنى العاطفة القومية والوطنية ، وهو فى بلد لا يستطيع أن يجد فيه القوت ! .. ولقد استعاذ النبى ﷺ من الفقر ، وقديما قيل يكاد الفقر أن يكون كفرا !! .. فضلا عن أن المشتغلين من العمال مهددون باستغلال أصحاب رؤوس الأموال ، وضعف الأجور والإرهاق فى العمل » .

ب – وقال عن الفلاحين : إن ٤ ملايين لا يملكون شيئا .. ولا يحصل أحدهم على ٨٠ قرشا فى الشهر إلا بشق الأنفس ، فإذا فرضنا أن له زوجة وثلاثة أولاد ، وهو متوسط ما يكون عليه الحال فى الريف المصرى ، كان متوسط ما يخص الفرد فى العام جنيهان ، وهو أقل بكثير مما يعيش به الحمار ... الخ .

قال حسن البنا هذا فى أحلك وأخطر الأوقات ، ويكفى أنه كان فى الوقت الذى كانت سياسة الإفقار المنظم قد أتت أكلها ، وأصبح أكثر من نصف مليون من أقوى شباب الأمة على استعداد للذهاب إلى مصانع المحتل ليلتمسوا القوت عند مغتصب الشرق والاستقلال مخدرين بكلمة الزيف والبهتان المعروفة .. « حليفة » ومخدوعين بهذا الورق المزيف ، التى رضيت السلطة القائمة أن نجعله دينا فى شرف وذمة السيد « الحليف » ... قال حسن البنا هذا القول فى هذا الوقت الذى كان يسجل فيه التاريخ أبشع أنواع السخرية الخداعية .. فماذا يقوله التاريخ .. سيقول : « صرخة شعب مستغل مخدوع ، تجمعت فى فم واحد فقط ، يجب أن يكون إنسانا نبت من هذا الشعب المستغل ولم يتمتع فى ظل الاستعمار » .



الأئمة فى مختلف العصور كانوا أعلام دين وسياسة

بقلم / الشيخ حسانين مخلوف ★

الشيخ حسن البنا أنزله الله منازل الأبرار .. من أعظم الشخصيات الإسلامية فى هذا العصر بل هو الزعيم الإسلامي الذى جاهد فى الله حق الجهاد ، واتخذ لدعوة الحق منهاجا صالحا ، وسبيلا واضحا ، استمده من القرآن والسنة النبوية ، ومن روح التشريع الإسلامى ، وقام بتنفيذه بحكمة وسداد ، وصبر وعزم ، حتى انتشرت الدعوة الإسلامية فى آفاق مصر وغيرها من بلاد الإسلام واستظل برايتها خلق كثير .

عرفته رحمه الله منذ سنين ، وتوثقت الصداقة بيننا فى اجتماعات هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين الجريحة ، وتحدثنا كثيرا فى حاضر المسلمين ومستقبل الإسلام ، فكان قوى الأمل فى مجد الإسلام وعزة المسلمين ، إذا اعتصموا بحبل القرآن المتين ، واتبعوا هدى النبوة الحكيم ، وعالجوا مشاكلهم الاجتماعية والسياسية وغيرها بما شرعه الله فى دينه القويم .

ففى الإسلام من المبادىء السامية ، والتعاليم الحكيمة ما فيه شفاء من كل مرض ، وعلاج لكل داء ، وحل لكل مشكلة ، وفيه من الأحكام ما لو نفذ ، ومن الحدود والعقوبات ما لو أقيم لسعد الناس فى كل زمان ومكان بالاستقرار والاطمئنان ، وعاد المسلمون إلى سيرتهم الأولى يوم كانوا أعزاء أقوياء .

★ عالم من علماء الأزهر المشاهير ، تولى منصب مفتى الديار المصرية حقبة من الزمن ، له مجموعة من المؤلفات ، لايزال على قيد الحياة ، وقد بلغ من العمر أكثر من تسعين عاما ، وكان حتى العام الماضى (١٤٠٥ هـ) يلقى دروسا فى الجامع الأزهر .

تلك لمحة من حديثه وهى عقيدة كل مسلم ، وأمل كل غيور على الإسلام ، غير أن العلماء حبسوا هذا العلم الزاخر فى الصدور ، ولم يرددوه إلا فى حلقات الدروس وفى زوايا الدور .

أما الشيخ حسن البنا رحمه الله فقد أخذ على نفسه عهدا أن يرشد العامة إلى الحق ، وينشر بين الناس هذه الدعوة ، وينظم طرائقها ويعبد سبيلها ، ويربى الناشئة تربية إسلامية تنزع من نفوسهم خواطر السوء ، ونعرفهم بربهم وتدنيهم من دينهم الذى ارتضاه الله لهم فكان له ما أراد ، وتحمل فى ذلك من المشاق والمتاعب ما لا قبل باحتماله إلا للرجل الصبور ، والمؤمن الغيور الذى يبغى رضاء ربه بما يعمل ، ويشعر بدافع نفسى قوى إلى إنقاذ أمته من شر وبيل وذل مقيم .

من الطبيعى وهذه دعوته أن يمس السياسة عن قرب ، وأن يأخذ فى علاج مختلف الشئون على ضوء التعاليم القرآنية ، وهنا يقول الأستاذ بحق ما نقوله نحن ، ويقوله كل من درس الإسلام ، وأحاط خبرا بالقرآن ، أن الإسلام دين ودنيا وسياسة ودولة ، والمسلم الحق هو الذى يعمل للدين والدنيا معا ، فقد جاء القرآن بالعقائد الحقة ، وبالأحكام الراشدة فى العبادات والمعاملات ونظم الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وجاء بالأوامر والنواهى وما يصونها من العقوبات والزواجر ، وألزم المسلمين كافة العمل بها ، وإقامة الدولة على أساسها ، فإذا دعا حسن البنا إلى ذلك فقد دعا إليه اللهورسوله ، ودعا إليه الصحابة والتابعون وسائر الأئمة والفقهاء وزعماء الإسلام فى كل زمان ..

يعيب عليه بعض الناس أنه توغل فى السياسة ، وقد نوهت بالرد على ذلك فى عدة أحاديث أذعتها فى مناسبات شتى ، فالسياسة الراشدة من صميم الدين ، والصدارة فيها من حق العلماء بل من واجبهم ، الذى لا يدفعهم عنه أحد ، وما أصيب العلماء بالوهن والضعف وما استعلى عليهم الأدنون وتطاول عليهم الأرذلون إلا من يوم أن استكانوا لأولئك الذين يحاولون احتكار السياسة ، ويستأثرون بالسلطان فى الشعوب والأمم الإسلامية قضاء للباناتهم واغتصابا للحقوق .

وإذا صح فصل الدين عن السياسة أو بعبارة أخرى الحجر على رجال الدين فى الاشتغال بسياسة الدولة – بالنسبة لسائر الأديان – فلا يصح بالنسبة للدين الإسلامى الحنيف ، الذى امتاز على غيره بالتشريع الكفيل بسعادة الدين والدنيا معا .

وقد كان الأئمة فى مختلف عهود الإسلام أعلام دين وسياسة ، فما بال الناس اليوم ينكرون على علماء الإسلام أن يعنوا بشئون الشعوب الإسلامية ، ويغضبوا لكرامتها ، ويجاهدوا لإعزازها ، وتبصير الناس بما يموه به الاستعماريون من حيل ، ويدبرون من فتن ويدسون من سموم .

* * *

وما الذى خولهم حق احتكار السياسة والحكم ؟! إن من حق العلماء ، وأعنى بهم القائمين بالدعوة إلى الله ، لا خصوص حملة الشهادات العلمية الرسمية ، أن يمثلوا فى كل شئون الدولة وخاصة فى السلطة التشريعية ، حتى لا يشرع فى الدولة الإسلامية ما ينافى أحكام الإسلام ، وأن يكون للتشريع الإسلامى الذى لهم به اختصاص واضح الأثر الأول فى التشريع والتنفيذ .

إن الدعوة فى جوهرها دعوة واضحة المعالم ، والقلوب الموفقة قد انعطفت إليها ، والشعب قد آمن بها ، ومن إنكار الحقائق أن يزعم زاعم انصراف السواد الأعظم من الأمة عنها .

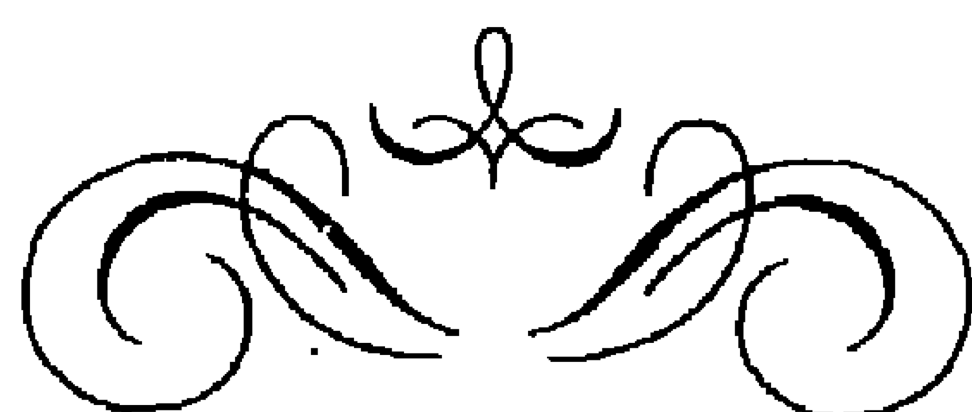
وكلما أمضت السياسة فى توهينها ازدادت قوة وزيوعا ، وأيقن الناس بما فيها من خير وصلاح ومن الإخلاص لولاة الأمور الصدق فى القول والأمانة فى الأداء ، فليعلموا أن الدعوة عقيدة استقرت فى النفوس ، وأن مقاومة السياسة لها ولدعاتها لا يزيدها إلا ثباتا ورسوخا ، وإن من الراسخ فى العقائد أن اليهود ومن وراءهم الدولة الغاصبة والدولة الاستعمارية هم الذين يكبدون لها ، ويبذلون كل ما فى استطاعتهم لاستئصالها ، ولكن هيهات ما يريدون !!

وبعد فإنا نسأل الله تبارك وتعالى للمسلمين خيرا عميما ورشدا أمينا وتوفيقا سديدا لكل من يدعو إلى خير ورشاد ورحمة واسعة للأستاذ العظيم .

مجلة الدعوة

السنة الأولى – العدد الثالث

١٣ فبراير ١٩٥١م



الشهيد العظيم حسن البنا

بقلم سماحة مفتي فلسطين الاكبر
الحاج محمد أمين الحسيني ★

بينما كان الملاحدة ودعاة الإباحية ومروجو الفكرة الشعوبية يهاجمون الإسلام ، وينشرون سمومهم وضلالاتهم في مختلف الأوساط في مصر والأقطار العربية وبخاصة بين طلبة الجامعات والمعاهد العليا ؛ برز المرحوم الشيخ حسن البنا في وسط الشعب المصرى المؤمن ، كما تبز الشمس من بين السحب الداكنة . داعياً أمته وبلاده والمسلمين جميعاً إلى العمل بالقرآن الكريم ، وتطبيق أحكامه السامية وآدابه الرفيعة ، والاستمساك بسنة النبى الأعظم ﷺ فى كل شأن من شؤونهم الخاصة والعامة ، وإلى تربية الشباب تربية إسلامية على أساس العقيدة الصحيحة والسلوك الفاضل الحميد .

وإليه يرجع الفضل فى هداية الألوف الكثيرة من طلبة الجامعات والعمال والمزارعين وسواهم من طبقات الشعب ، الذين انتفعوا به وبنشاطه ، واتجهوا فى حياتهم العامة والخاصة اتجاهاً دينياً وخلقياً سديداً .

وقد عرفته للمرة الأولى من كتاب أرسله إلى عام ١٣٤٦ هـ الموافق سنة ١٩٢٧ ، ثم توالت أخبار نشاطه وجهوده النافعة لخدمة الإسلام .

وبعد وصولى إلى مصر عام ١٩٤٦ عرفته رحمه الله شخصياً ، وسمعت

★ سماحة مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى كان له دور بارز فى حرب ١٩٤٨ وفى الجهاد على أرض فلسطين وواحداً من هؤلاء الذين تركوا بصمات طيبة فى تاريخ الجهاد على أرض فلسطين كما كانت صلته وثيقة بالإمام الشهيد حسن البنا .

أحاديثه ، وشعرت بصفاء روحه ، وتوثقت الصلات بيننا ؛ حتى عرفت حقيقة هذا الرجل العظيم الذى أنعم الله عليه بمزايا نادرة جليلة وخلالٍ كريمة جميلة قلّما اجتمعت فى أحد .

ولقد كان من أبرز صفاته الإخلاص الشديد ، والعقل الرشيد ، والعزم القوى ، يزين ذلك كله إيمان قوى ، وأخلاق محمدية كريمة جميلة قلما اجتمعت لأحد ؛ فى علو همة ، وإيثار وتضحية ، وصبر وتقشف فى الحياة ، وعزوف عن مطامع الحياة المادية ، وسيرة نقية طاهرة جعلت منه قدوة حسنة لكل من اتصل به وعرفه !!

أضف إلى ذلك : نظرة سليمة ، وذكاء نافذاً ، وألمعية باهرة ، مع رزانة فى التفكير ، وبراعة فى التنظيم ، ودأب على العمل يضرب به المثل ، ولقد زرته فى بيته فى « الحلمية الجديدة » ؛ فاسترعى نظرى ما عليه البيت المتواضع من بساطة فى أثاثه ، وجميع حاله يدل على التقشف والقناعة !!

* * *

كان – رحمه الله – يتوقد غَيْرة وحمية وحماسة ضد الاستعمال المعتدى على مصر وسواها من أقطار المسلمين والعرب ، وكان يعمل بكل ما فى وسعه لتحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل استعمار أجنبى .

كما كان – رحمه الله – حريصاً على جمع كلمة المسلمين ، وإعزاز أخوة الإسلام ، وتوثيق الروابط فيما بينهم للتعاون على البر والتقوى ، وتحقيق ما فيه رفعة شأنهم ، وكان يرى أن وطنه هو الوطن الإسلامى الأكبر .

ولقد كان للشهيد الشيخ حسن البنا وأتباعه ومريديه فى نصرة فلسطين والدفاع عنها جهود مشكورة وأعمال مبرورة ، كلها مآثر ومفاخر سجلها لهم تاريخ الجهاد الإسلامى بحروف من نور ، وقد بذلوا على ثرى فلسطين مع إخوانهم المجاهدين من أبناء البلاد العربية والإسلامية دماء زكية ومهجاً غالية ، واستشهد

منهم عصبة كريمة كانت فى الرعيل الأول من المجاهدين الذين نفروا خفافاً وثقالاً لنجدة فلسطين ، وساروا فى الطريق الذى سلكه المجاهد الكبير الشهيد أحمد عبد العزيز وصحبه الأبطال الأحرار ، وكان ثباتهم فى مقارعة العدو ومقاومته واستماتتهم فى صد عاديته مضرب المثل فى قوة الشكيمة ومضاء العزيمة ، فكانوا كما قال الله تعالى فى وصف عباده المؤمنين المجاهدين المخلصين : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . وما بُدلوا تبديلا ﴾ .

لقد كان فَقْدُ الشهيد المرحوم الشيخ حسن البنا خسارة فادحة جداً على الإسلام والمسلمين ، هيهات أن نجد عليها عزاء وعوضاً .

هيهات أن يأتى الزمان بمثله　　　إن الزمـان بمثله لبخيـــل

فرحمة الله ورضوانه على هذا الشهيد الأعظم ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى عباده العلماء العاملين الصالحين المصلحين ، وأحسن الله نزله فى دار الخلد ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ . وأَكرِمْ به من داعية إلى الله عاش عاملاً للإسلام ومات فى سبيله ميتة الأبرار الأطهار .

* * *

مجلة الدعوة

١٣ فبراير ١٩٥١م

آه... لو استطعنا أن نكتب عن حسن البنا

بقلم / أمين اسماعيل ★

كيف أكتب عن حسن البنا ؟! سؤال لا أستطيع أن أجيب عنه !! إن الذى يريد أن يكتب عن حسن البنا يجب أن تتوفر له كل الحريات التى تكفلها الدساتير والقوانين ..

وكيف نكتب عن حسن البنا وهو الحرية فى صورة إنسان ؟.. كل هذا جال فى خاطرى ، وأنا أحاول الكتابة عن حسن البنا فى هذا العدد الذى تراه بين يديه .. أريد أن أكتب عن حوادث تخفى على الناس ، اشترك فيها حسن البنا فغير وجه التاريخ ، وكتب تاريخا جديدا وهذا هو شأن حسن البنا دائما .. يملى على التاريخ وعلى الزمن .. الأحداث التى كانت نقطة تحول فى تاريخ البشرية وفى تاريخ الشرق الإسلامى .. منذ سنة ١٩٣٥ حتى اليوم الثانى عشر من شهر فبراير سنة ١٩٤٩ .. لم تقع بالشكل الذى نراه الآن أو نقرأه إلا بإملاء حسن البنا .

خذ « موقعة العلمين » مثلا من الأمثلة التى تحول فيها تاريخ البشر جميعا .. موقف « حسن البنا » ورأى حسن البنا وعمل حسن البنا ، فى هذه اللحظة الحرجة من عمر التاريخ .. !! آه لو تسمح الظروف بالكلام فى هذا الموضوع فقط دون غيره من الموضوعات .. إذن لتكشفت للناس صفحة جليلة ناصعة رائعة من الصفحات التى كتبها « حسن البنا » بخط يده وأهداها للتاريخ ، ولو أن المرحوم اللواء عبد الرازق بركات باشا كان حيا لاستطاع أن يقول عن

★ أحد قدامى الإخوان وكان يعمل صحفيا فى الجريدة اليومية .

مدى تأثير حسن البنا فى موقعة العلمين !! ... وبين الأحياء رجل واحد يعرف هذا السر وأرجو أن تسمح له الأيام أن يقول عنه شيئا ... وهو إن قرأ هذا - ستأخذه دهشة ما بعدها دهشة لأنه يعتقد أنه الحى الوحيد الذى يعرف كل شيء عن هذا الأمر ، ولكنى أطمئنه على السر فأنا لا أعرف إلا رءوس موضوعات ولا علم لى بالتفاصيل .

وإليك مثلا داخليا .. معاهدة صدقى - بيفن .. كيف لم يكتب لها أن ترى النور .. كيف قتلت فى مهدها .. كيف ثار عليها الشعب ؟! كيف سقطت وزارة صدقى .. ؟! لو أتيح لنا أن نتكلم عن هذا .. إذن لكشفنا عن صفحة أخرى كتبها حسن البنا بيده وأهداها للتاريخ .

وأمثلة أخرى .. كيف هرب أمين الحسينى إلى مصر ؟ وكيف نزل الأمير عبد الكريم إلى أرض مصر ؟ هاتان أيضا صفحتان كتبهما حسن البنا بخط يده وأهداهما للتاريخ ..

إن الذى يعلمه العالم عن حسن البنا ليس شيئا يذكر بجانب ما لايعلم ، إن العالم يعرف أن حسن البنا هو « المدرس » الذى علم المسلمين ما هو الإسلام ؟! ولكن العالم يجهل - إلى حد ما - كيف ولماذا تغيرت سياسات ووضعت خطط فى الغرب قبل الشرق وكان التغيير بسبب حسن البنا ودعوة حسن البنا ... وكانت الخطط الجديدة تتأثر سلبا وإيجابا بحسن البنا وبدعوة حسن البنا ..

حسب له « هتلر » حسابه .. وحسب له « موسولينى » حسابه .. وحسب له « ستالين » حسابه .. وحسبت له « بريطانيا » حسابها .. وحسبت له « فرنسا » حسابها .. وحاولوا جميعا أن يرتموا على أقدام « المدرس » الفقير الزاهد ليتصلوا به ... ولكنه كان لا يتصل إلا بالله والله أعز .. وأقوى من ألمانيا وإيطاليا وروسيا وبريطانيا وفرنسا مجتمعين ومنفردين .

إن جون كيمش الصحفى العالمى الذائع الصيت يعرف تمام المعرفة كيف ولماذا كتب عن حسن البنا وعن دعوة حسن البنا ... ولولا أنى أعلم أن

« الصهيونية العالمية » قد وضعت قفلا محكما على شفتيه لناشدته الحق والتاريخ أن يفضى بما يعرف ... لقد أسر جون كيمش مرة إلى أحد أصدقائه أنه سيكتب شيئا عن ذلك ولكنه لم يكتب لأنه علم أنه سيدفع رأسه ثمنا لما يكتب !!

وهل يستطيع الجنرال « كلاتيون » أن يقول شيئا عن سر اللورى الذى دبر له أن يمر يوما بميدان الحلمية الجديدة ليرتكب حادث صدام تختم النيابة تحقيقها فيه بالحفظ بسبب القضاء والقدر ؟! نحن لا نريد أن يكشف « كلاتيون » عن « سر اللورى » .. ولكن هل يقدر كلاتيونى على الكلام ؟! أم هل تحول سياسة الامبراطورية الاستعمارية دون « الاعتراف » ؟!

وهل آن الأوان أن تفصح القوقازية الحسناء ، ولا أريد أن أذكر اسمها عن سر الآلة الكاتبة الصغيرة الدقيقة التى حملتها يوما ما إلى مكان ما ؟! أم أن « الحاجز الحديدى » يكتم أنفاسها قبل أن تقول شيئا ؟! وإذا خافت حفيدة زعيم الثورة الإسلامية القوقازية فى القرن هل يخاف « سلطانوف » .. ؟! يقينى أنه يخاف مجاهل سيبيريا .. !! هذه وغيرها وغيرها من الحادثات التى وقعت خلف « كواليس » التاريخ كان محورها الأول حسن البنا ومن ناحية أخرى كان هدفها الأول « حسن البنا » ..

« حسن البنا » رجل « أحداث » .. يصنع « الأحداث » مرارا ويقضى على الأحداث مرات ... فهل تتكلم الأحداث عن رجلها القوى الجبار الهائل .

و « حسن البنا » رجل « إنسانية » يصوغ « الإنسانية » مثلا تمشى على رجلين فى كل يوم ... ويكسب « الإنسانية » على العالم المجرد من « الإنسانية » فهل تتكلم الإنسانية يوما عن رجلها الفقير المتواضع الوديع ؟! .

تسألوننى أن أضع النقط فوق الحروف .. وأجيب : آه .. لو استطعت يوما أن أكتب عن « المجهول » فى حياة « حسن البنا » .

مجلة الدعوة
١٣ فبراير ١٩٥١م

قبس من ضمير

بقلم / كامل الشافعي

حينما يرق وجدان الأخ المسلم ، وتشف عواطفه ، سرعان ما يلمح صورة حبيبة كأنما هى حرارة وجدانه ، ووقود إيمانه ، ونور يقينه ... هذه الصورة على ما بين وجودها ووجودنا من فوارق تستطيع أن تنسكب فى مخيلتك كأنها الحياة المستقرة فيك ، وأن تمر أمام محياك كأنها تحمل إليك فى إشراقها أنفاس العالم الآخر ... فأنت مضطر إلى أن تجد نفسك حال مشاهدتها كأنك طويت الزمن ، واتكأت على حافته ، وأرسلت بصيرة فؤادك إلى حيث لا تدرى أين أنت ..

هذه هى صورة إمامنا الحي الشهيد حسن البنا ...

صورة الإنسان الذى وجد فأثبت وجوده ، ثم انتهى منه الجانب الذى اضطره أن يعيش مع أبناء آدم وحواء .. جانب المادة البشرية ، ثم بقى الجزء الباق أبدا والذى لن ينتهى إلا بنهاية هذه العوالم ... بقى النور الذى يضىء للتائهين ، والهدى الذى يأخذ بيد الضالين .. بقي القبس الذى أهداه للدنيا ضمير الغيب ، ليكون أثره فيها إسلاما ، وهداه معها محبة وسلامة .

وإن كثيرا من الناس يولدون ويموتون فلا تشعر الدنيا بهم ، وإن كثيرا يودعون هذه الحياة وقد تركوا لأنفسهم ما ينفعهم من صدقة جارية وعلم نافع وولد صالح ... ولكن القلة القليلة من الناس هم الذين إذا ودعوا الحياة تركوا لها

★ الأستاذ كامل الشافعى واحدٌ من الرعيل الأول للإخوان المسلمين .

ميراثا ينفعها ، وكأنهم يوم ودعوها لم يبارحوا منازلها إلا ليطلوا من شرفات الغيب عليها .

من منا نحن الإخوان – وقد استشهد إمامنا – لا يشعر أنه ما زال يصاحبه ؟! ... من منا لا يجد لكل مشكلة تعترضه دواء من قارورته وحلا من علمه ؟! .. من منا إذا ضاقت الدنيا به لم يجد صبر الإمام له محرابا يعكف فيه حتى يزيل الله ما به من غمة ؟! من منا يحدث للناس بعلم ولا يشعر أنه أرض أجرى الله عليها سحابة بشرية روتها وهزتها وأنبتتها ؟!

كلنا ذلك الرجل .. ومن اعتقد فى نفسه غير ذلك فقد عض اليد التى أطعمته .. ومن هنا كان إمامنا حيا معنا ، وحيا عند ربه ، وليست هذه الآن قضية فقد صدر فيها حكم الواقع مؤيدا لما نقول .

لكن ما السر فى أن الفترة التي قضاها الأستاذ الإمام – نضر الله وجهه – مرت مرور الضيوف أو الطيوف أو الظلال التى ليس لها إقامة .. السر هو أن الكتاب والسنة لمن أرادهما روحا تنسكب فى روحه شيء صعب المنال يهيأ لمن رامهما ، إنهما من السماويات البعيدة ، وعليه إذا هم بتطبيقها أن يصعد إليهما فما هما بالشيء الذى يهبط عليه ... وأراد الله أن يقول للناس أنتم واهمون فخلق « حسن البنا » ، يراه الناس ماشيا فيرون مصحفا له قدمان ، ويشهدونه متحدثا فيشهدون قرآنا له لسان وشفتان .. وهكذا حاله إذا أكل أو شرب أو قعد أو قام أو استيقظ أو نام إسلام أبدا وإيمان دائما .

حقا لقد أدركت الدنيا خطيئتها حين رأت الإسلام فيه حقيقة واقعة ، وقد كانت من قبل تظنه جمودا وتأخرا ، وها هى ذى وشيكة أن تعترف به لأن رجلا واحدا أرسله ضمير الغيب ليذكر الغافل ويوقظ النائم ، ويحرك الحياة بسر الحياة ..

لقد كنت أقبل يدين وأشعر حين تقبيلهما أننى أعبد الله .. أما الأولى فيد أبى – رحمه الله – لأنه سر وجودى وأما الثانية فيد صاحب الذكرى لأنه أنار لى هذا الوجود ..

مجلة الدعوة

١٣ فبراير ١٩٥١م

اللهم لا تحرمنا أجره ولاتفتنا بعده واغفر لنا وله .

الشهيد الخالد

بقلم/ علي الغاياتي ★

إذا صح ما قاله المغفور له الملك عبد الله الهاشمى من أن الإخوان المسلمين هم معجزة القرآن فى هذا الزمان ، فمما لا شك فيه أن مؤسس جماعتهم ، وراعى نهضتهم ، ومرشدهم العام المرحوم الأستاذ حسن البنا هو رب هذه المعجزة ، فمن علمه وهديه ونشاطه وروحه ، وإيمانه وإسلامه .. استمدت هذه الجماعة ما سمت به من عظيم الصفات ، وما قامت به من جليل الأعمال .

كان رحمه الله وطيب ثراه أمة فى رجل ، تعددت نواحيه النافعة ، وفاضت نفحاته الساطعة فى كل جانب من جوانب الحياة الإسلامية فى مصر وسائر أنحاء الوطن الإسلامى . ولقد كان شديد الاهتمام بشئون المسلمين أينما حلوا وأقاموا ...

أذكر أنه سمع منذ بضعة أعوام أننى أفكر فى الهجرة إلى أمريكا لبث الدعوة ، ونشر الفكرة هناك ، فحضر مع الأخ الكريم الأستاذ صالح عشماوى إلى دار منبر الشرق وأخبرنى أن كثيرا من المسلمين فى أمريكا الجنوبية حائرون فى أمر تربية أبنائهم تربية عربية إسلامية ، وهم يخشون عليهم من المستقبل إذا لم يتداركهم المرشدون الهادون بإرشادهم وهدايتهم .. ووجه نظرى إلى هذه الناحية إذا سافرت إلى هناك ، ووعد بالعمل على إمدادى إذا استطاع بما قد يدعو إليه الحال من مال ورجال ... ولم يشأ الله أن أهاجر ، فبقيت بمصر ، ودامت صلة الود بيننا خالصة قوية حتى أننى عرضت عليه يوما أن يصدر (المنبر) عن دار الإخوان المسلمين ، كما تصدر صحف أخرى عن دور زميلاتها فى السلوك

★ على الغاياتى صحفى مصرى مشهور .

والسياسة فرحب بهذا الاقتراح ووعد بتنفيذه متى تم الاستعداد اللازم لذلك ، وحدث ما حدث فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ من حل الإخوان ، ووقف نشاطهم ، وتعطيل صحفهم ، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبقى « منبر الشرق » مستقلا ، ليرفع الراية عند سنوح الفرصة ، ويدافع عن الإخوان بعد أن سكتت الأقلام ، ويمجد ذكرى الشهيد الخالد بعد عام واحد من وفاته عليه الرحمة والرضوان .

هيأ الله السبيل بعد ذلك للإخوان فأصدروا « المباحث » ثم تركوها ، وأسسوا « الدعوة » الغراء التى يسرنى أن أهنئها بعامها الثانى ، وأن أدعو لها وللقائمين بها بكل نجاح وتوفيق .

ولا ريب فى أن كل هذه الحركة المباركة التى نراها فى محيط الإخوان هى من غرس يدى حسن البنا ... وكل الاتجاه الروحى الدينى الطاهر الذى نراه فى كثير من الشباب الجامعى والأزهرى وغيره فى المدن والقرى فى مصر وغير مصر هو ثمرة التربية الإسلامية التى بثها وعلمها ، والتى كان من نتائجها الباهرة ما شاهدناه فى فلسطين وفى القنال من بسالة وفداء وإيمان ... ولولا الدسائس والعراقيل الخارجية والداخلية لفاز المؤمنون بنصر الله الذى وعد به عباده الصالحين .

ومما لا مراء فيه أن الروح المحمدية السامية التى تعهدها ورعاها حسن البنا ستبقى ، ولن تزول ، وستقوى على مر الأيام والأعوام ، وسيعود بفضلها مجد وشباب الإسلام إن شاء الله رب العالمين .

على الغاياتى

الدعوة جمادى أول سنة ١٣٧١

الفقيد الشهيد

بقلم / منصور باشا فهمى

قصد الأستاذ محمد عبدالله السمان حضرة صاحب السعادة منصور فهمى باشا بدار المجمع اللغوى ليظفر من سعادته بحديث يعبر عن رأيه فى الفقيد الشهيد ، وسعادته من الزعماء القلائل الذين يعتدون بالفكرة الإسلامية ، والمشتغلين بالمسائل الحيوية التى تختص بالشعوب المسلمة فى كل مكان ... ولقد وجه إليه الأستاذ السمان أسئلة ثلاثة أجاب عنها سعادته إجابة شافية .

س : إن جريدة الدعوة تود لو تسجل على صفحاتها بعض ما تركه الشهيد حسن البنا من الأثر فى نفوس أصدقائه ولما كنتم من خيرة المقربين إليه رأينا أن تسهموا سعادتكم بنصيبكم فى هذه المناسبة الكريمة علينا . قال سعادته :

يرحم الله الإمام الشهيد .. لقد كان على قدر عظيم من الإيمان والذكاء ، ومبشرا من الصالحين. يدعو لوجه الله على أبلغ ما يدعو داعية مؤمن بما يقول ، وعلى خير صور التبليغ الذى يصل به المعلم الممتاز الملهم إلى نفوس تلاميذه وأذهان مريديه ، لكى يروضوا أنفسهم فى سبيل الخير . اجتمعت به مرارا فى المجالس التى تعمل للصالح العام ، فكان يلفت نظرى إصغاؤه المتواصل ، وتتبعه اليقظ لما كان يساق من مختلف الآراء المتشعبة ، كأنه الحكم العدل الذى يود تحسن الإدراك وفهم آراء المختلفين .

★ واحد ممن يطلق عليهم « جيل الرواد » ، الذين أرسلوا فى بعثات إلى أوروبا وعادوا يحملون الدعوة إلى الفكر الغربى ... فهو من جيل الدكتور طه حسين .. والدكتور محمد حسين هيكل ولم يكن أقل منهم شهرة ... ورغم انحرافه الفكرى فى صدر شبابه إلا أن الله بفضله رده إلى طريقه ... وأحسن خاتمته .

وكان إذا بدا له أن يسوق رأيا أو حكما كانت الحجج القاطعة تؤاتيه منتظمة فى فصاحة البلغاء ، ولباقة الأذكياء الكيسين ، وفى تواضع العلماء الراسخين ، وفى إيمان الدعاة المخلصين – وطالما سمعته خطيبا ومحدثا فى المحافل العامة ، فكانت المعانى تؤاتيه جلية واضحة مرتبة ، وتتوالى على لسانه العبارات طيعة سهلة فصيحة ، وطالما كان يثبت معانيه وأقواله بقول الله المكين ، والأحاديث المناسبة ، وبالشواهد الأخاذة من أعمال السلف الصالح .

وبمثل فصاحته البليغة الفياضة بحرارة الإيمان كان يقود الجماهير ويقيدهم بما يذهب إليه ويدعو له .

س : كانت دعوة فقيدنا الشهيد – كما تعلمون – تؤدى إلى وجوب الإصلاح الشامل عن طريق الإسلام وقيوده التى تخدم المصلحة العامة ، وكان يتنكر لهذه الدعوة من لا يريدون أن يقيدوا أنفسهم بمبادىء الإسلام ، فما رأى سعادتك فى ذلك ؟!

قال سعادته :

– لو فهم الناس الدين من منابعه الصافية فى القرآن والسنة الصحيحة والفطرة البشرية السليمة لما تنكر متنكر لدعوة الإمام الشهيد ، وذلك لأن الحرية السليمة لا تجافى القيود السليمة ، فما من حرية نافعة إلا ولها قيود تزيدها قيمة واعتبارا ، وليس من أحد يفهم طبيعة المجتمع البشرى وحاجاته من واجبات آحاد إلا ويؤمن بأن للحريات قيودا ، تفرض لمصلحة الجماعة أو للتسامى للخير والبر ، ولكن لما دب السوء فى المجتمع نتيجة التقليد الفاسد ، وللتفسخ الذى بدا فيه ، وللجهل الفاشى بين أفراده وجماعاته ، وللتهاون وللاستهتار بالمبادىء ، واتخاذ الحريات الرخيصة ، ولغير ذلك من الرذائل ، رأى الشيخ رحمه الله ضرورة إصلاح المجتمع بدواء يستجلب من بيئة الإسلام نفسه فى طهرها وسلامتها من الشوائب ، والإسلام فى حقيقته يتحاشى الذلة والجهل والنعومة والترف ، ويطمحُ إلى الرجولة والعزة والبساطة النافعة وما إلى ذلك مما يطمح إليه مجتمع راق ناهض ، وعندئذ صرف المرشد نشاطه الدائب المستبسل للدعوة لتحقيق الفضائل

الإسلامية ، وقدراته ينبغى أن تحد معاملات المسلم ومساعيه فى هذه الدنيا بعقيدة الإسلام ، التى يجب أن تتغلغل فى النفس ، وتفيض آثارها فى مظاهر السعى ، والمعاملات سواء كانت فردية بين الفرد ونفسه أو اجتماعية بين الشخص وغيره أو سياسية بين دولة ودولة أو شعب وشعب .

س : كان بعض الناس يتوهم التعصب فى دعوة الفقيد الشهيد كما يتوهم أن الحياة المعاصرة لا تتفق مع دعوة الأديان ، فهل هناك نصيب من الصحة فى هذه التوهمات فى رأيكم ؟!

قال سعادته :

– لقد أخطأ وظلم من توهم أن فى دعوة الفقيد ذرة من التعصب المقيت ، يتجلى فى معاداة من ليسوا على دينه وعقيدته ، وذلك لأن الرجل كان رقيق القلب مهذب النفس ، يفهم دينه كما يجب أن يفهم على حقيقته ، ويعلم أن من الأسس التى قامت عليها دعائم الإسلام أن لا إكراه فى الدين ، وإنى لأعلم علم اليقين أن الفقيد الراحل كان أخا كريما وصديقا صادقا للكثيرين من أهل الرأى والفكر ممن هم على غير دينه ، وكان فى حُلقة الجدل والمباحثة يتخلى عن رأى بدا له إلى رأى صائب جاء ممن يغايره فى الرأى أو فى العقيدة ، ومثل هذه الصفات التى كان يتحلى بها الفقيد تتنافى مع ما يلصقه البعض بالدعوة من تهم قامت على التوهم .

أما عن الشطر الثانى من السؤال فالقول بأن المجتمع الإسلامى لا يساير مجرى الحضارة قول مردود ، فالباكستان تضرب مثلا صالحا لذلك ، فهى تقوم على الدين الإسلامى فى نظامها ودستورها ، ومع هذا فهى تأخذ من الحضارة النافعة بقسط وافر فى مدة وجيزة ، ويسير بها بخطى سريعة موفقة .

ولو أن أنصار الإمام الشهيد جعلوا من أنفسهم وتصرفاتهم وأعمالهم مثلا يطبق على أنفسهم فى ظل أمر من أمور الحياة لوجد الناس فيهم المثل الجميلة التى تحتذى ، ولا نقلب الكثيرون من الناس بفضل القدوة إلى أشياع للدعوة الإسلامية . وختم سعادته حديثه بقوله :

– رحم الله فقيد الإسلام والمسلمين الإمام الراحل ، سائلا الله أن يمن على المجتمع بأشباهه ، فهو يحتاج إلى الكثيرين منهم ، ولقد كنت وودت أن أحيي الشهيد يوم وفاته ولكن حالت أسوأ الظروف دون ذلك ، وما وسعني يومئذ إلا أن أترحم عليه ، وأقرأ له الفاتحة واعتبرت هذه التحية جهد المقل .

الدعوة

الثلاثاء ١٦ جماد أول ١٣٧١



الإمام الشهيد

بقلم / مكرم عبيد باشا

طلبنا إلى معاليه أن يكتب لمجلة الدعوة عن ذكرى الإمام الراحل ، فلبى مرحبا ، والإخوان المسلمون لا ينسون ما لمعاليه من موقف نبيل إزاء محنة الإخوان ، ولا ينسون أنه الزعيم الوحيد الذى وفى يوم أن اغتيل الشهيد .

تفضلت مجلة « الدعوة » الغراء فطلبت إلى أن أكتب كلمة فى ذكرى الراحل الكريم الذى شاءت له رحمة الله أن يغادر هذه الدنيا الغادرة إلى جوار ربه الرحمن الرحيم .. كما شاءت لنا رحمة الله أن يظل الراحل الذى فقدناه ماثلا بيننا بذكراه وبتقواه .. وهل هذا الراحل الماثل إلا فضيلة المرشد المغفور له الشيخ حسن البنا ! ..

أى نعم .. فإذا كنتم أيها الإخوان المسلمون قدفقدتم أخاكم الأكبر ، الخالد الذكر ، فحسبكم أن تذكروا أن هذا الرجل الذى أسلم وجهه لله حنيفا قد أسلم روحه للوطن عفيفا .·. حسبكم أن تذكروه حيا فى مجده كلما ذكرتموه ميتا فى لحده .. وإذا كان الموت والحياة يتنازعان السيطرة فى مملكة الإنسان ، ويتبادلان النصر والهزيمة فيتساويان .. فالغلبة للحياة مع الذكرى ، وللموت مع النسيان .. ولهذا فالميت حى لديك إذ ذكرته ، والحى ميت لديك إذا نسيته ..

★ أحد زعماء المسيحيين فى مصر فى الربع الثانى من القرن العشرين ، محامى شهير ، وأحد أقطاب حزب الوفد أيام سعد زغلول ، وأحد رجال الحركة الوطنية أيام الاحتلال البريطانى .

وهو المصرى الوحيد الذى شارك فى جنازة الإمام الشهيد حسن البنا ، وذهب إلى منزل والده للعزاء .

وما من شك أن فضيلة الشيخ حسن البنا هو حى لدينا جميعا فى ذكراه .. بل كيف لا يحيى ويخلد فى حياته رجل استوحى فى الدين هدى ربه وفى الدنيا وحى قلبه ..

اذكروه أنتم أيها الإخوان ، ثم اذكروه ففى ذكره حياة له ولكم ، ومن ذا الذى يقول بهذا ؟! هو مكرم عبيد صديقه المسيحى الذى عرف فى أخيه المسلم الصدق والصداقة معا .. ولئن ذكرت فكيف لا أذكركم تزاورونا وتآزرنا إبان حياته .. ولئن شهدت فكيف لا أشهد بفضله بعد مماته .. وما هى وايم الحق إلا شهادة صدق أشهد عليها ربى إذ ينطق بها لسانى من وحى قلبى ..

بل هى شهادة رجل يجمع بينه وبين الفقيد العزيز الإيمان بوحدة ربه ، وبوحدة شعبه .. والتوحيد فى جميع الأديان المنزلة لا يكفى فيه أن توحد الله بل يجب أن تتوحد فى الله .. كما أن وحدة الوطن لا يكفى فيها وحدة أرجائه ، بل يجب أن تتوافر لها قبل كل شيء وحدة أبنائه ! ولقد كان الإخوان المسلمون والكتلة الوفدية هما الهيئتان الوحيدتان اللتان تبادلا الزيارة فى دار الإخوان ونادى الكتلة .. بل كان لى حظ أن يزورنى رحمه الله فى منزلى ، وأن نتبادل خلال حديث طويل المشاعر الشخصية والوطنية .. وكنت أراه فى حديثه أبعد ما يكون عن الشكليات والصغائر مما جعلنى أعتقد أنه رجل قل مثيله بيننا فى التعمق تفكيرا وفى التنزه ضميرا ..

ولقد زرته رحمه الله إثر موته فى منزله .. فكانت زيارة لن أنسى ما حييت أثرها الفاجع والدامع ... ولقد هالنى أن أجد قوة من البوليس تحاصر الشارع الذى به منزل الفقيد ، ولولا أن ضابط البوليس عرفنى فسمح لى بالمرور لما تيسر لى أن أؤدى واجب العزاء ..

ولئن نسيت فلن أنسى كيف كان والده الشيخ البار متأثرا بهذه الزيارة ، حتى أنه قص علينا والدمع يفيض من عينيه كيف منعوا الناس من تشييع جنازة الفقيد ، ولم يسمح لغير والده بالسير وراء نعشه ، كما لم يسمح للمعزين بالعزاء فى منزله ، وراح الوالد الكريم يشكرنى ، ويدعو لى دعواته المباركات التى

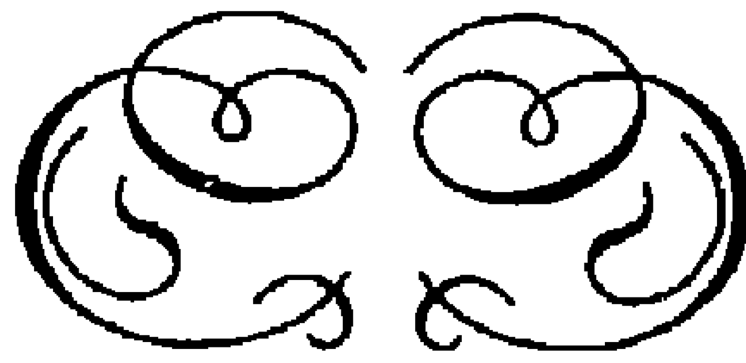
ما زلت أتبرك بها .. ولو أنى قلت له أن واجب العزاء هو فرض واجب الأداء ، فإذا ما قصرت فيه أنا أو أى مصرى كان فى ذلك تنكر لتقاليدنا وأوليات الوفاء ..

إخوانى .. أى نعم فأنتم لى إخواتى أيها الإخوان المسلمون .. أنتم إخوانى وطنا وجنسا ، بل إخوانى نفسا وحسا ، بل أنتم لى إخوانٌ ما أقربكم إخوانا لأنكم فى الوطنية إخوانى إيمانا ولما كانت الوطنية من الإيمان فنحن إذن إخوان فى الله الواحد المنان ..

وإذا ما ذكرتم اليوم الفضيلة فى قبرها فاذكروا أيضا ما كان يذكره على الدوام إذ يذكر الحرية فى سجنها .. فلنطالب إذن بتحرير بلادنا ، وتحرير أولادنا المساجين المساكين ، فإن فى الإفراج عنهم عزاء ، وجزاء فى وقت معا .

الدعوة

١٦ جمادى أول ١٣٧١



الداعية الواعى

بقلم / الفريق عزيز المصرى

عرفت الشهيد حسن البنا أول مرة بعد عودتى من لندن سنة ١٩٣٧ ، حينما كنت فى معية سمو ولى العهد ، وذلك حينما وجدت فى انتظارى ثلاثة قالوا لى أنهم من الإخوان المسلمين ، ونظرا لأن ملابسهم وكانت من المتعارف على أنها إسلامية إلا أنها فى نظرى بعيدة عن الإسلام قلت لهم إننى لا أريد مقابلتهم ، لأننى أريد أن أرى الإخوان المسلمين يمثلون فكرة التجديد والبعث ، حتى فى أزيائهم فتكون مبسطة ولو جاكتة مقفلة وبنطلون ، وبدلا من المسابح يضع كل منهم فى يده كتابا يناقشنى فيه .. ولشد ما كانت دهشتى حينما جاءنى فى الغد أحد هؤلاء الثلاثة وقال لى : أنه حسن البنا .. وأنه مؤمن بكل ما قلت ، ولكن الرجعية التى تردى فيها المسلمون تجعلنا نطرق هذا الباب حتى نعيدهم إلى الفكرة الإسلامية الصحيحة ، التى تجعل من المسلم شعلة للعلم والتقدم والهداية

★ الفريق عزيز المصرى أحد أعلام العسكرية المصرية ، كان ضابطا فى الجيش التركى قبل سقوط دولة الخلافة العثمانية يوم أن كانت مصر تابعة لدولة الخلافة ، وحارب مع الجيش التركى فى جبهة البلقان ، كما كان قائدا للجيوش المصرية والتركية فى الحرب العالمية الأولى .

وصل إلى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى عام ١٩٣٩ .. كان ثائرا على الاحتلال الانجليزى ، أراد أثناء الحرب العالمية الثانية أن يهرب إلى خارج مصر ليحارب فى صفوف الألمان ضد الانجليز كوسيلة لإجلاء الانجليز عن مصر ، ولكن فشلت عملية هروبه ، حيث سقطت الطائرة التى هرب بها برفقة الفريق عبدالمنعم عبدالرئيس وزميله حسين ذو الفقار صبرى .

كان أحد الآباء الروحيين للحركة الوطنية داخل الجيش المصرى .

عاش إلى ما بعد انقلاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

للإنسانية ، فأكبرت الرجل ، وعرفت فيه الداعية الواعى ، وقد كنت أتوقع ألا أراه بعد المقابلة الشديدة التى قابلتهم بها .

ومنذ ذلك الوقت توثقت الصلة بينى وبينه وكنا نتقابل بين حين وآخر ، وأرى فى وجهه علائم الإيمان بادية ، وآيات الصدق والإخلاص مرتسمة ، مما زادنى فيه ثقة وإيمانا .

وحينما كنت بسجن الأجانب إبان استشهاده ، جاءنى أحد الضباط وعلى وجهه علامات الأسى مخالفا الأوامر ومبلغا إياى ذلك النبأ المفجع ، فأحسست بخنجر أصابنى فى صدرى لفقد ذلك الرجل العظيم .

رحمه الله رحمة واسعة ، وألهم خلفاءه والإخوان حسن السير على منواله ، وإتمام الرسالة التى بدأها .

الفريق عزيز المصرى باشا

مجلة الدعوة
١٣ فبراير ١٩٥١م

حسن البنا

بقلم / الدكتور نور الدين طراف
عضو مجلس النواب

رحم الله الشيخ حسن البنا وأسكنه واسع جناته ، فلقد كان واحدا من هؤلاء الأفذاذ الذين حبتهم العناية الإلهية بالقدرة على اكتساب قلوب الناس واكتساب ثقتهم ، وسلحتهم بمضاء الإيمان ، يذلل لهم الصعوبات ، ويمضون به فى سبيلهم لتحقيق رسالتهم فى الحياة .

عرفت المغفور له الشيخ حسن البنا فى مطالع عام ١٩٤٧ ، وتوثقت بينى وبينه مودة كنت أحرص عليها واعتز بها ، وكان أقوى ما يحببنى فيه ما كان يتصف به من رحابة الأفق وسعة التفكير ، واعتزازه الشامل بما فى الإسلام من مبادىء سبقت أحدث ما تطلبه وتريده النظم الديمقراطية الحديثة .

وظللت أراقب دعوته تنتشر وأنصاره ومحبيه يزدادون ويتضاعفون على مر الأيام وكر الأعوام ، ولم أكن أعجب بهذا فإن القدر الذى كان يتمتع به من صفات الزعماء والقادة يقطع بأن الشيخ حسن البنا لابد وأن يتبوأ ما هو أهل له من مكان الصدارة والزعامة .

لقد كان خطيبا مفوها ، ومحدثا حلو الحديث ، سريع العارضة ، قوى الحجة ، عميق الدراسة الدينية ، ملما بكل ما فى الدين الإسلامى من نواح تثير

★ دكتور طبيب ، عمل بالحركة الوطنية المصرية قبل انقلاب ٢٣ يوليو وبعد الانقلاب ، اختير وزيرا للصحة لفترة طويلة ، لم يعرف عنه ما يسىء إلى وطنيته .

اعتزاز وفخر المسلمين ، وكان كتلة من النشاط الذى لا يهدأ أو يسكن أو يستقر ، فهو فى عمل متصل ، وكان يملك تلك الخاصة النادرة خاصة القدرة على التنظيم ، واختيار الشخص المناسب للمكان المناسب ، وكانت ذاكرته القوية تعى أسماء كل أنصاره ومريديه على كثرتهم وضخامة عددهم .

لقد اغتال القدر الشيخ حسن البنا ، وأنهى حياته بهذه الصورة المفجعة ، التى انتهت به والأمة فى أوج ارتقابها لجهوده ، وفى أقصى تطلعها إليه وإلى جماعته الضخمة ، ولا يعزينا اليوم عنه إلا أن نرى الروح التى كان يصدر عنها ، والدوافع الوطنية التى كانت تحركه ، تسير وتنتشر وتأخذ مكانها بين المصريين .

دكتور نور الدين على طراف

عضو مجلس النواب

مجلة الدعوة

١٣ فبراير ١٩٥١م



رحم الله الشيخ البنا

بقلم / فؤاد سراج الدين باشا

كان الشيخ رحمه الله أمة وحده ، وقد جمع من الخلال والفضائل ما لا يمكن حصره فى مقال ينشر بإحدى المجلات ، لهذا أقتصر فى الكتابة عنه من ناحية واحدة هى التواضع . لقد كان الشيخ جم التواضع ، فلم يذكر فى يوم من الأيام شيئا عن نفسه ، ولم يفخر بعلمه ، ولم يكن يشعر أنه يتزعم هيئة لها خطرها فى البلاد العربية كلها ، ولكنه ترك الناس يحكمون على علمه الواسع ومثله العليا التى كان يضربها .

كان إذا قام يخطب الناس وقف وقفة رجل خاشع متواضع ، وتحدث إليهم فى صوت هادىء متزن ، ولم يكن ليرفع عقيرته أو يحتد فى خطابه مهما كانت جدية الموضوع الذى يتناوله ، ولهذا كان كلامه العذب يصل إلى القلوب قبل أن يصل إلى الآذان .

استمعت له كثيرا أيام كان يغشى بلاد مديرية القليوبية للاجتماع برجاله والتحدث إليهم ، فكنت أجد أكبر لذة فى الاستماع إليه ، والاستفادة من علمه وحكمه ومواعظه ، التى كانت تتدفق كالماء العذب يروى نفوسا عطاشا . بدأ مرة إحدى خطبه بشبين القناطر بمحاضرة لم أسمع خيرا منها فى علاقة الحاكم بالمحكومين ، وما يجب أن يكون عليه كل منهم ، فوددت لو أن هذه المحاضرة سجلت لتذاع فى أنحاء البلاد ، فينتفع بها الكل ، لما اشتملت عليه من نصائح لو اتبعت لأدت إلى خير البلاد وإسعادها .

كنت معه يوما فى جمع بينها ولما حانت صلاة المغرب أبى وهو أفقه القوم دينا إلا أن أؤمه والجمع ، تواضعا ولو كان فى قلبة ذرة من كبر أو أثر من تمسك بالرياسة

لما فعل ، وإنى لعلى يقين من أن تواضع الشيخ وتلطفه فى حديثه مع كل مستمع له من أكبر الأسباب التى ألقت محبته فى قلوب الناس ، ولو كان فظا غليظ القلب لا نفضوا من حوله .

رحم الله شيخنا وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين وعما قام به من عمل صالح للناس أجمعين .

فؤاد شيرين

الدعوة ١٦ جماد أول سنة ١٣٧١

حسن البنا الذى عرفته

بقلم / محمد محمود جلال بك

بعث الخليفة الأمين العباسى كتابا إلى أخيه المأمون بخراسان يسترضيه ويستقدمه إلى بغداد – بعد أن نكث عهد أبيه وأعلن سقوط ولاية العهد عنه – فرد المأمون بكتاب أذكر منه قوله : « وهل أحد فارق الحق فى فعله فترك للمتبين ثقة فى قوله ، وهكذا لا تفلح دعوة للإصلاح متى فارق داعيها ما تقتضى من سلوك ، وليس يكفى للنجاح سلامة المبدأ فى ذاته إذا تعثر بما يناقضه من سلوك دعاته .

وقد عرفت الفقيد العزيز الشيخ حسن البنا عليه رحمة الله ورضوانه – مستقيما واسع الصدر شجاعا ، فكان بهذا الخلق سندا لما يدعو إليه .

سحر أتباعه وأشياعه بقوة بيان مستمد من قوة الينبوع ، وهو حقيقة الإسلام يرمى إلى حل مشكلات الحياة كلها عن طريق الأسس الإسلامية ، وهى كنوز خفيت عن أكثرية معتنقيه ، ولعلها لم تظفر بتطبيق حق إلا فى سنى حياة الرسول الكريم عليه صلاة الله وسلامه وخلافة السيدين العظيمين أبى بكر وعمر وأيام قليلة من حياة سيدنا عثمان عليهم رضوان الله ، فالمهمة شاقة لما انطمس خلال الأجيال من معالم ومبادىء .

ومع ذلك ظهر فريق من الشباب يحرص على أداء الفرائض ، ويتفهم نظم الإسلام ، ويطرح الميوعة التى تردى إليها أهل زماننا .

لا أذكر أنه تخلف مرة واحدة عن الاجتماعات التى كانت تعقد فى دارى خلال الحرب وفى عهد الأحكام العرفية ، فعالج فيها قضية البلاد ومشكلات المستقبل – وفى ذكريات الزعيمين العظيمين مصطفى كامل ومحمد فريد فى وقت كان يتخلف

فيه كثيرون ، وما رايته يغضب فى مناقشة احد بل يبتسم ويتحدث تحدث المومن الذى لا يفقد الأمل .

ذهبت استفسر عن صحته مرة فى وقت بلغت جماعته شأوا ماديا ومعنويا - جعل كثيرين من رجال الحكم يقاربونه - فوجدت داره شقة فى بيت - بساطتها - تستلفت النظر فيها صورة من نفسه كالتى وجدت فى ملبسه وحديثه .

هذا التناسق وحده برهان ودعوة ، فليس ينقص الشرق علم ولا ذكاء ، وإنما ينقصه إيمان وثبات .

محمد محمود جلال

الدعوة ١٦ جماد أول سنة ١٣٧١



حسن البنا رمز لفكرة حية

بقلم / السيد على البهلوان

اقترن اسم الشهيد حسن البنا فى نظر التونسيين بحركة التجديد والتطهير التى تجسمت فى الإخوان المسلمين ، وأصبح اسمه رمزا لفكرة حية ومبدأ سام طالما تردد بين التونسيين من غير أن يجد من يسهر على تطبيقه حتى أبرزه المرشد العظيم .

ولقد رأى التونسيون أن السبب الرئيسى لتقهقر المسلمين هو أن أفرادهم أصبحوا عاجزين عن تأدية واجباتهم نحو مجتمعهم فى غالب الميادين ، فقد جمدت عاداتهم ، وانحل الكثير من أخلاقهم ، وتفرقوا شيعا وأحزابا ، وشتتهم الأهواء ، وأصابهم ضرب من العقم والتخاذل ، ففقدوا كل قدرة ، وجردوا من كل قوة تغير الأوضاع التى يعيشون فيها .

فنادى الإمام الشهيد بتبديل تلك العقلية البالية ، وتعويضها بنظام محكم أساسه وازع من نفوس المسلمين ، لكى يكون لعمل المؤمن مفعول حقيقى إذ غير ما بنفسه ومن البديهى أن يغير الله ما به .

وقد كان لحركة الإخوان المسلمين صدى عميق فى تونس ، لأن التونسيين آمنوا بأن الإسلام دين عمل وتضحية ، وقد تجسمت فى المرشد العظيم رحمه الله تلك المعانى الإسلامية السامية ، فأضحى منار هداية لمن يريد نهضة إسلامية أساسها ثابت وصرحها عال .

على البهلوان

السكرتير العام المساعد

للحزب الحر الدستورى التونسى

الدعوة ١٦ جماد أول سنة ١٣٧١

حسن البنا كما عرفته

بقلم/ الشاذلى المكى ★

.. لين الطباع والأخلاق .. يحسبه المرء أنه ، لشدة ليونته وسماحته متساهل ، حلو الكلام يأخذك بحديثه ، فهو ما يزال بك حتى يفرغ فى نفسك تلك المعانى السامية ، التى ما دخلت قلبا إلا وجعلت صاحبه يؤمن بما له وبما عليه فى هذا المعترك .. وفىٌّ لمبادئه .. وذلك بالدفاع عنها إلى حد الاستماتة فى سبيلها .. ووفىٌّ لإخوانه وأصدقائه بالنصيحة لهم وتوجيههم التوجيه السليم الصحيح .. ووفىٌّ لهذه الإنسانية التى طوحت بها الإلحادية ، وغزتها المادية ، فأنستها الله ، ثم أنستها نفسها ، فضلت الطريق .. فهو يحاول أن يردها إلى ما إن تمسكت به لن تضل أبداً : كتاب الله وسنة رسوله . متفان فى دعوته ، فهو يدرس ، ويقارن ، ثم يستنتج لينشر مبادىء القرآن ، وهدى نبى الإسلام واضحة كفلق الصبح ، جديدة كالنور ، ظاهرة كالمحجة ، قوية كالحجة .. ومن هنا كان الداعية المصلح ، والواعظ المرشد المجدد .

ذلك هو حسن البنا كما عرفته فى سنة ١٩٤٥ وفى السنوات التى تلتها إلى أن لقى الله محتسبا شهيدا ..

وفى نظرى أنه إذا كان المصلحون الذين تقدموا حسن البنا مثل عمر بن عبدالعزيز ، والغزالى ، وابن القيم ، وابن تيميه ، والأفغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، وعبد الحميد بن باديس ، وغيرهم قد نادوا بالإصلاح وعملوا له وحددوا معالمه مصداقا وفاقا لقوله صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله يبعث لهذه

★ الشاذلى المكى أحد رجال السياسة فى المغرب العربى .

الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » – فإن حسن البنا قد وضع لهذا الإصلاح – بصفة لم يسبق لها – لا المعالم للتجديد فحسب ، وإنما أيضا الأسس والأركان ... ومن ثم كان من أكبر المجددين المصلحين لأمر هذه الأمة .

– فإن حسن البنا قد وضع لهذا الإصلاح – بصفة لم يسبق لها – لا المعالم للتجديد والإصلاح فحسب ، وإنما أيضا الأسس والأركان .. ومن ثم كان من أكبر المجددين المصلحين لأمر هذه الأمة .

عندما زرته لأول مرة فى مكتبه بدار الإخوان وكنت حديث عهد بمصر وكان ذلك فى أواخر سنة ١٩٤٥ وهى السنة التى نكبت فيها الجزائر ، وفقدت أثناءها فى حوادث ٨ مايو ما يزيد عن خمسة وأربعين ألف شهيد من أبنائها الغر الميامين دفاعا عن شخصيتها الإسلامية وقوميتها العربية .. قال لى طيب الله ثراه :

– هل لك أن تحدثنا عن الفاجعة ، وعن أثرها فى القطر الشقيق ؟ ورحت أسترسل فى وصف حوادث ٨ مايو سنة ١٩٤٥ وفضيلة الأستاذ البنا يستمع وكأنه فى غيبوبة .. ثم تنهد محوقلا وقائلا :

– لماذا لا تجعل من حديثك هذا موضوعا تتحدث به إلى جموع الإخوان ؟ وإنى أترك لك مكانى يوم الثلاثاء المقبل ، أو يوم الثلاثاء الذى يليه ..

وتتابعت اجتماعاتنا الخاصة والعامة حتى كان شهر يناير ١٩٤٩ فاجتمعنا على غير ميعادي بدار جمعيات الشبان المسلمين قبيل صلاة الجمعة ، واستأنفنا الاجتماع بعد الصلاة أيضا .. وتكلمنا بهذه المناسبة طويلا عن الحالة الداخلية التى كانت تجتازها مصر آنئذ .. فبينت له وجهة نظرى .. وانتهيت إلى القول بأن كل ما حدث لا يستفيد منه إلا المتربصون الدوائر بمصر وبالعروبة وبالإسلام . فأجاب رحمه الله بما معناه :

– إن من لم يعتقد هذا إنما هو الدخيل على مصرٍ ، الكائد للعروبة ، الخائن للإسلام .. وأن جميع اتصالاتنا بأولى الأمر كانت تنم بشرح هذه الناحية المأسوف عليها التى يخشى – إن هى استفحلت – أن تأتى على الأخضر واليابس .. ومن منا بربك يعمل للجريمة ، أو يؤيدها فى أية صورة كانت حتى يجيز بعض

الناس لأنفسهم إتهامنا نحن بما نحن منه براء ؟ إن كل الذى وقع ليس هو إلا صدعا فى صرح هذه الأمة .. بل هو ثلمة يدخل منها أعداؤنا جميعا للقضاء على مبادئنا لا قدر الله .

وكان فضيلته – رحمه الله رحمة واسعة – يحدثنى بهذا واللوعة تحز فى نفسه ، والأسى يهد من كيانه إلى حد أن تقاسيم وجهه كانت تنم عن استنكاره لكل عدوان أو إجرام يتهم به الإخوان ، أو يقع على الإخوان .

واليوم والعالم العربى والإسلامى يجتاز أخطر مرحلة فى جهاده المرير الطويل من أجل العزة القومية ، والكرامة الوطنية ، ومن أجل سؤدده وحريته واستقلاله لا يسعنا إلا أن تضرع إلى الله جلت قدرته بالدعاء ليوحد صفوفنا ، ويجمع كلمتنا ، ويحقق لنا أسمى أمانينا ، وأن ينزل حسن البنا المجدد المصلح وكل شهدائنا منزلة السابقين الأبرار فى مقام صدق عند مليك مقتدر .

الشاذلى المكى



شخصية حسن البنا

بقلم / السيد علال الفاسى ★
رئيس حزب الاستقلال المراكشى

أعظم ما كان بارزا فى شخصية حسن البنا هو إيمانه بالله ، وبصدق الدعوة التى يدعو لها ، وإيمانه بنفسه أيضا ، وأعظم صفاته هى قوة الملاحظة ، وقوة المواظبة . وبهاتين الخصلتين استطاع أن يشق الطريق لدعوته فى وسط كان أبعد ما يكون عنها .

وأعتقد أن الدعوة كانت تستفيد كثيرا من حياة البنا لو لم يوافه الأجل المحتوم ، ولكن العشرين سنة التى قضاها دائباً ليل نهار على بذر بذور فكرته ، وتطعيمها والعناية بها ، يجعلها فى مأمن من أن تطوح بها أيدى الزمان العاتية ، فهو على كل حال قد أدى رسالته، وأداها كذلك يوم أن سقط شهيدا فى سبيل الفكرة التى دعا إليها .

السيد علال الفاسى



★ كان من المجاهدين المغاربة ضد الاستعمار الفرنسى كما كان رئيسا لحزب الاستقلال المراكشى .

إمام ودبلوماسى

لمحرر الشئون الخارجية الأستاذ عمر عزمى

يحار الكاتب عندما يحاول أن يتحدث عن شخصية فقيد العروبة والإسلام الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا رضى الله عنه وطيب ثراه ، فإنها ذات نواح عديدة متشعبة ، تناولت كافة نواحى الحياة العامة ، وجاوزت فى اتساعها النطاق القومى والإقليمى إلى المحيط العالمى ، والإلمام بكل هذه النواحى يتطلب أسفارا وأسفارا ، يتذاكرها الخلف عن السلف ، ليقرأوا فيها أسمى معانى الجهاد والتضحية ، ولهذا سأقصر هذا البحث على تناول ناحية معينة لمستها فى الفقيد الكبير بحكم عملى كمحرر للشئون الخارجية ، وهى ناحية الدبلوماسية التى قد تغيب عن الكثيرين من معارفه ، تاركا لغيرى ممن هم أقدر منى على معالجة النواحى الأخرى ، إيفاء هذه الشخصية الفذة حقها من التمجيد والتخليد ، إحقاقا للتاريخ ، وتكريما للبطولة فى شخص الفقيد*.

الدبلوماسية فى الإسلام

وأود قبل التحدث عن هذه الناحية الهامة من حياة الفقيد ، أن ألمح إلماحة خاطفة إلى الدبلوماسية الإسلامية ، فأقول : إن الإسلام وضع قواعد الدبلوماسية المثالية الصحيحة لا الدبلوماسية الخبيثة المنافقة التى تقوم عليها السياسة الدولية اليوم . وقد ضرب سيد الأنام ﷺ ومن بعده خلفاؤه رضوان الله عليهم ، أمثلة

★ كان الأستاذ عمر عزمى محرر الشئون الخارجية والمحرر الدبلوماسى فى مجلة الدعوة فى الخمسينيات .

لا حصر لها فى الدبلوماسية النظيفة سواء فى اتصالاتهم الخاصة أو فى علاقاتهم العامة ، الأمر الذى كان عاملا فعالا فى نجاح السياسة الإسلامية ، واتساع نفوذها حتى ترامت إلى أقصى آسيا ثم امتدت إلى أفريقيا فأوروبا .

وحسبنا أن نشير فى هذه العجالة إلى أن نظام « رسول الملك : King's Messenger » المعمول به فى السلك السياسى الانجليزى أو Courier فى عرف الدبلوماسية الأمريكية كان قائما فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، فقد كان يبعث برسله إلى الملوك حاملين رسالة الحق والهدى ، ويتبادل معهم الكتب عن طريق هؤلاء الرسل كما فعل مع المقوقس عظيم القبط فى مصر . وفى يقينى أن الرسالة المعروفة التى بعث بها عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عقب فتح مصر من أمتع التقارير الدبلوماسية التى عرفها التاريخ ، فقد استطاع فى عبارات بليغة موجزة أن ينقل إلى الخليفة صورة صادقة عن هذه البلاد ، تناولت النواحى الاقتصادية والجغرافية والزراعية ، بل ووصف نفسية الشعب المصرى وتواكله ، وتأثره بغزارة القوة الإنتاجية الطبيعية أدق وصف إذ قال : « يزرعون الحب وينتظرون الثمار من الرب » .

تعارض وتناقض

وقد كنت أعتقد أن تطور الدبلوماسية الحديثة وخروجها عن المعانى السامية والمبادىء الرفيعة التى حرص عليها الإسلام فى صورة لم تعد تتفق مع داعية فى القرن العشرين ، يحاول بعث المثل الإسلامية فى عالم اختفت فيه كل معايير الأخلاق والقيم الإنسانية وخاصة فى مجال السياسة ، ولهذا فقد كنت شخصيا أشفق من فشل الإمام الشهيد كسياسى ودبلوماسى ، لا لنقص فى الكفاية أو الذكاء فقد كانا موفورين فى شخصيته الفذة ، وإنما لتعارض وتناقض أساليب الدبلوماسية الإسلامية النظيفة مع أساليب الدبلوماسية الحديثة التى تقوم على الختل والرياء والكذب ، وقد جاهرت برأيى هذا فى جريدة (الإخوان) ، واتسع صدر تلك الصحيفة الحرة لتقبل رأيى عن سماحة ورحابة ، بيد أن الأيام

والأحداث أقنعتنى فيما بعد بأنه حينما تصطدم المثل العليا بالمبادىء الوضعية تكون الغلبة دائما للأولى جريا على نظرية البقاء للأصلح إذا ما تولى زمامها الرجل الأصلح .

جامعة للشعوب العربية والإسلامية

كان تفكير الإمام السياسى والدبلوماسى إقليميا ودوليا أكثر منه قوميا ، وقد استطاعت حركة الإخوان بتشعبها فى البلاد العربية ثم تراميها إلى البلاد الإسلامية من سواحل المحيط الهادى إلى مشارف الأطلنطى أن تلعب دورا كبيرا فى ربط الشعوب العربية والإسلامية بعضها ببعض فى عجلة محورها القاهرة ، وكانت شعب الإخوان ورسلهم بمثابة هيئات دبلوماسية شعبية ، كما كان قسم الاتصال بالبلاد العربية والإسلامية فى المركز العام بمثابة جامعة للشعوب العربية والإسلامية ، يقوم ميثاقها على أساس توثيق العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية والروحية بين هذه الشعوب ، وتنسيق حركاتها التحريرية فى نطاق كتلة شعبية إقليمية ضخمة ضد الاستعمار الغربى .

فحركة الإخوان التى يتزعمها الإمام الشهيد سبقت تفكير الحكومات العربية فى إنشاء جامعة الدول العربية ، ومهدت لها ، ثم دعمت الجامعة العربية بعد تكوينها بقوتها الشعبية الهائلة ، بل إن هذه الحركة المباركة هيأت الأفكار للتكتل الغربى الأسيوى الذى اتجه تفكير أقطاب العرب أخيرا ، واستطاعت أن تجعل منه حقيقة واقعة قبل أن تفكر فيه الحكومات ذات الشأن نفسها ، ولو لم تعرقل الأغراض السياسية الاستعمارية نشاط حركة الإخوان لاستطاعت تلك الجامعة الشعبية الإسلامية العربية بما لها من نفوذ روحى أن تحقق الأهداف التى يسعى إليها أقطاب العرب اليوم جاهدين عن طريق التكتل العربى الأسيوى بدون عناء ، وأن تحطم كل مناورة استعمارية تحاول إحباط هذا الاتجاه العملى الموفق .

ثورة الاستعمار

وقد أدرك الاستعمار الغربى خطورة أهداف الإخوان ونتائجها ، التى انعكست بوادرها فى تكييف الحركات التحريرية فى البلاد العربية والإسلامية من أندونيسيا إلى مراكش ومن سوريا إلى اليمن ، فلم يتردد فى محاربة الإخوان بأقصى ما فى وسعه من دهاء وقوة عن طريق التغرير بالحكومات تارة والضغط عليها تارة أخرى ، إلى أن نجح فى شل نشاط هذه الحركة المباركة وللأسف !

هذه هى دبلوماسية الإمام إزاء البلاد العربية والإسلامية ، استطاعت بقوتها وسلامتها ونظافتها أن تقهر دبلوماسية الغرب الملتوية الخادعة ، وأن ترسى فى أقل من ربع قرن قواعد مكينة للتكتل الشعبى العربى الإسلامى ، وأن تضفى على مصر زعامة عربية إسلامية شعبية عززت مركزها الدولى وقوت نفوذها العالمى .

دبلوماسية دولية

ولم تشغل مناضلة الاستعمار فى البلاد العربية والإسلامية الإمام الشهيد عن متابعة مجرى الحوادث فى الغرب ، وقد استطاع أصدقاء الإخوان ودعاتهم ومبشروهم أن يؤسسوا فى مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا مراكز وهيئات كانت بمثابة بعثات دبلوماسية للحركة العربية الإسلامية المنبعثة من القاهرة ، وامتد هذا النشاط الدبلوماسى إلى أروقة هيئة الأمم المتحدة نفسها ، حيث كان صوت رسل الإخوان وبعثاتهم يدوى عاليا عند عرض كل قضية عربية أو إسلامية .

وقد رسم الإمام سياسة الإخوان إزاء الغرب فى نقطة معينة محددة ، استعرضتها فى العدد الأول من الدعوة ، ويقينى لو أن الحكومات العربية والإسلامية أقامت سياستها الخارجية على تلك الأسس وحددت علاقاتها الدولية فى ضوئها لاستطاعت أن تكسب لبلادها مقاما دوليا مرموقا ، وأن تحمل دول الغرب على احترام سيادتها وحريتها واستقلالها .

ولدبلوماسية الإمام فى التعامل مع الغربيين أمثلة عديدة يضيق المقام عن حصرها ، وهى فى مجموعها تنبيء عن ذكاء خارق ، وألمعية بارعة ، وكياسة لبقة ، وقد شهدت اجتماعات صحفية كثيرة عقدها الإمام مع كبار الصحفيين الأجانب ، ورأيت كيف استطاعت دبلوماسية الفقيد أن تحول فى لحظات قصيرة أعدى أعدائه من هؤلاء الصحفيين الأجانب إلى أصدقاء معجبين ، وكثيرا ما كان يتحول الصحفى من هؤلاء من سائل إلى مسئول عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والتشريعية فى بلده ، فكانت اجتماعات الإمام الصحفية أشبه بمناظرات أو مقارنات بين المبادىء الإسلامية ومثل الغرب ، وكان الفوز دائما فى كفة الحق أو كفة الإمام .

وإن أنسى لا أنسى حديثا جرى بين الإمام الفقيد وصحفى انجليزى كبير فى آخر مؤتمر صحفى سجلت فيه عبقريته الدبلوماسية ، حيث سأله الصحفى عن موقف الإخوان من روسيا ، وكان يعلق أملا كبيرا على إجابة الإمام كزعيم دينى إسلامى ، ولكن الفقيد الكريم خيب ظنه وأحبط محاولته إذ قال على الفور :

— « إن روسيا فى نظرنا فكرة ودولة ، أما إنها فكرة فلدينا من مثلنا وتقاليدنا الإسلامية ما يغنينا عن تقبل أية فكرة أجنبيه ، وأما أنها دولة فشأنها شأن سائر الدول الأجنبية سواء بسواء مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها ، تقوم علاقاتنا معها على مدى ما تبديه نحونا من استعداد للتعاون وحسن النية » .

وهكذا أسقط فى يد الصحفى الانجليزى الذى صارحنى برأيه قائلا إنه لن يبرق بهذا الحديث لصحيفته لأنه جاء مناقضا لما كان يتوقعه من موقف الإخوان إزاء روسيا على أساس أنها دولة يناقض مذهبها مبادىء الإخوان ..

ألا رحم الله الإمام الشهيد وجزاه بقدر ما أسدى للعروبة والإسلام من خدمات خالدة .

عمر عزمى

مجلة الدعوة

العدد الثالث — السنة الأولى

١٣ فبراير ١٩٥١م

من سير الرجال .. حسن البنا رحمه الله

للدكتور حسان حتحوت

مجلة الأمة القطرية عدد ٥٥ رجب ١٤٠٥

كنت أطالع منذ أسابيع مجلة « وول ستريت جورنال » فاستوقف بصرى مقال عنوانه : « استراتيجية لاحتواء حرب الإسلام المقدسة » . يعقب فيه كاتبه « ألموس برلميوتر » على الملامح العنيفة الجديدة التى بدت فى لبنان ومنها نسف السفارة الأمريكية ، ويحاول أن يقنع الرأى العام الأمريكى والحكومة الأمريكية أن الأمر أوسع من أن يكون معركة محلية فى جنوبى لبنان تخوضها طائفة شيعية محدودة ، وإنما هى هجمة إسلامية عامة على الغرب والنصرانية والرأسمالية والصهيونية والشيوعية كلها فى آن واحد ، ويستشهد بقول ينسبه إلى حسن البنا « والد التطرف ومؤسسه » كما يسميه ، يقول فيه : إن الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية كلها إفراز عرق واحد هو النصرانية .

ولم أشعر فى كلام الرجل بجديد مفاجىء بالنسبة لما أطالعه فى الصحافة الغربية ، ولكن الذى لفت نظرى هو أن يزج باسم « حسن البنا » فى هذا المقال الذى استعدى فيه الحكومة الأمريكية وطالبها بأن تستعدى كذلك الحكومات العربية والإسلامية التى تربطها بها الصداقة أو المعونة على عزل العناصر الإسلامية واستئصالها ، مؤكداً أن ذلك له الأفضلية فى سياسة أمريكا على صراعها المزمن ضد الشيوعية .

* الدكتور حسان حتحوت طبيب بشرى من جيل الإخوان فى الخمسينيات هاجر من مصر إلى الكويت ، ويقيم بها حتى الآن .

شاعر إسلامى مجيد ، وله كتابات فى العديد من المجلات ، وله عدة مؤلفات .

ذكرى ووفاء

ولما كان « حسن البنا » قد فارق الدنيا منذ ست وثلاثين سنة قتيلاً – نرجو له رتبة الشهداء – إذ قتلته الحكومة القائمة آنذاك داخل سيارة تاكسى فى القاهرة ، ولما كان الإعلام المحلى والعالمى – تؤازرهما قوى رسمية بالغة البطش والتنكيل – قد خططا بدهاء ومكر لتشويه صورة الرجل وصورة الدعوة التى وقف لها حياته ، ولما كان الجيل الجديد – لذلك – لا يكاد يعرف عن الرجل شيئاً إلَّا من المصادر الكارهة له ، ولما كان الجيل الذى عاصره ويعى فى ذاكرته تلك المرحلة من التاريخ جيلاً شرع الموت يَنْقُصُهُ من أطرافه فما يلبث أن يرحل ، ولما كنت خلال دراستى فى الجامعة قد تهيأ لى أن أعرف الرجل معرفة دراية ودراسة وتمحيص ، فقد وقر فى ذهنى أننى أؤدى أمانة وشهادة إن عرضت لمحات من سيرة الرجل تدل على شخصيته ولو فى هذه الصفحات القلائل ، فإن اتفق أن وجد فيها شبابنا شيئاً مفيداً فلا أطمع فوق ذلك فى شىء .

بداية دعوته

نشأ « حسن البنا » فى حجر الإسلام ، فحمل اسمه وحمل همه جميعاً ، واتخذ قراره أن تكون حياته لله . فلما تخرَّج من دار العلوم عيّن مدرساً بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية .. فماذا وجد فى الإسماعيلية ؟

وجد لوناً من التطرف الدينى يتكتل فيه الناس خلف زعامات متنافرة متقاتلة ، ويسود بينهم فسادُ ذات البين على موضوعات لا يخدم الخوض فيها الإسلام بشىء بل يفرق شمل المسلمين فى غير طائل .. كان من الأسئلة المطروحة

مثلاً سؤال : « أين أبو النبى .. فى الجنة أم فى النار ؟ » . يتناوله المتحمسون من الجانبين فيتبادلون فيه السباب والاتهام .. وانغلق المتدينون على هذه الخلافات فاحتار ما يفعل ؟ فهداه ذكاؤه إلى طريقة مبتكرة .. اختار أكثر المقاهى ازدحاماً فى الحى الوطنى من المدينة حتى إذا امتلأ فى المساء نادى على الزبائن ليستمعوا له فحدَّثهم حديثاً إسلامياً شائقاً فى دقائق معدودة ، وهكذا كل يوم حتى ذاع صيته فى الناس وازدحموا فى المقهى كل يوم لسماعه ، ورحب صاحب المقهى بذلك فأعدَّ له منصة يلقى من فوقها موعظته اليومية .. حتى جاء يوم فأطال الحديث ، وتناول قطعة من الجمر المشتعل المعد لتدخين « الأرجيلة » قذف به على الناس فانزعجوا وتفرقوا ، فإذا به يذكرهم بعذاب الآخرة ومسؤولية الإنسان عما قدمت يداه فى دنياه .. حدثهم ساعتين فكأن على رؤوسهم الطير ، ثم انصرف وتركهم ساهمين واجمين ، إلَّا ستة منهم تبعوه فى طريقه لبيته ، وقالوا مسؤوليتنا فى رقبتك فقد أيقظت فينا شعوراً لن يخمد من بعد ولسنا كما ترى فى مثل علمك . كانت هذه هى المجموعة الأولى التى سمت نفسها « الإخوان المسلمين » ، والتى أصلحت بأيديها مصلى خرباً مهجوراً ليكون مقرها للتعلم والعبادة ، وازداد الإخوان حتى سمع بهم الزعماء الدينيون فحضروا ذات مساء وبريق المعركة فى أعينهم ، وبدأ حسن البنَّا درسه بتلقى الأسئلة فكان السؤال العتيد عن مكان والد النبى ﷺ من الجنَّة أو النار ، فإذا الرجل يلقى درساً مستفيضاً عن الإسلام وما هو وما هى هموم المسلم واهتماماته خاصة فى تلك الفترة التى علا فيها البلد صوت الإلحاد ، خاصة فى مدينة الإسماعيلية التى قامت فيها شركة قناة السويس دولة داخل الدولة وصرحاً استعمارياً ينهب خيرات مصر التى حفرت القناة بألوف الأرواح من أبنائها .. وللمرة الأولى تنفتح أعين تلك الجماهير على حقيقة رسالة الإسلام وعلى شمولها .. ودبت فى الإسماعيلية روح جديدة ، وتعامل الناس بمحبة تذكر بأخوة المؤمنين فى صدر الإسلام ، ولا يتسع المقام لسرد الأمثلة ومنها أمثلة فى غاية الروعة .

ولم يمض وقت كبير حتى كانت منطقة البغايا فى المدينة قد اشتريت (وكان البغاء وقتئذ مصرحاً به رسمياً) وهدمت وقامت مكانها دار الإخوان مزودة بمدرسة ومشغل للسيدات وتابت الخاطئات وتزوجن جميعاً .. أما شركة

القناة فقد اكتشفت الأمر عن طريق ما لمسته فى أخلاق عمالها وما جدَّ عليهم من عزّة واستقامة وإباء . وأدركت الخطر الكامن فحاولت أن تعالجه بالمال ولكن هيهات ، فلم يكن أمامها إلَّا أن تضغط على الحكومة ، فيصدر الأمر بنقل « حسن البنا » من الإسماعيلية فى أقصى الوجه القبلى إلى « قنا » إلى أقصى الصعيد .

تهمة التعصب

فماذا عن « قنا » ؟ البداية حفل كبير زاخر على رأسه علماء المسلمين وقسس الأقباط .. ومحبة ونشاط وإخاء يسرى كمسرى الكهرباء ، وتنبت الشُّعَبُ فى ربوع المنطقة حتى تبلغ الخمسين فإذا الحكومة تدرك مغبَّة الرجل فى منفاه فتنقله إلى القاهرة حيث يفتتح المركز العام ولا يبرد للرجل عزم أو تفتر له همَّة .

وعلى ذكر قسس الأقباط فإن الكثيرين يحاولون أن يلصقوا بالرجل ودعوته تهمة التعصب ضد النصارى أو التفرقة بين عنصرى الأمة ، ويشهد الله ومن حضر من الصادقين أن العكس هو الصحيح .. فلم يكن الرجل داعية بغض ولا تفرقة ، وكان يبرهن أن الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تكون للأقباط لأنها ستطبق علينا وعليهم على السواء ، وأنها لا تصادر على الإطلاق نصرانية النصرانى فإنما هى مجموعة من القوانين لا يوجد فى النصرانية بديل لها ، ولا نقيض لأحكامها ، وأنه لو وجدت فى الإنجيل قوانين فلتسر قوانين الإنجيل على النصارى ولا يجد الإسلام غضاضة فى ذلك ، وأنه ما دام رأى الأغلبية لا يتنافى مع دين الأقلية فليس هناك ظالم ولا مظلوم .

وقد وجدت دعوة الرجل صداها وتصديقها لدى ذوى الفهم من المسلمين والأقباط .. ويكفى أن أذكر الذين يزعمون أن الرجل كان عدو النصارى بأن الأستاذ « لويس فانوس » من زعماء الأقباط – وهو فى ذمة ربه الآن – كان من الزبائن المستديمين لدرس الثلاثاء الذى يلقيه « حسن البنا » وكانت بينهما صداقة وطيدة ، وأن « حسن البنا » عندما تقدم مرشحاً لانتخابات

« البرلمان » كان وكيله الذى يمثله فى مقر إحدى اللجان الانتخابية رجلاً قبطياً ، وأن حسن البنا لما اغتيل ومنعت الحكومة أن يشيع فى جنازة ، لم يمش وراء نعشه إلّا رجلان هما والده ومكرم عبيد الزعيم السياسى النصرانى ، وأذكر أننا كنا ونحن طلاب نزور جمعيات الشباب المسيحية لنتحدث عن موقف الإسلام من النصرانية فنخرج وقد شعرنا أنهم أقرب الناس مودة ، وأذكر بالذات مقالاً لى نشرته فى صحيفة الإخوان وجعلت عنوانه « أخى جرجس » ، ورد عليه القمص « سرجيوس » فى الصحيفة آنذاك محيياً ومثنياً .

نقاتل الناس بالحبّ

لعلَّ مما يزعجنا الآن أن نلحظ أن بعض المتصدرين للدعوة للإسلام عصبيون لم يهضموا بعد أدب الاختلاف ، ويضيقون صدراً بالرأى المخالف مسبغين عليه التقريع بل السباب بل التكفير أحياناً فى غير كفر – والعياذ بالله – وأضرب مثلاً مقابلاً حين جاء إلى الأستاذ « البنا » أحد زملائه خريجى دار العلوم هو الأستاذ « س. سعد » ، وهو من أروع الناس وأتقاهم ولكنه غضب كل الغضب لأن الإخوان قد أنشأت فرقاً للجوالة والكشافة (تلبس البنطلون القصير) .. قال الأستاذ « س. سعد » : « يا حسن أفندى» فأجاب « نعم سيدى » . قال : « إنى أكرهك » ، فابتسم حسن البنا وقال فى هدوء وبشاشة : « وإنى والله أحبُّك » . فقال الرجل : « ولكنى أكرهك فى الله » ، وبالبشاشة نفسها والهدوء أجاب حسن البنا مخلصاً « هذا يزيدنى حباً فيك » . ولم يكن ذلك مصانعة وإنما كان الرجل يقتات على المحبة .. وكان من الاصطلاحات الشائعة جداً على ألسنة اتباعه « المهم : الحب فى الله » .. وكان يردد فى دروسه « سنقاتل الناس بالحب » بل كانت البيعة التى صاغها لهم أن يعاهدوا الله على « الاستقامة ، والمحبة ، والثبات على الدعوة » . كان يرى تعدد الآراء إثراءً لأى مجتمع ، وكان يضرب المثل بكبار الصحابة من حول الرسول ﷺ يكون لأبى بكر رأى ولعمر رأى ولعلى رأى دون أن يؤدى الاختلاف إلى تلك الحالقة التى تحلق الدين لا الشعر ، ومن تعاليم الأستاذ « البنّا » التى طالما رددها بلا ملل قولته المشهورة

التى لا تزال حية إلى اليوم « ننفذ معاً ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » ، ولا نزال إلى الآن أفراداً وجماعات ودولاً فى حاجة لهذا الهدى .
وكان فى الأربعينيات عضواً نشطاً فى جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية من سنة وشيعة ، مؤمناً بأن الأرضية الإسلامية المشتركة تتسع بل تحتاج لتضافر الجهود كلها ويبقى كل على معتقده ، وها نحن هؤلاء اليوم نكاد نعيش حالة أشبه بانشطار الذرة ، نفترق على الفروع قبل أن نلتقى على الأصول ، وتصرفنا مسائل المظاهر والكماليات عن التنبه لخطط تدبر لاستئصال شأفة الإسلام من الأرض لم يعد أمرها سراً ولا إشاعة ، ونلتقط فى شغف ونهم هذه الطعوم التى تلقى بها فى طريقنا أجهزة مخابرات دائبة على تشجيع كل جهد مقروء أو مسموع مخلص أو غير مخلص يكون من ورائه أن يظل بأس المسلمين بينهم وألَّا يكونوا يداً على من عداهم .

أسلوبه فى الدعوة

منذ عرفت الأستاذ « حسن البنَّا » لم أعرف رجلاً مثله .. وإن كنت أعرف الكثيرين من أفاضل الرجال الذين تفصح أخلاقهم الكريمة وإخلاصهم وحسن شمائلهم عن أنهم قبس من أخلاقه وأثر لتربيته .

كان يتحدث وأمامه الألوف ، فيهم حامل « الدكتوراه » وفيهم فلاح الحقل فكل يفهم وكل يقتنع وكل يستمتع وكل يتمنى ألَّا يفرغ الأستاذ من درسه ولو استمر ساعات . كل هذا والرجل على طبيعته ، فهو لا ترتفع حرارته بحماس الخطباء ، ولا تلتوى قسمات وجهه ونبرات صوته كما يفعل بعض الوعاظ وكأنهم إلى المطربين أقرب ، ولا يتخذ هذا السمت الاستعلائى الذى يشعر جمهوره بأنه العالم الكبير الخطير الذى ينهمل مطر علمه ليحيى فيهم الموات ويبل الجفاف ، وفى غير كبر ولا غرور كان الرجل يفتح فى سهولة ويسر مغاليق العقول والقلوب ويحفز مستمعيه لا إلى الطرب ولكن إلى العمل ..

التربية من خلال التعامل

لأول مرة نرى جدالاً بين بائع ومشتر لأن المشترى مصرّ أن يدفع أكثر (كما يشترى من الدكاكين الأخرى) والبائع يريد أن يأخذ أقل (لأن البضاعة بضاعته وهو حر فيما يقدره لنفسه من ربح) ، وتضاء القرى المظلمة بقناديل تتناوب البيوت تعميرها بالزيت (ولو وضعنا اليوم قناديل لسرقها أصحاب النصيب) ، وتنتشر فى البلاد المستوصفات التى تستأدى من المريض قروشا ويتناوب العمل فيها أطباء كبار وأساتذة يتبرعون بحصة من وقتهم ، وتقام الشركات الصناعية وعمالها من حملة الأسهم فيها فلهم صالح مادى فى نجاحها بجانب الوازع الأخلاقى ، ويبيع العامل الفقير دراجته التى يذهب عليها لعمله فيمشى ساعات كل يوم ويتبرع بثمن الدراجة من أجل الدار (وعندما يكتشف إخوانه الأمر يشترون له دراجة) ، وينتصر الإيمان على الإلحاد فى الجامعة والمجتمع ، بعد أن كان من يصلى فى الجامعة يتخذ من دون الناس حجاباً أو ينتحى مكاناً قصياً ، وتقوم فصول محو الأمية بالعمل التطوعى ، ويمر الشباب بالأمور الصغيرة مرور الكرام (حاضرنا مرة حسن البنَّا فى كلية الطب فسأله طالب خفيف الدم : السينما حلال أم حرام .. وببساطة أجاب الرجل : السينما الحلال حلال والسينما الحرام حرام ، ثم تابع حديثه فى ما هو أهم من ذلك من أمور) .

ولأول مرة يدرك الشباب أن إجلاء المستعمر عن مصر فريضة دينية ، وأن مقاومة الصهيونية التى استهدفت فلسطين فريضة إسلامية . وشتان بين عهد لم يكن بين المصريين من يعرف شيئاً عن فلسطين إلا الأقلون ، وبين عهد تالٍ عرف الناس فيه مدى ما يراد بهم وبالإسلام .

أما مسألة فلسطين فلها بُعْدٌ آخر .. لأنها كانت السبب المباشر فى إصدار حكم الإعدام على جماعة الإخوان . فلقد ذكرنا آنفاً أن « شركة قناة السويس » قد انتبهت فى وقت مبكر إلى آثار « حسن البنَّا » ..

جهاد بالسياسة والقتال

ويمر أكثر من عقد من الزمان ويتقدم « حسن البنّا » للترشيح لمجلس النواب (المرة الأولى) فيستدعيه رئيس الوزراء – مصطفى النحاس – ويسأله فى دهشة : « إنت مين يا بنى وازّاى معرفكش .. أنت مين اللّى الانجليزى بيقولوا دا ميدخلش مجلس النواب حتى لو استدعى الأمر إن ما يكونش فيه مجلس نواب ؟! » .

وكانت الحرب العالمية على أشدها والجيوش البريطانية تملأ مصر ، ورأى « حسن البنا » أن يستجيب للنحاس باشا حين طلب ألّا يحرجه مع الإنجليز ... أما الطامة الكبرى فكانت فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م – وكانت جماعة الإخوان قد أرسلت متطوعيها إلى هناك – فالطريقة التى حاربوا بها بينت أن العقيدة الإسلامية قادرة على تحويل البشر من صنف إلى صنف مختلف . كان الجيش يهاجم الموقع مرات بلا جدوى رغم دعم الطيران والمدفعية ، ولكن الأمر مختلف مع متطوعى الإخوان .. وأذكر مرة أمراً يومياً للواء « المواوى » القائد العام المصرى فى فلسطين ، قرأته بنفسى فى جريدة الأهرام : فحواه أن الجيش هاجم موقعاً عدة مرات بلا نتيجة ، ولكن كتيبة من الإخوان قوامها أربعون رجلاً احتلت الموقع ، وقررت القيادة تسمية الموقع « تبة الإخوان المسلمين » .. فماذا لو تحول المصريون إلى هذا الأنموذج ؟! كان رأى الملك والحكومة والأحزاب والمستعمر رأياً واحداً فى هذا الأمر .. وهو كذلك رأى الصهيونية وأصدقائها ، ويقابل السفراء الثلاثة (انجلترا وفرنسا وأمريكا) الملك بطلبهم وتحل الإخوان ويعود المتطوعون مقبوضاً عليهم وبزيهم العسكرى إلى معتقلات « الهَاكِسْتِب » و « الطور » .. وتلاحق تلك اللعنة الإخوان ولا تزال ، وستظل كذلك طالما ظل هناك من يخشى الإسلام ويحذره من المسلمين أو من غير المسلمين .

هفوات وأخطاء تيسقطها العدو

طالما فكرت فى خط سير التاريخ ، وطالما تمنيت لو اجتنبت الإخوان أموراً فعلتها أو فعلت أموراً اجتنبتها (ولا أرى من الإخلاص أو الكفاءة أن ينغلق الناس على مواقفهم فلا يرون عيوبهم وبهذا يمهدون لأنفسهم أو لغيرهم الوقوع فيها مرة أخرى) .. ولكننى كنت دائماً أسائل نفسى : هل لو تغير السلوك كانت النتيجة ستتغير ؟! فأرانى مقتنعاً أن « لا » ولو لم تحدث تلك الظروف لاختلفت ظروف غيرها لتكون ذريعة إلى النتيجة نفسها .

أزمة المحبة

إننى إذ أُطَوِّفُ ببعض ذكريات الماضى لا أفعل ذلك من منطلق التعصب للرجل ولا للجماعة .. ولكننى أحْرِصُ على المستقبل منى على الحرص على الماضى . وتعنينى فى المستقبل الإنسانية كلها ، وأكاد أحصر أزمات بلادنا فقيرة وغنية وأزمات البلاد الأخرى متقدمة أو متخلفة ويمينية أو يسارية فى أسباب جذرية ألخصها فى الانصراف عن الهدى الإلهى وفى أزمة المحبة بين الإنسان والإنسان بل بين المواطن والمواطن .

و« حسن البنَّا » كما عرفته عاش داعية للإسلام وداعية للمحبة . أما محبة الناس له فلم أجد لها نظيراً مدى ما عشت من سنوات ، ولست بالناسى ولا المستثنى .. وأما قدرته هو على المحبة فأمثلتها لا تحصى ، بحسبى أن أذكر منها واحداً حين ضُرب بالرصاص هو وصهره الأستاذ عبد الكريم منصور فى سيارة « التاكسى » .. ورغم أنه كان المصاب بالإصابة البليغة والقاتلة فما كان يفوته أبداً كلما اقترب منه المسعفون أو الأطباء إلَّا أن يصرفهم قائلاً : « شوفوا الأستاذ عبد الكريم » وفى مثل هذا الموقف العصيب محك صادق للمحبة والإيثار .

إن سيرة الأستاذ « البنَّا » أجدر بكتاب منها بمقال .. ولكنه جهد المقل ، وحق الشباب أن يسمعوا برجل ضرب الإعلام عليه نطاقاً من التعتيم لا يكاد ينفرج إلَّا لمزيد من الدس والتسميم والتشويه . عليه رحمة الله ورضوانه .

حسن البنا كما عرفته

بقلم الدكتور الطاهر أحمد مكي ★

لم أكن أدرك يوم رأيته للمرة الأولى فى قرية نائية من قرى مركز إسنا ، محافظة قنا ، فى أعلى الصعيد ، تسكنها قبائل عرب المطاعنة التى أنتمى إليها ، شيئاً مهماً عن السياسة والكفاح ومساوىء الاستعمار والاحتلال الإنجليزى وجبروته ، والهجمة الشرسة على الإسلام ديناً ، فى القاهرة والمدن الكبرى ، وحبائل جمعيات التبشير ، وأجهزة الإعلام الأجنبية ، وفيض الكتب والنشرات التى توزعها مؤسسات تتخفى وراء العلاج والتعليم ، وتوزع مع العلم والصحة الإلحاد والزيغ ، وفتنة المسلمين عن دينهم .

ولكنى أيضاً ، لم أكن بعيداً عن ذلك ، فقد كنت من نابهى الأطفال الذين يترددون على كتاب القرية ، والمدرسة الإلزامية ، وموقوفاً عليهما ، لا عمل لى غير القراءة والمذاكرة وحفظ القرآن الكريم ، على حين أن جل لداتى يساعدون أهليهم فى الزراعة ، ومتطلبات العيش ، وكان على فى لحظات الفراغ أن أقرأ للناس ، وهم أميون فى جملتهم ، صحيفة الأهرام ، الجريدة الوحيدة التى تبلغ القرية ، اشتراكاً يتقاسمه ضابط النقطة ، وعمدة القرية ، وخال لى ، وكنت أعى بعض ما أقرأ من أسماء الوزراء والأحداث على الأقل ، وأفهم قدراً يسيراً من التعليقات ، وقليلا جداً من المقالات ، أما الجانب الأكبر فكنت أراه طلاسم

★ الدكتور الطاهر مكي أستاذ الأدب الأندلسى بكلية دار العلوم له العديد من الدراسات والأبحاث المنشورة والمحققة والعجيب أنه يعمل الآن رئيسا لتحرير مجلة « أدب ونقد » التى يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .

لا تعنى شيئاً ، ولا زلت أذكر حتى الساعة مقالا كبيراً ، فى الصفحة المخصصة للأدب والثقافة ، عن « التشاؤم والتفاؤل » رحت أقرؤه مرة ومرة ، فلم أفهم شيئاً مما يقول .

فى تلك الأيام سمعت أن حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين حل ضيفاً على ديوان عائلتى فى كيمان المطاعنة ، على بعد كيلومترات من محل إقامتى ، وفيها كان يسكن والدى أيضاً ، فشددت رحيلى إليها ، مأخوذاً برؤية شخصية قادمة من القاهرة ، يظهر اسمها فى الصحف بين حين وآخر ، ويكتب المقال الافتتاحى فى مجلة « النذير » وكانت تقع فى يدى أحياناً ، يجلبها خالى حين يذهب إلى السوق فى المدينة .

كان ذلك فى أواخر شهر أغسطس من عام ١٩٣٨ .

بدأت أتأمله من على بعد أولا ، ومن قريب فيما بعد ، هذا الضيف الوافد ، يرتدى ملابس بيضاء فضفاضة ، بسيطة ونظيفة ، ويلف فوق طربوشه شاشاً ، معتدل القامة والبنية ، أبيض مشرباً بحمرة ، مرسل اللحية ، نافذ البصر والبصيرة ، يتحرك وسط جموع الريفيين البسطاء كأنه هالة من نور ، وهم حوله فرحون به ، يعرف كيف يملك قلوب المئات الذين توافدوا من النجوع التى حول القرية ، بعضهم طلاب فى الأزهر ، والغالبية فلاحون ، جاءوا مدعوين ، أو ليسلموا عليه ، أو مستطلعين .

كيف يمضى يومه ؟

أمضى حسن البنا وقتها فى كيمان المطاعنة ليلة ويومين ، زار فيها كل دواوين بطون العائلة فى القرية ، حتى أولئك الذين كانوا على خلاف مع أهلنا ، أو الذين يرتبطون بأحزاب سياسية لا تتعاطف مع الإخوان المسلمين ، وفى زيارته يصلح بين المتخاصمين ، ويجمع الناس على كلمة خير ، يفعل ذلك فى الصباح على امتداده بعد إفطار بسيط ، رغم وفرة ما يقدم وتنوعه ، فإذا انتصف النهار صلى بالناس الظهر فى المسجد ، وأمهم فى الصلاة ، وبعدها يتناول الغداء على بسط مفروشة على الطريقة العربية وجموع المدعوين على شرفه ، فإذا انتهى الطعام

أرسل شكره فى دعاء طيب ، لا أزال أذكر لفظه ، ويرن صداه فى أذنى كأنه قيل بالأمس ، فى لغة نقية رصينة ، وامتنان صادق مؤثر : « أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم ملائكة الرحمن ، وذكركم الله فيمن عنده » .

وبعد الغداء يستريح قليلا من وهج حر الظهيرة ، حيث الشمس شديدة والحر قوى فى أعلى صعيد مصر ، حتى إذا حانت صلاة العصر أم الناس فى مسجد القرية ، وكان يومها متواضعاً ، مفروشاً بالحصر ، تعلوها طبقة خفيفة من التراب ، وتطوقه الشمس من كل جهاته ، ومع ذلك لم يضق بشى من هذا ، وما ضجر ولا تأفف ، وإنما ظل فيه بعد الصلاة يلقى حديثاً دينيا استهله بحديث : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتابه ، ويتدارسون آياته ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة .. » ثم يمضى يفسر بعضاً من آى القرآن ، ويربطها بواقع الناس ، ولا أذكر الآن من تفاصيل الحديث شيئاً ، وإن بقيت الصورة حية متوهجة فى عقلى وقلبى .

فإذا جن الليل بعد رحلة مرهقة بين دواوين بطون القبيلة المختلفة ، وآوى الناس إلى مضاجعهم ، انفرد هو بنفسه ، فى صمت ومن غير ضجيج ، يقرأ ورده ، ويؤدى ما اعتاد من صلواته .

كان له رفيق فى هذه الرحلة « أ . ح » ، وكان يومها شاباً فارعاً ، فى مقتبل العمر ، موفور الجسد ، قوى البنيان ، تخرج فى الأزهر حديثاً ، يرتدى الزى الأزهرى كاملا ، عمامة وقفطاناً وكاكولة ، وأذكر واعياً أن الناس لم يرتاحوا إليه ، رأوا فى حركاته تصنعاً وافتعالا ، وفى حديثه عجباً وخيلاء ، وكلها فيما يرون أشياء لا تليق بالعلماء ، ولا تعكس ملامح وجهه شيئاً من نور الصالحين وتقاهم ، وبدا لهم كأنه يطل عليهم من عل ، فتركوه فرداً ضائعاً فى ضجيج المتزاحمين حول البنا ، وإن أعطوه حق الضيافة كاملا .

ومن كيمان المطاعنة إلى أصفون المطاعنة ، حل ضيفاً على عائلة فراج طايع ، وكان عميدها قد أمضى أعواماً يدرس فى الأزهر ، دون أن ينال شهادة ما ، على عادة الناس فى تلك الأيام ، وأصبح عضواً فى مجلس الشيوخ عن الدائرة ، بعد أن عهد إلى الشيخ محمد الأمير أن يقيم شعبة للإخوان

فى القرية ، وكان هذا أيضاً قد درس عامين فى الأزهر ، ولم يكمل دراسته ، لأسباب خارجة عن إرادته ، واستعاض عن حرمانه هذا بأن أخذ على عاتقه تبعة حث الناس فى القرية على تعليم أبنائهم بإرسالهم إلى المدارس والمعاهد والكليات فى القاهرة ، ويصحبهم أحياناً بنفسه ، على ما فى ذلك من جهد ومشقة ، وصدق فى جهده .

جولة فى الصعيد

وفى العام التالى ، فى شهر سبتمبر ١٩٣٩ ، جاء حسن البنا فى رحلة ثانية ، شملت الصعيد كله فى هذه المرة ، جاء يؤكد صلته بالناس ، ويدعم شعب الإخوان التى أقيمت ، وإذ توثقت علاقته بأهلى وقومى ، حاول أن يحل مشكلاتهم الاقتصادية والعائلية ، وأن يوجههم نحو الخير ، وأن يصرفهم عن بعض ما يقومون به من عادات ، يسمع بها ولم يرها ، كالثأر والتشاحن والعصبية القبلية ، وكان احتفاء الناس به كبيراً فى هذه المرة وقوبل بإطلاق البنادق فى الهواء زيادة فى التكريم .

فى هذه المرة رأيته عن قرب أكثر ، فقد كبرت عاماً ، وازداد اهتمامى بمعرفته ، ولم يغير هو شيئاً فى برنامجه ، أو عبادته ، أو ملابسه ، غير أنه صحب شاباً أزهريا آخر ، ولا زلت أذكر اسمه ، رغم أننى لم أره بعد هذه المرة أبداً ، هو الشيخ عبدالمعز عبدالستار ، وكان طالباً فى كلية أصول الدين يومها فيما يقال ، وقد أحبه الناس بقريب مما أحبوا البنا ، فقد كان متواضعاً وقوراً ، يشيع الصلاح من وجهه ، « يغضى حياء ، ويغضى من مهابته » وكان البنا وصاحبه قد قدما إلينا فى هذه المرة من أصفون المطاعنة ، فلما أنهيا إقامتهما غادرانا إلى إسنا ، ليواصلا رحلتهما فى بقية مدن أعلى الصعيد .

فى العاصمة قنا

فى العام التالى ذهبت إلى قنا عاصمة المديرية ، تلميذاً فى معهدها الابتدائى ، وكانت مدينة منطفئة ، تبذل جهداً لكى تحصل فيها على صحيفة أو كتاب ، وأمضيت عامى الأول صبيا غراً ، أسكن أطرافها ، دون أن أهبطها لغير السينما ليلة الجمعة من كل أسبوع ، فلم أعرف خلال عامى هذا من الحياة العامة فيها شيئاً . حتى إذا كان عامى التالى اتخذت سكنى فى شارعها الرئيسى وبدأت أتعرف على نواحى النشاط فيها فكنت أتردد من حين إلى آخر على جمعية الشبان المسلمين التى قصرت نشاطها على بعض المهرجانات الدينية ، فى المواسم المعتادة ، مثل رأس السنة الهجرية ، والمولد النبوى ، وغزوة بدر ، وشىء من النشاط الرياضى ، وفى تلك الأيام كان الناس يتخذون من المناسبات الدينية وسيلة لتغذية الشعور العام ، وإيقاظ روح الوطنية والنضال ، ضد المستعمر ، دون أن يستطيع منعهم أو التصدى لهم ، ويحضر مثل هذه الاحتفالات كبار الموظفين عادة ، وتلقى فيها خطبة رئيسية تعرض لتاريخ المناسبة ، وتحاول استخراج العظة ، وتحث المسلمين على استرداد مجدهم ، تتلوها قصائد يلقيها شعراء من أهل الإقليم عادة ، متوسطة الجودة فى خيرها ، تناجى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتبكى المجد الذاهب ، وتأسى على الماضى المفقود وتأمل فى غد أفضل حالا .

وكان المعهد الدينى يقيم بدوره حفلا فخيما ، ويتميز بأن المدير نفسه ، وهو ما يعدل وظيفة المحافظ الآن ، يحضره بشخصه ، يصل برفقة شيخ المعهد ، ويسبقه هذا فى خطوه بوصفه رجل دين ، رغم أنه مرؤوس له بوصفه موظفاً طبقاً للوائح والقوانين ، وهو اعتداد كان الأزهر يومها يدين به لشيخه العظيم محمد مصطفى المراغى ، إذ كان من أحرص الناس على كرامته عالماً ، وكرامة الهيئة التى يرأسها شيخاً ، ولم يحن رأسه لحظة واحدة أمام أى مخلوق .

ولكن قنا الهادئة ، تحولت عام ١٩٤٠ إلى مدينة صاخبة تضج بالحركة والجند والسلاح والسيارات والمصفحات ، جنود من كل جنس ولون ، جاءوا

من شتى أطراف الدنيا ، من بريطانيا ، والهند ، ودول أفريقية واستراليا وأوروبا ، وألوف من العمال المصريين معهم ، يتلقون أجوراً عالية ، ويعملون فى مد خطوط السكك الحديدية والكهرباء والماء بين قنا والقصير على البحر الأحمر ، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية قبل ذلك بعام ، وعانى الإنجليز هزائم مريرة فى شمال مصر على الحدود الليبية ، وحصاراً عنيفاً فى البحر الأبيض المتوسط ، إذ سيطرت عليه الغواصات الألمانية والإيطالية ، فأرادوا أن يتلقوا إمداداتهم عن طريق البحر الأحمر ، وهو أكثر أمنا لهم ، ويتيح لهم الانسحاب بخسائر أقل فى حالة الهزيمة الكاملة .

وجاء الجنود معهم بكل الأمراض : الجريمة والسوق السوداء ، والسرقات ، وأزمة الإسكان ، والتضخم ، وقلة المواد التموينية ، والملاريا .

فى تلك الأيام أحسست ، وأنا على أبواب الشباب ، أن جمعية الشبان المسلمين مكان طيب لقضاء الوقت ، والتدرب على الخطابة ، ولكنها بلا غايات سياسة واضحة وصريحة ، وأن تحرير الوطن لن يجىء عن طريقها . وكان منظر الجنود الأعاجم من كل الجنسيات والألوان سكارى فى آخر الليل يثيرنا ، ويلهب فى أعماقنا الحماسة والتمرد ، ويدفعنا إلى الاصطدام بهم دفعاً .

وساقتنى قدماى صدفة إلى شعبة الإخوان المسلمين ، وكانت تشغل الدور الأرضى من عمارة فى ميدان المديرية ، وهو الرئيسى فى المدينة ، وتطل عليه مباشرة ، وتتكون من قاعة معدة للمحاضرات تتحول إلى مصلى فى أوقات الصلاة ، ومكتبا ، وغرفة ثالثة ، إلى جانب المرافق . وانضممت إليها فى الحال وفى ذاكرتى صورة هذا الرجل العبقرى الذى رأيته فى ديواننا منذ عامين .

كان نشاط الإخوان المسلمين متنوعاً ، يشمل المحاضرات والدروس والتدريب على الخطابة ، والرحلات وكل ضروب التعاون على الخير ، والمنضمون إليها من المدرسين فى الثانوية والمعلمين ومن صغار الموظفين فى جملتهم ، وبعض طلاب المعهد الدينى ، أما أساتذة المعهد فآثروا أن يظلوا على الحياد وأن يقنعوا بالوعظ والخطابة فى جمعية الشبان المسلمين .

وفى ٢٠ مايو ١٩٤١ أصدر حسين سرى رئيس الوزراء قراراً بنقل حسن البنا من مدرسة عباس الأول الابتدائية بالقاهرة إلى مدرسة قنا الابتدائية ، وكان ذلك مع نهاية العام الدراسى ، ولعله جاء ليتسلم العمل فقط ، ثم سافر ثانية ، لأننى لم أره فى هذا العام ، فقد كنت مشغولا بامتحاناتى أيضاً ، أما فى العام التالى ، وجاء مع بدئه ، فقد كنت إلى جوار البنا جل وقتى .

البنا معلماً

كان البنا نموذجاً فى دقته ، موظفاً على ذكاء شديد ، وقدرة فائقة فى تحويل المواقف لصالحه ، وحين جاءت الأوامر السرية لناظر المدرسة بأن يرهقه بالعمل ، فيوكل إليه أقصى قدر من الساعات ، والمدارس يومها تجرى على نظام اليوم الكامل ، من السابعة والنصف صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر ، لم يتململ البنا من هذا ، وكل ماهنالك أنه رغب فى أن يقوم بتدريس الخط العربى ، وسعدت المدرسة برغبته ، وسعد بها زملاؤه ، فقد كان المدرسون يهربون من هذه المادة ، لأنهم يرونها أدنى من غيرها ، ولعزوف الطلاب عنها ، واعتمادها على الموهبة وحدها ، وعدم اعتناء المفتشين بها ، فأعطوها له شاكرين !

أما البنا نفسه فكان يهدف من وراء هذه الرغبة إلى غايتين ، أولاهما : أن الساعات المقررة للخط أسبوعياً ساعتان ، ومعنى هذا أنه سوف يدرس لكل تلاميذ المدرسة البالغ عددها ١٥ فصلا ، سوف يلتقى بكل هؤلاء الصغار ، وهم على أبواب الشباب ، فيصنع منهم الرجل الذى يريده لبلاده ، وهو ما حدث فعلا . فهذا المدرس البشوش ، المبتسم دائماً ، العطوف فى هدوء ، والحنون فى وقار ، جعل من حصة الخط شيئاً جميلا ، يقبل عليها الصغار فرحين ، فهو يتباسط معهم فى القول ، ويحدثهم عن كثير من شئونهم ، ولا يبعد بهم عن عالمهم ، ويسألهم فى غير إحراج أو تأنيب : من الذى صلى منهم الصبح فيكافئه ويطريه ، ومن الذى يحفظ شيئا من القرآن فيسمعه منه ويصحح له ، فإذا جاءت فسحة وسط النهار تواعد معهم على اللقاء فى مصلى المدرسة .

وبعد شهر واحد كان أحب الأساتذة إلى كل تلاميذ المدرسة بلا استثناء !
أما الغاية الثانية فهو أن حصة الخط تنتهى بانقضاء وقتها ، فلا تصحيح بعدها ،

ولا تحضير لها ، فيفيد بالقليل الذى تبقى له من اليوم وبقية الليل فى الدعوة ونشرها ، واكتساب أنصار لها ، وفى القراءة والعبادة .

كان البنا ينزل فى « لوكاندة الجبلاوى الجديدة » ، وهى أرقى فندق فى قنا على تلك الأيام ، ولا يزال مبناها قائماً إلى يومنا ، وإن تدهور حاله وعدا عليه الزمان ، وبرنامجه اليومى لا يكاد يختلف ، يعود إليها مع الرابعة ليستريح قليلا ، ويغير ملابسه ، ثم يأتى إلى شعبة الإخوان فيصلى المغرب جماعة بمن فيها ، صلاة وقورة خاشعة ، لا يطيل فيها فترهق ، ولا يجعل منها مجرد أداء واجب فيختصر ، وينصرف بعدها إلى تصريف شئون الجماعة ، ولقاء الزوار ، أو زيارة من على موعد منهم من أهل البلد ، أو الهيئات الأخرى إسلامية ومسيحية ، ثم يعود إلى صلاة العشاء ، وبعده يلقى درساً دينياً هو قراءة فى كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، وكان يثنى عليه كثيراً ، وأول من لفت نظرنا إليه .

أما ليلة الجمعة ، فكان يعقب صلاة العشاء محاضرة عامة ، يأتيها الجمهور من كل أنحاء المدينة ، من المنتسبين إلى الإخوان وغيرهم ، وتدور حول قضايا الساعة التى تهم الجماهير ، ولكنها تتخذ من الدين منطلقاً .

قلب يعمره حب الناس والطبيعة

أتاح لى القرب من البنا على امتداد تلك الشهور القليلة أن أتبين فيه أشياء كثيرة : الذاكرة القوية ، فما رأيته مرة إلا وسألنى عن أهلى بأسمائهم فرداً فرداً ، حتى أولئك الذين لقيهم لدقائق قليلة ، أو ذكرت أسماؤهم أمامه مرة واحدة ، وقدرته الفائقة على أن يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة دواماً ، وعفة لسانه ، فما رأيته مرة يخوض فى سيرة أحد ، أو يذكر شخصاً بسوء ، معارضاً أو عدواً ، وإنما ينقد ما يراه من زيف وباطل ، أو خروج على قواعد الدين ، نقداً موضوعياً ، يشخص الداء ، ويصف العلاج ويأخذ بالأسباب أو يدعو إليها ، ويعلو على تناول الأشخاص ، ويعمل على أن يجمع ويوحد ويؤلف ، ويردد باستمرار : « نعمل سوياً فيما اتفقنا عليه ، ويرحم بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » .

ورأيته يسع بقلبه الناس جميعاً ، من يكبرونه سناً ، ومن يفوقونه فى الوظائف درجات ، فضلا عمن دونه عمراً ومقاماً ، يهتم بأمرهم ، ويعينهم على تجاوز ما يعترضهم من صعاب ، وفيما بعد سوف يضم المركز العام للإخوان المسلمين فى القاهرة إدارة للعلاقات العامة مهمتها معاونة الإخوان على مستوى القطر المصرى أولا ، ثم العالم الإسلامى فيما بعد ، على حل مشكلاتهم اليومية والحياتية . ويحرص على أن يجمع الإخوان فى أى مكان على الحب والود والتعاون . وأول ما يبدأ به أى خطبة له زائراً ، أن يذكر مستمعيه بأنه يحمل لهم تحيات الإخوان فى المكان القادم منه .

وكان يشده جمال الطبيعة ، ومنظر النيل ، وغروب الشمس ، ومهابة الجبال ، ويرى فيها بديع صنع الله ، وما أكثر ما صحبنا فى جولات ونزهات إلى غابة قنا ، وكانت قد أنشئت فى تلك الأيام على حافة المدينة ، فوق جزء من الصحراء ، وهناك نصلى المغرب ، لا يحد بصرنا جدران ، ولا يعزلنا عن السماء ستار .

ولم تمض غير شهور قليلة حتى أحست انجلترا المستعمرة ، ولها فى قنا قوات ومخابرات ، والحكومة المصرية التى كانت تتحرك فى إطارها ، أن حسن البنا فى الصعيد أخطر منه فى القاهرة ، فهو يتحرك فى مجال بكر مفتوح ، ويلتقى بأناس خلص ، لم تفسدهم الحضارة ، ولم تعرف الطراوة طريقها إلى قلوبهم أو أبدانهم ، فردته إلى القاهرة من جديد .

وقبل أن يرحل البنا من قنا أراد أن يفيد من مكانته ، ومن حب الناس له ، وتعلقهم به ، فتمنى عليهم أن تكون دار الإخوان خاصة بهم وملكاً لهم ، وليست شقة مستأجرة فى عمارة ، فانهالت التبرعات من كل طبقات السكان ، وبنوها فى أفضل مكان من المدينة ، وضمت الكثير من المؤسسات العلمية والاجتماعية : قاعة محاضرات ، وعيادة ، ومكتبة ، ومصلى ، ونزلا للقادمين من الإخوان ، وأصبح أعضاؤها وروادها من خيرة موظفى المدينة ممن يعملون فى الإدارات المختلفة .

بعض من عرفت

لازالت بعض الصور ثابتة فى ذاكرتى ، وإن نسيت بعض الأسماء ، أذكر الشيخ محمد عبدالظاهر ، وكان مأذوناً وصاحب مكتبة ، وحركة لا تهدأ وسوف يقضى حياته سجيناً فى الهجمة على الإخوان المسلمين ، والفنان سعد الشاذلى ، وكان مصوراً موهوباً ، وخلقاً عطراً ، ومات فى التعذيب ، ومستشاراً فاضلا من رجال القضاء ، كان يجيئنا فى الدار ، ويؤمنا فى الصلاة ، ويفسر معنا بعض آى القرآن ، وإذا بى اكتشف أنه يحفظ القرآن ، لا تند منه آية ، وكان محمد القرط المشرف على المجزر إذا صلى بنا المغرب أو العشاء يقرأ القرآن فى عذوبة خاشعة يرق لها الصخر ، وطه عبدالسلام لا يكلف بشىء إلا قام به راضياً مهما يكن شاقاً ، وسوف يكون لحسين رشدى المدرس فى صنايع قنا دور خطير سأعرض له فيما بعد ، وكان هناك أحمد السنهورى ، وظل وفياً لمبدئه حتى يومنا ، وإبراهيم دهمش ، ولم يكمل رحلته فى التعليم أو فى الإخوان .

فى القاهرة

ولم يكد البنا يصل القاهرة ويستقر فيها حتى كشفت وزارة حسين سرى باشا عن نواياها ، فأغلقت مطبوعاتهم وتمالك الإخوان أعصابهم دون أن يداخلهم خوف أو رعب . وفى تلك الأيام ، ولعلها كانت أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ، سوف يهبط قنا فى القطار الذى يصلها فى السابعة مساء مع أول الليل ، وافد من القاهرة هو المناضل التقى المضحى المرحوم الأستاذ صالح عشماوى ، والتقى بالإخوان بعيداً عن عيون الحكومة والإنجليز ، فى فيلا تقع على هامش المدينة ، صلى فيها الإخوان العشاء ، وتذاكروا أمورهم ، وحمل إليهم القرارات : لا نستفز الحكومة ، ولكن إذا دعت الحال سوف نواجهها ومن وراءها ، ومع الفجر عاد إلى المحطة ، وأخذ القطار الذى يغادرها فجراً ، دون أن يحس به أحد .

وأذكر أننا بعدها تدارسنا كيف نواجه الانجليز فى كل مواقع المدينة الهامة ، مراكز تجمع الكهرباء والهاتف ، وكيف يمكن أن نقطعها فى دقائق فنعزل المدينة ، ونغرقها فى الظلام ، ومن يقوم بهذه المهمة وكيف ، وجاءنا العاملون فى الإدارات المتصلة بهذه الخدمات بالخرائط كاملة ، وتولى حسين رشدى تدريبنا على طريقة فصل الكهرباء فى مجمعاتها دون أن نصاب بأذى ، ودرسنا تجمعات القوات البريطانية ، ومخازن سلاحها ، وكيفية مواجهتها إذا هى تدخلت ، ولا أدرى ما الذى كان يحدث فى القاهرة يومها ، ولكن لم تمض غير أيام قليلة حتى أفرج عن الحسن البنا ، وألغى قرار حل الإخوان ومنع اجتماعاتهم ، فعادوا يمارسون نشاطهم بأقوى مما كان بعد أن اكتسبوا شعبية هائلة .

ورغم نشاط الإخوان المتسع فى قنا إلا أن الدراسة فى المعهد لم تكن مفيدة أو حتى مسلية ، فقد كان مستوى المدرسين هابطاً ، ومعلوماتهم التربوية منعدمة ، وليس لهم تخصص محدد يعنون به ، وكل مدرس يدرس كل شيء ، والحياة الثقافية فى المدينة متخلفة ، وفى تلك الأيام جاء المعهد معيناً جديداً الشيخ كامل عجلان ، وكان صحفياً أدبياً ، فزلزل بأسلوبه وطريقته فى الحياة والتعامل والفهم ما جمد من أفكارنا ، وحثنى على ترك هذا الجو الخانق ، وهكذا قررت أن أرحل إلى القاهرة ، وأن أقضى مرحلة التعليم الثانوى فيها .

فى ٩ أكتوبر ١٩٤٤ وصلت القاهرة ، وهى تموج بالمظاهرات من كل شكل ولون ، فقد أقيلت وزارة الوفد بعد صراع مرير مع القصر الملكى ، وجاء فاروق بأحمد ماهر باشا رئيساً للوزراء ، فحل البرلمان ، وبدأ يختط سياسة يمثل رأى فاروق مركز الثقل فيها .

وابتلعتنى القاهرة بصخبها ، ومظاهراتها الطلابية التى لم تكن تتوقف ، وندواتها الثقافية العديدة ، فى الجمعيات ، والنقابات ، والجامعات ، وبعضها كنا نحضره مقابل ثمن يعدل ثمن تذكرة السينما ، وهكذا احتجت لبعض الوقت لكى تعرف قدمى طريقها إلى المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين ، وكان يقع فى أهم ميدان من الحلمية الجديدة ، وتجيء فى وسط القاهرة تماماً ، وكانت فى مطلع هذا القرن مسكن علية القوم .

كان للإخوان فى الميدان داران ، إحداهما قديمة متواضعة ، من طابقين ، شغلها المركز العام زمناً ، وتحتلها جريدة الإخوان ، والثانية قصر منيف ، اشتراه الإخوان حديثاً ، من تبرعات عمت القطر المصرى كله لهذا المقر ولإصدار الصحيفة اليومية ، وشارك فيها المواطنون من كل الطبقات ، الأغنياء والفقراء ، المثقفون والعمال الرجال والنساء والأطفال ، بما يملكون من مدخرات بسيطة أو جواهر وحلى ، وفى القاعة العربية من هذا القصر ، وكانت بالغة الفخامة والروعة ، رأيت حسن البنا للمرة الأولى فى القاهرة ، وحوله حشد من الناس ، يسلمون على الجمهور إثر اجتماع حافل من الاجتماعات التى كانت تقام لنصرة قضية فلسطين ، وعرفت بينهم للوهلة الأولى الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وآخرين لم أعرف منهم أحداً .

وانتظرت حتى انتهت الجموع ، فتقدمت إليه ، تذكرنى فى الحال ، ورحب بى ، وسألنى كالعادة عن أهلى ، فرداً فرداً ، وعن حالى وسكنى ودراستى ، وأن يرانى من حين لآخر ، وبدأت أتردد على المركز العام ، وعرفت أن الأستاذ المرشد – وكان هذا لقب البنا – يلقى كل ثلاثاء حديثاً ، يبدأ عقب صلاة العشاء ، ويمتد حسب الظروف ، ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات ، وتتدفق الجماهير لسماعه من كل أنحاء القاهرة ، ومن المدن والقرى القريبة ، وتملأ ساحة القصر والميدان ، وتشغل الشوارع التى أمامها ، يحملون مقاعدهم ، احتراساً ، أو يقفون على أقدامهم ، فى انتظار أن يسمعوا هذا الرجل الملهم ، إنه يعرف فى بلاغة لا نظير لها ، عمادها الصدق أولا ، كيف يأخذ طريقه إلى قلوب الجماهير ، وكان الحديث متنوعاً ، فى الدين والسياسة ، والاقتصاد والاجتماع ، وكل ما يمس الحياة ، وفى نهاية المحاضرة يتقدم إليه جمهور المستمعين بما يرون استيضاحه ، ولأن أعدادهم تمتد إلى نصف كيلومتر تقريباً ، فهم يكتبونها فى أوراق يسلمها المرء لمن أمامه حتى تبلغ البنا فى النهاية ، ثم تأتيه الإجابة عليها علانية ، عبر مكبرات الصوت ، مهما كانت خطورة السؤال .

ثقافة الجامعة

أوتى حسن البنا جوامع الكلم ، وكان خير من يطبق القاعدة البلاغية القديمة : لكل مقام مقال ، فعنده حديث لكل مستوى ، ولمشكلات كل لحظة ، وهو يملك ناصية اللغة ، معجماً وقواعد ، ويحفظ القرآن كله ، ويلم بالحديث فى مجمله ، ويدرك أسرارهما واعياً ، ويستخدم ذلك كله فى مهارة ، إلى ثقافة معاصرة بلا حدود ، يحار المرء معها : كيف وأين ومتى حصلها ، فهى لا تقف عند الثقافة الإسلامية وحدها ، وإنما تتجاوزها إلى الصراعات العالمية ، السياسية والمذهبية ، والاجتماعية ، والمنجزات الاجتماعية على امتداد العالم كله ، إلى شجاعة فائقة ، غير متهورة ولا مترددة .

فى حديث منها جاءه سؤال عما يقال من أموال دفعها إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء للإخوان كى يستميلهم إلى سياسته ، فكان رده : أولا ، المنطق أن على من اتهم أن يثبت ، فالبينة على من ادعى ، فإذا لج فى الخصام ، فدعوه وأمره ، وقولوا له : ليكن ما تقول ، فإن صدقى لم يدفع من جيبه ، والإخوان لا ينفقون جماعة فى غير ما ترون وما تعرفون من المؤسسات الإسلامية ، وهم قبل ذلك ومن بعد ، لا يحيدون عن دعوتهم ولا منهجهم قيد أنملة ، ولو بملء الأرض ذهباً .

وكان هناك حديث آخر أقل شهرة ، عرف باسم « حديث الخميس » ، لطلاب الجامعة ومن فى مستواهم ، وهو إلى الحوار والبحث أقرب منه إلى العرض والوعظ ، ويدور حول موضوع واحد ، وقضية محددة ، يتدارسها المجتمعون وهو اتجاه لم يعمر طويلا ، لأن صاحبه سوف يغيب عن الحياة بعد قليل .

وذات يوم جاء القاهرة قريب لى ، هو الشيخ محمد الأمير ، ومعرفته بالبنا وثيقة ، فذهبنا لرؤياه فى المركز العام ، ولأن الرجل كان مشغولا ، فقد ضرب لنا موعداً فى بيته فى صباح اليوم التالى ، فى الساعة التاسعة صباحاً .

وفى الموعد المحدد ذهبنا إليه ، كان يسكن فى الحلمية أيضاً ، على مقربة من المركز العام فى سكة سنجر الخازن ، فى الطابق فوق الأرضى ، من بيوت

القاهرة القديمة ، فقابلنا فى غرفة الاستقبال ، وتفتح على السلم مباشرة كعادة البيوت فى تلك الأيام . وفى صمت رحت أتأمل بيت الرجل الذى يهز مشاعر الألوف حين يتحدث ، ويلتف حوله المجاهدون العرب ، وتتعلق به آمال المواطنين فإذا به غاية فى البساطة ، تشغل المكتبة جدارين منه وفى جانب آخر مكتب متواضع ، وأمامه كرسيا خيرزان ، جلسنا عليهما ، على حين جلس هو على مكتبه ، وجاء الشاى لنا جميعاً ، ودار بينهما حديث عن الناس فى الصعيد ، وعن تنظيم شعب الجماعة فى قراه ، وعن رعاية أبنائهم الوافدين للتعليم فى القاهرة .

لم تكن جماعة الإخوان يومها مجرد تجمع دينى أو سياسى ، أو هما معاً ، وإنما قوة ظاهرة ، تسيطر على الشارع والمصنع والجامعة ، ويحكم حركتها نظام دقيق وتوجه أمورها إدارات متخصصة ، وهى أول مؤسسة فى مصر اهتمت بالعالمين العربى والإسلامى باطراد ، وفى ضوء منهج محكم ، وأقامت لذلك إدارة متخصصة تتبع مشاغله وهيئاته ، وتغذى كفاحه بما تستطيع .

انسجام الفكر والموقف

وفى تلك الأيام استقال حسن البنا من عمله مدرساً للغة العربية بالتعليم الابتدائى ، ودون معاش ، ليعطى كل وقته لشئون الدعوة ، وحتى يواجه بنفسه متطلبات حياته المتواضعة ، أصدر مجلة « المسلمون » المتخصصة ، امتيازها له ، ويكتب فيها ، ويعاونه نخبة من أفاضل العلماء والباحثين ، ويأخذ من فائض دخلها ما يعينه على العيش دون زيادة .

كان البنا كما رأيته نموذجاً لا يتكرر بسهولة ، سلوكه ينسجم مع فكره ومواقفه تتفق وما يدعو إليه ، وشغل حبى له وإيمانى به قائداً ملهماً الجانب الأكبر من تفكيرى يومها ، وكنت أرى فى المرحوم صالح عشماوى ، ورئيس تحرير مجلة النذير ثم الدعوة من بعد ، صورة قريبة من البنا وإن لم يوهب بلاغته وانطلاقه وحكمته ، فقد كان التفانى مجسماً ، والإخلاص بشراً يتحرك على الأرض .

على أن شاباً فى مثل سنى ، لم يكن يومها يساق بما يعرف فحسب ، لأن ما يعرف لا شيء فى الحقيقة ، وإنما يستجيب أيضاً لنبض القلب ، وأمور القلب لا تخضع دواماً لحكم العقل ، ومن ثم لم أكن ، على بساطة تجربتى وتفاهتها راضياً عن مواقف عدد من كبار الإخوان .

اثنان نفر منهما قلبى

رأيت أحمد السكرى وكيل الإخوان ، ورئيس تحرير الجريدة اليومية فلم ترتح نفسى إليه ، دون تعامل معه ، وقد كتب يومها فى صدر الصحيفة أنه استقال من وظيفته ليتفرغ لشئون الدعوة ، ويعطيها والصحيفة كل وقته . وكان ذلك صحيحاً فى جانب منه ، أما الجانب الآخر فهو أنه ترك وظيفته فى الدرجة السابعة ، ومرتبها يومها لا يعدو عشرة جنيهات ، وأخذ راتباً فى صحيفة الإخوان يبلغ مائة وخمسين جنيها ، وهو الراتب الذى كانت تدفعه كبريات الصحف يومها لرؤساء تحريرها ، وهم موظفون مهنيون ، لا يزعمون أنهم أصحاب دعوة ولا متفرغون لها ، وساعتها أحسست أن فى الأمر خداعاً لآلاف البسطاء من الإخوان الذين أسهموا فى جريدة مبدأ ، ليس غايتها الربح ، وواقعاً لن تربح شيئاً ، وإنما أرادوها سلاحاً فى النضال من أجل ما يؤمنون به ، وتمنيت يومها لو اكتفى بما يعينه على مواجهة مطالب العيش ، خصوصاً وأن الحياة كانت سهلة ميسرة ، وأن راتب الوظيفة التى تركها كان بسيطاً ومحدوداً .

كذلك نفر قلبى من « أ . ح » بعد لقاءين ، إذ رأيت فيه عجباً وتصنعاً لا يتفقان مع خلق المؤمن القوى ، ثم خبرته مدرساً فى معهد القاهرة لا يلتزم بوقت الدرس ، وإذا التزم به لا يقوم بمهمته مدرساً ، وإنما يحدثنا عن أمجاده ، فى قيادة المظاهرات الأزهرية لإسقاط الشيخ الظواهرى ، والمناداة بالإمام المراغى شيخاً للأزهر ، وأشياء أخرى من لغو الحياة وباطلها ، وأسفت أن يكون مثله عضوا بارزاً فى جماعة الإخوان المسلمين .

تدخل بريطاني سافر

كان الإخوان المسلمون فى السنوات التالية لإنهاء الحرب يمثلون قوة رهيبة وثقلا سياسياً ملحوظاً فى الشارع المصرى ، ولا يمكن تجاهله ، ويدفعون الجماهير ويقودونها ، للمطالبة بإجلاء الانجليز ، ولعبوا دوراً قتالياً بارزاً ، وبالغ الأهمية ، فى حرب فلسطين الأولى ، قبل أن تدخلها الجيوش النظامية فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ . وفى نوفمبر من العام نفسه ، عقد قناصل انجلترا وفرنسا وأمريكا اجتماعاً فى قرية فايد ، وكانت تحتلها القوات البريطانية إلى جانب ضفتى قناة السويس على امتدادها ، وكلفوا السفير البريطانى أن يطلب من النقراشى باشا رئيس وزراء مصر إصدار قرار بحل جماعة الإخوان المسلمين ، وأرسل جورج أوبرايان السكرتير السياسى للقائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، ومقرة فايد أيضاً ، خطاباً إلى إدارة المخابرات التابعة للقوات البريطانية فى مصر وشرق البحر الأبيض المتوسط يخطرها بما دار فى الاجتماع ، والنتيجة التى انتهى إليها ، وأن السفارة البريطانية فى القاهرة سوف تتخذ الإجراءات اللازمة لحل جمعية الإخوان المسلمين .

وجاء الرد سريعا ، بعد أسبوعين تقريباً من هذا الاجتماع ، ففى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر النقراشى باشا بوصفه حاكماً عسكرياً عاماً أمراً بحل جماعة الإخوان المسلمين ، ومصادرة شعبها وممتلكاتها ، وكل مؤسساتها وأموالها ، وتعطيل صحفها ، واعتقال الألوف من أعضائها .

وحاول حسن البنا أن يلتقى مع رئيس الوزراء على حل ، فلم يكن راغباً فى المواجهة ، ومع أن قوة الإخوان المسلمين وما أفادوه من تجارب قتالية فى حرب فلسطين يجعل منهم قوة قادرة على مواجهة الحكومة ، والانتصار عليها ، إلا أن الرجل كان يعرف ويعى جيداً ، أن أكثر من مائة ألف جندى بريطانى يعسكرون فى منطقة القناة ، فى انتظار الفرصة المواتية ، ومتأهبين لاحتلال مصر من جديد ، وبذلك يئدون النهضة الوليدة فى فجرها .

لم يرد لمأساة أحمد عرابى أن تتكرر ثانية !

غير أن النقراشى كان حريصاً على أن يظل فى الحكم ، وبقاؤه فيه مرتبط برضا فاروق والانجليز عنه ، فركب رأسه . وأصم أذنيه عن أية وساطة أو محاولة إيجاد حل ، وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، أى بعد عشرين يوماً من قرار الحل ، أطلق طالب فى كلية الطب البيطرى الرصاص عليه ، أثناء دخوله وزارة الداخلية ، بعد أن تخفى الطالب فى زى ضابط شرطة فأرداه قتيلا .

حادثة ١٢ فبراير ١٩٤٩

وجاء إبراهيم عبد الهادى ضعيفاً خانعاً ، مضطرباً حريصاً على الحياة ، وأصبح رئيساً للوزراء بعد أن كان رئيساً للديوان الملكى ، وأغرق مصر فى موجة من الاعتقالات والمحاكمات العسكرية ، بلا تحقيق ولا تثبت ، وعرفت مصر لأول مرة فى تاريخها الحديث تعذيب المعتقلين على نحو بشع ، وهناك أكثر من جهة يهمها أن تتخلص من المرشد العام للإخوان المسلمين ، وعلى رأسهم فاروق ، ولم ينس أن مصر دفعت بقوتين فى حرب فلسطين ، الجيش المصرى ويتلقى أوامره من فاروق الذى كان قائده الأعلى ، وكتائب الإخوان المسلمين وتتلقى أوامرها من حسن البنا ، وإنها أرق تدريباً ، وأحسن تسليحاً ، وأشد فعالية وقابلية للتضحية والفداء ، وأنها لم تهزم فى معركة ، فبات يخشاهم من قلبه ، ومعه الانجليز ، والصهيونية نفسها بعد أن خبرت شبابهم فى القتال ، فتجمعوا كلهم ، ودفعوا بحكومة إبراهيم عبدالهادى نفسها لاغتيال حسن البنا فى يوم ١٢ فبراير من عام ١٩٤٩ ، فى الساعة الثامنة مساء ، ومع أنه تمالك نفسه ، ونزل من سيارة الأجرة التى كان يستقلها ، واتجه إلى هاتف جمعية الشبان المسلمين حيث كان هناك ، وأدار رقمين من مكالمة حاول أن يطلبها قبل أن يغمى عليه ، إلا أنه نقل إلى مبنى الإسعاف على بعد دقائق ، ثم إلى القصر العينى ، وهناك أجهزوا عليه تماماً .

رحمه الله .

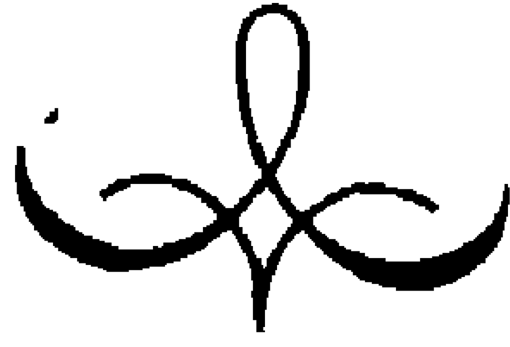
فى صبيحة اليوم التالى كنت أقف فى نافذة البيت الذى أسكنه فى ميدان السيدة عائشة ، وبه يمر الطريق إلى مقابر الإمام الشافعى ، فرأيت سيارة الموتى ،

تطوقها قوات ضخمة من الشرطة مدججة بالسلاح ، وتتبعها عربات مصفحة تنطلق بسرعة ، لا أحد أمامها غير العسكريين ، ولا معها ولا وراءها ، ولم يخالجنى أدنى شك فى أنها تحمل جثمان الشهيد .

ولم أبك ، فقد جف الدمع فى عينى ، وتوزعتنى هموم غامرة ، عما سوف ينتهى إليه وطنى فى مستقبله القريب والبعيد ، ثم قرأت على روحه الفاتحة !

الطاهر أحمد مكى

مجلة الدوحة القطرية
عدد يونيو ١٩٨٥م



شعارنا سيفان .. دستورنا القرآن *

محمد التابعي

ونشرت مجلة آخر ساعة[1] حديثا مستفيضاً تحت عنوان :

« شعارنا سيفان . دستورنا القرآن » .

« هبى يارياح الجنة على رهبان الليل وفرسان النهار » .

رأيت الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين منذ عامين مرتين : رأيته فى الأولى يخطب جماعة من طلبة الطب ، ورأيته فى الثانية يناقش مجموعة من الشباب المثقفين ، ورأيت سامعيه فى الحالتين يقابلونه بالابتسام والضحك والسخرية بل والصفير ، ولكنه تكلم وخلب وسيطر ، وانتصر بسهولة على معارضيه فى كلتا الحالتين .

رأيته فيهما صامتاً ورأيته يتكلم ، وجهه على الحالين مشوب بمسحة وقار لطيف ، حاد الملامح ، بيِّن التعابير ، تحت جبين عريض لماح بقبس من الذكاء ، يقتعد وسطه « زبيبة صلاة » كبيرة داكنة من أثر السجود .

عيناه هادئتان بسيطتان فى بساطتهما لمحة من « عيون المقطم » تحسبها قليلة الغور ، فإذا ألقيت فيها الحجر . ظل يتدحرج ، ويتدحرج ، وتتعاقب الثوانى على صوته وهو يتدحرج ، ويفنى الصوت وهو ما زال يتدحرج إلى غير قرار .

دائم الابتسام ، فاره القامة ، رحب الهيكل ، يبدو قوياً كشجرة السنديان ، فى صوته عمق وعرض وطول ، وللسانه سحر إذا تكلم يتلاعب فيه بالألباب ، والأحاديث وأمجاد الجهاد الإسلامى يطلقها من فمه كالمدفعى الماهر ،

---

* محمد التابعي من كبار الصحفيين المصريين الذين أسسوا الصحافة المصرية ومدارسها مع مصطفى أمين وعلى أمين .

(١) آخر ساعة مارس آذار – ١٩٤٦ .

فى أنسب وقت وأنسب مكان ، فيكون لها فعل القذائف فى معارضيه .

ترى هل يمكن أن تتألف من مجموعة هذه الألوان والخطوط صورة زعيم !

* * *

على أى صوت تستيقظ مصر هذه المرة .

من أى باب تهب رياح الفجر الوليد .

من أى دم تكتب مصر عندما تفيق صفحتها المجيدة الجديدة فى تاريخها الحديث ، يقولون : إن علم هذا عند الله وعند جماعة الإخوان المسلمين فمن هم الإخوان المسلمون ؟

هؤلاء الذين يزعم الرواة أنهم وراء كل مظاهرة ، وكل حركة إضراب ، وأنهم القوة المحركة الدافعة لهذه الفورة الجديدة التى توجه الشعور الوطنى هذه الأيام .

وأنهم استطاعوا فى يوم واحد أن يوزعوا مائة ألف شارة من شارات الجلاء ، وأن يعلقوها على صدور مائة ألف مصرى رشيد .

من هم هؤلاء الإخوان ؟

* * *

مدرس خط ومع ذلك فإن خطه بشهادته هو نفسه ليس جميلاً بل ولا مقروءاً . وزعيم لمليون من المصريين ولكنه بشهادته هو أيضاً ليس زعيماً وإنما هو مدرس فقط ؛ ولعل هذا هو مصدر لقبه الرسمى وهو المرشد العام .

أما الإخوان – أعنى الجمعية نفسها – فهى شعار مكون من سيفين متقاطعين بينهما مصحف كتبوا تحته كلمة (وأعدوا) .

ثم المرشد العام : ذلك الرجل الملتحى ، ذو العينين البراقتين ، والصوت الحازم ، القوى المكين ، وليس هناك بعد ذلك إلا مليون رجل فقط على استعداد

لبذل آخر قطرة من دمائهم عندما يأمر بذلك المرشد العام .

وهذا هو كل شيء .

سألت الأستاذ حسن البنا المرشد العام عن السيفين فقال :

هما رمز الجهاد .

والمصحف ؟

دستوره .

قلت : والكلمة المكتوبة بين السيفين : (وأعدوا) ؟

قال : هي الكلمة الأولى من الآية الكريمة :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

ولم نستطع أن نكمل الحديث . لأن خمسة آلاف من أنصاره جاؤوا يتلقون تعليماته بعد حوادث يوم الجلاء .

ويظهر أن ميزة الرجل الكبرى هي أنه يعرف كيف يخاطب الناس وكيف يلهب شعورهم .

والذي يسمعه وهو يقول لهم : « اسمعوا يا خير أمة أخرجت للناس » أو يناديهم « اسمعوا يا جند محمد ، ويا جيش الخلاص ، ويا كتائب الإنقاذ ، ويا رهبان الليل وفرسان النهار » .

الذي يسمعه وهو يقول هذا ثم يسمعهم يجيبون عليه بدوي كهزيم الرعد : « الله أكبر ، الله أكبر ، وللمؤمنين النصر » يدرك فوراً أن هذا الرجل أوتي قدرة خارقة على فهم نفسية الجماهير ، وكيف يلهب مشاعر الجماهير .

وتسمع الشيخ بعد هذا يحدثهم عما جرى أخيراً فيقول : إنه يأسف لأنه كان يريدها مظاهرات سلمية ؛ لا لأنه يعتقد أن حقوق مصر تنال بالمظاهرات السلمية فقط ، ولكن لأنه يرى أن الوقت لبذل الدم لم يحن بعد ، وأن كل القوة وكل البأس يجب أن يدخر ليوم الدم . ولكنه مع أسفه لهذه الحوادث يؤمن بأن

هذه هى إرادة الله وما يريد الله إلا الخير للعباد .

وتسمع بعد ذلك هزيم الرعد « الله أكبر ولله الحمد » ويسكت المرشد فترة ثم يقول :

والآن ياشباب انصرفوا إلى أعمالكم ، وسوف تصلكم تعليماتى بالطريقة المعتادة ، أيها الأخوة الأعزة الفضلاء .

وفى دقيقة واحدة ينصرف الخمسة آلاف ويعود إلينا الأستاذ حسن البنا يتخذ مجلسه بيننا كأنما لم يحدث شىء .

وكأنه لم يكن منذ لحظة يلعب بعواطف خمسة آلاف ، من رهبان الليل وفرسان النهار .

وتحدث إلينا بعد عودته فقال :

– لا أستطيع أن أحدد متى وكيف نشأت الدعوة ، فهناك أفكار تنشأ مع الإنسان يوم ينشأ ، على أنها برزت عقب تخرجى من دار العلوم فى شعبتين : إحداهما فى الإسماعيلية حيث كنت أقيم ، والأخرى فى شبراخيت .

قلت : وكم عدد الشعب المنتمية للجمعية الآن ؟

قال : فى مصر ألف وخمسمائة شعبة تضم مليوناً من الإخوان ، ولنا شعب أخرى فى الشرق كله تجعل منا مليوناً ونصف مليون من الإخوان العاملين ؛ عدا الإخوان المناصرين وهم كثيرون ؛ يؤمنون جميعاً مثلنا أنه يجب أن تكون لنا فلسفة روحية مستمدة من تعاليم الإسلام السمحة الغراء .

قلت : ولكنكم دون شك تحولتم فى السنوات الأخيرة إلى ناحية النشاط السياسى .

قال : النشاط الوطنى تقصد ، فما لنا بالسياسة علاقة ، ولقد حرصنا دائماً على ألا نحتك بالأحزاب ولا بالهيئات ، فلما نشبت الحرب حرصوا هم على أن يحتكوا بنا ، وتولدت من الاحتكاك « الشرارة » التى لفتت إلينا الأنظار .

قلت : هل تشترك فى الانتخابات إذا أجريت انتخابات قريبة ؟

قال : نعم .

وهل تضمن النجاح ؟

أستطيع فى انتخابات حرة أن أحصل على أغلبية ساحقة ، هذا لو أننى أردت ذلك ولكننى فى الواقع لا أريده ، فمكاننا فى صفوف الشعب أكثر منه فى صفوف الحكام ؛ ولهذا لن نتقدم إلا فى عدد صغير من الدوائر .

قلت : هل معنى هذا أنك لا تقبل رئاسة الوزارة إذا عرضت عليك ؟

قال : بل أقبل ، والحكم ليس متعة وإنما هو جهاد . فأنا إن قبلته فإنى أقول للانكليز إما أن يتم الجلاء وإما - وهذه أقولها للمصريين - « أيتها الأمة جاهدى فالجهاد سبيلك الوحيد » . لقد سألت النقراشى باشا يوماً أن يطالب بالجلاء صراحة ، فإن ماطل الانكليز فلا يستقيل ، وإنما ينتضى السيف ويقود الأمة فى ميدان الجهاد .

قلت : وهل كنت تتعاون معه ؟

قال : أنا وراء كل رئيس وزراء يدعو إلى الجهاد .

قلت : هل عندك قوة ؟

قال : عندى مليون .

قلت : السلاح .

قال : سلاحنا الإيمان .. وكل أخ من الإخوان يؤمن بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وستجدنا يوم الجهاد نستقبل الرصاص صائحين : هبى يارياح الجنة .

قلت : وهل عندك المال .

قال : نحن أفقر جمعية وأغنى جمعية ، مالنا الرسمى اشتراكات الإخوان ومالنا الحقيقى خزائن الإخوان ، أردنا شراء هذه الدار ولم يكن فى خزائن الجمعية من ثمنها شيء ، فدفع الإخوان ستة عشر ألف جنيه فى يوم واحد ، وأعلنا فى أول

فبراير « شباط » عن حاجتنا إلى جريدة ودار للنشر ومطابع قدرنا ثمنها بربع مليون جنيه لتكون أكبر مؤسسة من نوعها فى الشرق . فدفع الإخوان فى أسبوعين مائة وعشرين ألفا من الجنيهات !!

قلت : هناك عدة أشياء لا تعجبنى فيكم .

قال : ما هى ؟

قلت : الدعوة الدينية فإنها تمزق وحدة الأمة .

قال : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ .

قلت : ولماذا تطلبون من الأعضاء أن لايكثروا من الجدل .

قال : لأن المراء لا يأتى بخير .

قلت : ولماذا تطلبون منهم أن لا يكثروا من الضحك والمزاح .

قال : لأن القلب الموصول بالله ساكن وقور ، ولأن الجد وحده هو شعار الجهاد .

عن كتاب « حسن البنا » لأنور الجندى
١٢٢ - ١١٧



الرجل الذى يتبعه نصف المليون

بقلم / الأستاذ إحسان عبدالقدوس ★

اركب أى سيارة أجرة وقل للسائق : « الإخوان المسلمين يا أسطى » ولا تزد . ولن يلتفت إليك السائق ليسألك ماذا تقصد بالإخوان المسلمين ، ولا أين تقع هذه الدار التى يطلق عليها هذا الإسم ، بل سيقودك إلى هناك دون سؤال ، بعد أن يرحب بك بابتسامة لم تتعود أن تراها على وجوه سائقى سيارات الأجرة ، وقد يرفض أن يتناول منك أجراً .

ولا شك أنه سيحملك سلامة – قبل أن تغادره – إلى فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين ، وستمر فى طريقك داخل الدار بمخازن الذخيرة التى يمتلكها الإخوان : وهى الشباب ، شباب امتلأت بهم حجرات الدار على سعتها ، ترى على وجوههم نور التقوى والإيمان وفى عيونهم حماسة الجهاد ، وبين شفاههم ابتسامة تدعو إلى المحبة والإخاء ، وفى يد كل منهم مسبحة انحنى عليها بروحه يذكر اسم الله .

وهم مع كل ذلك شبان (مودرن) ، لا تحس فيهم الجمود الذى امتاز به رجال الدين وأتباعهم ، ولا تسمع فى أحاديثهم التعاويذ الجوفاء التى اعتدنا أن نسخر منها ، بل إنهم واقعيون يحدثونك حديث الحياة لا حديث الموت ، قلوبهم فى السماء ولكن أقدامهم على الأرض ، يسعون بها بين مرافقها ،

★ إحسان عبدالقدوس ابن الصحفية فاطمة اليوسف وهو صحفى مصرى مشهور عمل رئيسا لتحرير عدد من الصحف والمجلات مثل أخبار اليوم وآخر ساعة له العديد من الخبطات الصحفية المميزة مثل كشف الستار عن الأسلحة الفاسدة عام ١٩٤٨ م وغيرها من الأحداث الشهيرة الأخرى .

(١) روزاليوسف ١٣ سبتمبر – أيلول – ١٩٤٥ .

ويناقشون مشاكلها ، ويحسون بأفراحها وأحزانها ، وقد تسمع فيهم من « ينكت » ، ومن يحدثك فى الاقتصاد والقانون والهندسة والطب .

إنهم ذخيرة وستنطلق عند الإشارة الأولى فاحذروا ، ويستقبلك الأستاذ حسن البنا بابتسامة واسعة ، وآية من آيات القرآن الكريم ، يعقبها بيتان من الشعر ، يختمهما بضحكة كلها بشر وحياة .

والرج ليس فيه شيء غير عادى ، ولو قابلته فى الطريق لما استرعى نظرك ، اللهم إلا بنحافة جسمه ولحيته السوداء التى تتلاءم كثيراً مع زيه الإفرنجى وطربوشه الأحمر الغامق .

ولن تملك نفسك من التساؤل كيف استطاع الرجل أن يجمع حوله كل هؤلاء الإخوان ، وكيف استطاع أن ينظمهم كل هذا التنظيم : بحيث إذا عطس فضيلته فى القاهرة ، صاح رئيس شعبة الإخوان فى أسوان « يرحمكم الله » !! .

ولكنك لا تلبث قليلاً حتى تقتنع بأن قوة الرجل فى حديثه ، وفى أسلوبه الهادىء الرزين ، وفى تسلسل أفكاره التى يعبر عنها تستسلاً منطقياً .

وربما كان أغرب ما فى حديثه أنه يحس بما يقوم فى نفسك من اعتراضات ، فيجيبك عنها ويفندها لك قبل أن يترك لك الفرصة لتصدمه بها .

وهو لبق يستطيع أن يحلل شخصيتك ويدرس نفسيتك من النظرة الأولى ، وربما أحس أنى دخلت إليه وتحت لسانى مائة تهمة أستطيع أن أوجهها إليه ، فكان من لباقته أن عرض على قبل أن أغادره تقريراً عن الحسابات المالية لجماعته .

وفى هذا التقرير تقرأ عجباً :

فهذا « أخ » أراد أن يسهم فى شراء دار الإخوان ولم يملك مالاً فباع أرضه وخصص ثمن أربعمائة متر منها للجمعية ، وصورة العقد والتخصيص منشورة بالزنكوغراف ضمن التقرير .

وهذه زوجة لم تجد لديها ما لاتقدمه فوهبت قرطها الذهبى وكان حليتها الوحيدة للإخوان ، وصورة القرط منشورة أيضاً ضمن التقرير .

وهذا رجل من مسلمى بومباى فى الهند تبرع بفتح اكتتاب بين أبناء بلده للمساهمة فى بناء الدار .

وهذا زوج اختلف مع زوجته فهو يريد أن يتبرع للجمعية بجنيه واحد وهى تريده أن يتبرع بثلاثة جنيهات ، وجاءا ليحتكما إلى الأستاذ البنا فحكم بينهما أن يتبرعا بجنيهين اثنين حسماً للنزاع .

وهذا رجل من العراق يرسل تبرعه عن طريق سعادة عبدالرحمن عزام باشا . وآخر يتعهد بكل ماله لتغطية ما تحتاجه الجماعة من مال و ... و ... وبين أسماء المتبرعين أعضاء فى مجلس النواب وشخصيات كثيرة وشباب لامع : لم أكن أحسب أنهم يدخلون ضمن النصف مليون الذى يؤمن بالأستاذ حسن البنا .

نصف مليون وأكثر انتظموا فى أكثر من ألف وخمسمائة شعبة انبثت فى كل قرية وكل كفر ، بينها مائتان وخمسون شعبة فى القاهرة وحدها ، وهناك شعب فى باريس ولندن وجينيف قبل قيام الحرب .

* * *

وحدثنى فضيلته عن فكرة الإخوان وكيف نبتت وكيف تحققت :

لقد وجد القائمين على أمر الإسلام قد عجزوا عن تطبيقه تطبيقاً صحيحاً ، فالإسلام ليس ديناً فحسب ولكنه نظام سياسى واقتصادى واجتماعى .

وقد وجد مصر من حوله ينقصها الخلق ، وينقصها الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ولم يقصر تفكيره فى الإصلاح على ناحية واحدة من هذه النواحى كما فعلت الأحزاب فقصرت جهودها على الناحية السياسية ، أو كما فعلت الشيوعية فقصرت جهودها على الناحية الاقتصادية ، إنما أراد أن يصلح كل نواحى النقص الذى تعانيه مصر ويعانيه الشرق ، فلم يجد نظاماً شاملاً جامعاً يستطيع أن يلجأ إليه سوى الإسلام ، وقانونه الأساسى القرآن .

وهو يسعى أولاً إلى إفهام المسلمين دينهم فهماً صحيحاً لا تشوبه الخزعبلات ، وإلى إيجاد المحبة والأخوة بينهم ، ثم تطبق النظم الاجتماعية والاقتصادية التى جاءت فى الدين عليهم .

وهو يعتقد أن مصر – كبقية بلدان الشرق – حساسة من ناحية الدين ، وأنه ما من حركة صالحة أو خطوة خطتها إلا كانت باسم الدين دائماً . فأنت تستطيع أن تجعلهم – أى المصريين – يحبون وطنهم باسم الدين ، ويحبون بعضهم بعضاً باسم الدين ، ويجاهدون وينتظمون باسم الدين ، وكل دعوة قامت فى مصر ولم تكن على أساس من الدين فشلت .

قلت : ولكننا اليوم لا نستطيع أن نطبق الدين والقرآن على جميع مرافقنا ، فهناك مثلاً قوانين الملاحة والطيران كيف نستطيع أن نحل محلها القرآن ؟!

وأزاح فضيلته طربوشه إلى مؤخرة رأسه وقال :

– إن القرآن وضع ليكون قانوناً أبدياً ، ينطبق على كل عصر منذ انتهاء الجاهلية إلى قيام القيامة ، ولو بحثت فى القرآن لوجدت بين سطوره الكريمة صورة للقانون الذى تبحث عنه الدول العظمى الآن لتحديد طريقة استعمال القنبلة الذرية فى الحروب .

ونحن لا نقول إن كل قانون سنحتاج إليه قد جاء بتفاصيله ومواده وحيثياته من القرآن ، إنما يجب علينا أن نجتهد فى وضع هذه القوانين فى حدود المبادىء الأولية والمثل العليا التى جاءت فى الدين .

وقد انتشر اعتقاد الناس بقصور القرآن عن شمول كل مرافق الحياة للجمود الذى أحاط به منذ أقفل باب الاجتهاد واستنباط القوانين من بين سطوره ، وقد نُكب الإسلام حقاً منذ أغلق باب الاجتهاد فى وجوه العلماء ، والاجتهاد يتسع لكل فرض يخطر على بالك ، وقد سئل أحد العلماء مرة : هل الخلوة الصحيحة فى مسائل الزواج تثبت إذا كان مع الرجل والمرأة كلب .

وأجاب العالم : إن الخلوة تثبت إذا كان الكلب ملك المرأة ، وتفسد ولا تعتبر صحيحة إذا كان الكلب ملك الرجل ، لأن الكلب إذا كان للمرأة ولم تكن الخلوة بإرادتها ينبح ويتهجم على الرجل مدافعاً عن سيدته ، أما إذا سكت الكلب واستكان فدليل على أن الخلوة بإرادة المرأة وإذن فهى خلوة صحيحة .

والفرض بعيد ولكنه يدلك على أن الاجتهاد يعم كل مسألة تخطر لك .

قلت : ولكن هل تعتقد أن الأجانب المقيمين بيننا يرضون ومن ورائهم دولهم بتطبيق قوانين القرآن كقطع يد السارق مثلاً .

وهنا خبط الأستاذ بيده على مكتبه فى ثورة وقامت مناقشة حادة بينه وبين نائب وطبيب ومحام كانوا يشتركون معنا فى الحديث وقال :

لو كان الانكليز من المسلمين وطبقوا فى بلادهم قوانين الإسلام لما قام واحد فيهم يسأل هل يرضى الأجانب بقطع يد السارق أو لا يرضون ، إنما هو ضعفنا وخنوعنا الذى ألجأ إلى هذا السؤال ، وألجأنا إلى استعارة قوانين أوربا لتطبيقها على أنفسنا بدل الشريعة الإسلامية التى اعترف أخيراً مؤتمر محكمة العدل الدولية بأنها شريعة قابلة للتطور .

وقد حدث فى شبه جزيرة العرب أن حكم على جندى أمريكى بقطع يده لأنه سرق فاحتج قائده ، فأبلغه الملك ابن السعود أنه إما أن ينفذ الحكم وإلا فلن يكون مسئولاً عن أموال أمريكا فى بلاده ، فرضخت أمريكا ونفذ الحكم .

ثم استلم الملك من الرئيس روزفلت خطاب شكر لحرصه على سلامة أموال الدولة .

ثم إن هذه الحدود – أى العقوبات – تنفيذها متروك لأمر القاضى ، وتقديره ، طبقاً لقوله ﷺ :

« ادرؤوا الحدود بالشبهات » .

وهو يستطيع أن يتدرج فيها بين الشدة والتخفيف .

قلت : ألا تعتقد أن دعوتك دعوة رجعية قد تؤدى بنا إلى خلافات طائفية قد تستغلها انكلترا للتدخل فى شئوننا كما يحدث الآن فى الهند .

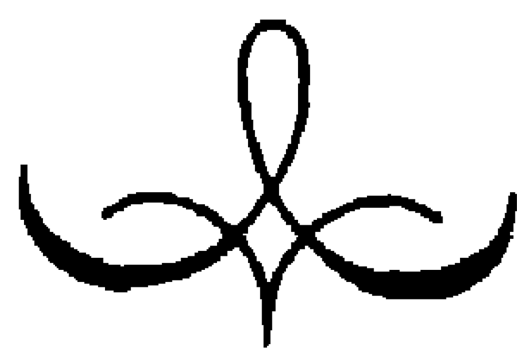
قال : إن الإسلام أوصى خيراً بأهل الكتاب . ونحن نشجع كل حركة تقوم على أساس الدين الصحيح ، وجميع الأديان متفقة فى أسسها ومثلها العليا .

وعلاقتنا حتى اليوم علاقة طيبة مع كثير من مواطنينا من أصحاب الأديان الأخرى .

قلت : هل تسعون لتولى الوزارة .

قال : إننا نؤيد أى وزارة تنفذ برنامجاً قائما على الدين الصحيح ، سواء أكنا نحن الذين نتولاها بأنفسنا أم كان غيرنا ، وفى الدستور الحالى سند لنا فيما أقول ، لأنه ينص فى مادته على أن دين الدولة الإسلام ، ومعنى هذا أن تكون جميع نظمنا وقوانيننا وتصرفاتنا مبنية على قواعد الإسلام .

عن كتاب « حسن البنا »
لأنور الجندى ١١٢ - ١١٧
عن روزاليوسف ١٢ سبتمبر ١٩٤٥م



الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٥ / ٧٦٥٤
الترقيم الدولى : ٩ – ٣٩ – ١٤٢٠ – ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ – ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

هؤلاء كتبوا عن الإمام البنا فى هذا الكتاب

* فضيلة المرشد العام المستشار حسن الهضيبى
* الشهيد عبد القادر عودة
* فضيلة الشيخ محمد الغزالى
* الأستاذ عبد الرحمن البنا
* الأستاذ محمد عبد الحميد
* الأستاذ عبد الحكيم عابدين
* السيد الأستاذ أبو الحسن الندوى
* الأستاذ أحمد أنس الحجاجى
* الأستاذ عبد الحليم الوشاحى
* الأستاذ أحمد بدر
* الحاج أمين الحسينى
* الأستاذ كامل الشافعى
* منصور باشا فهمى
* الفريق عزيز المصرى
* فؤاد شيرين باشا
* السيد على على البهلوان
* السيد علال الفاسى
* إحسان عبد القدوس
* حسان حتحوت
* الأستاذ عمر التلمسانى
* الشهيد سيد قطب
* الأستاذ صالح عشماوى
* الأستاذ البهى الخولى
* الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى
* الدكتور مصطفى السباعى
* الأستاذ محمد فريد عبد الخالق
* الأستاذ سعيد رمضان
* سعد الدين الوكيل
* الشيخ حسنين مخلوف
* الأستاذ أمين إسماعيل
* على الغاياتى
* مكرم عبيد باشا
* الدكتور نور الدين طراف
* محمد محمود جلال بك
* الشاذلى المكى
* محمد التابعى
* الطاهر المكى



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت: ٣٤٧٤٢٣ ص . ب : ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

تطلب جميع منشوراتنا من :


دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦